

# شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بمقنن

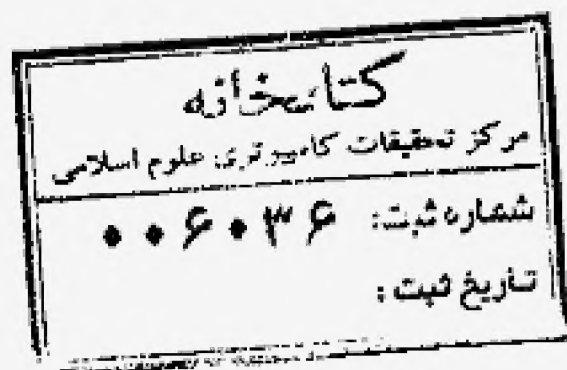
محمد بن الفضل بن هبة

دار الفوائد العلمية

بيبي الباني الجليلي وشركاه

# شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



الجزء الخامس عشر

دار الخیاء الکتاب العربیة  
عیسی البابی الجلیلی و شریکاه



منشورات مَكْتَبَةِ آيَةِ اللَّهِ الْعَظِيمِ الْمَرْعَشِيِّ  
نم - ابران ۱۴۰۴ هـ ق

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وبه تنفتحى الحمد لله الوامد العدل»<sup>(١)</sup>

القول فى أسماء الذين تعاقدوا من قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وما أصابوه به فى المعركة يوم الحرب

قال الواقدي<sup>(٢)</sup>: تعاقد من قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عيذ الله بن شهاب الزهري وابن قميثة<sup>(٣)</sup> أحد بني الحارث بن فهر، وعتبة بن أبي وقاص الزهري، وأبي بن خلف الجمحي. فلما أتى خالد بن الوليد من وراء المسلمين، واختلطت الصفوف، ووضع المشركون السيف فى المسلمين، رمى عتبة بن أبي وقاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعة أحجار، فكسر رباعيته، وشجبه فى وجهه حتى غاب حلق المففر فى وجنتيه<sup>(٤)</sup>، وأدى شفتيه<sup>(٥)</sup>.

قال الواقدي: وقد روى أن عتبة أشطى<sup>(٦)</sup> باطن رباعيته السفلى. قال: والشئت عندنا أن الذى رمى وجنتى رسول الله صلى الله عليه وآله ابن قميثة، والذى رمى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص.

قال الواقدي: أقبل ابن قميثة يومئذ وهو يقول: ذلوني على محمد، فوالذى يحلف به؛ لئن رأيته لأقتلنه، فوصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلاه بالسيف، ورماه عتبة

(١-١) ١: «وبك اعتمادى يا كريم».

(٢) انظر أخبار غزوة أحد فى الجزء الرابع عشر من ص ٢١٣ إلى ص ٢٨١ من هذا الكتاب.

(٣) قميثة؛ كفيثة، وهو عمرو بن قبيصة، ذكره صاحب تاج العروس، وقال: «شاعر؛ وهو الذى كسر رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد». (٤) كذا فى ١، وهو الوجه الذى فى ب «وجنته»؛ تحريف.

(٥) مغازى الواقدي ص ٢٤٦ وما بعدها.

(٦) أشطى رباعيته: كسرها.



ابن أبي وقاص في الحال التي جَلَّه ابنُ قَمِيْثَة فيها السيف ، وكان عليه السلام فارسا ، وهو لا بسُ دِرْعين مُثْقَل بهما ، فوق رسول الله صلى الله عليه وآله عن الفرس في حُفرة كانت أمامه .

قال الواقدي : أصيبَ ركبته ، جُحِشَتْ<sup>(١)</sup> لما وَقَعَ في تلك الحفرة ، وكانت هناك حُفَر حفرها أبو عامر الفاسق كالحفادق للمسلمين ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم واقفا على بعضها وهو لا يَشْعُرُ<sup>(٢)</sup> ، فجُحِشَتْ رُكْبَتاه ، ولم يصنع سيفُ ابنِ قَمِيْثَة شيئا إلا وهز<sup>(٣)</sup> الضربة بثقل السيف ، فقد وقع رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، ثم اتَهَضَ وطلحةُ يَحْمِلُه من ورائه ، وعلى عليه السلام آخِذٌ بيديه حتى استوى قائما .

قال الواقدي : لحدثني الضحاك بنُ عثمان عن حمزة بنِ سعيد ، عن أبي بشر المازني ، قال : حضرتُ يومَ أُحُد وأنا غلام ، فرأيت ابنَ قَمِيْثَة عَلا رسولَ الله صلى الله عليه وآله بالسيف ، ورأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وَقَعَ على ركبتيه في حفرةٍ أمامه حتى توارى في الحفرة ، فجعلتُ أصيح وأنا غلام حتى رأيتُ الناس ثابوا إليه . قال : فأنظرُ إلى طلحة بن عبيد الله آخِذاً بِحُضْنِهِ حتى قام .

قال الواقدي : ويقال : إن الذي شَجَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله في جبهته ابنُ شِهَاب ، والذي أَشْطَى رِباعيته وأدمى شفتيه عتبة بنُ أبي وقاص ، والذي أدمى وَجْنتيه حتى غاب الحلق فيهما ابنُ قَمِيْثَة ، وإنه سال الدم من الشجرة التي في جبهته حتى أخضَلَ لحيته . وكان سالمٌ مولى أبي حذيفة يَفْسل الدم عن وجهه ورسولُ الله صلى الله عليه ، يقول : كيف يُفْلَح قومٌ فعلوا هذا بَنِيَّهم ، وهو يدعوهم إلى الله تعالى ! فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۚ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ . . . ﴾<sup>(٤)</sup> الآية .

(١) الجحش : الخدش ، أو فوقه .

(٢) الواقدي : « ولا يشعر به » .

(٣) كذا في الواقدي . ويقال : وهزه ، أي ضربه بثقل يده ، وفي الأصول : « وهن » تحريف .

(٤) سورة آل عمران ١٢٨ .

قال الواقدي : ورَوَى سعدُ بنُ أبي وقاص قال <sup>(١)</sup> : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ دَمَوْا فأَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله ، اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ دَمَوْا وجهَ رسولِ الله ، اشتدَّ غضبُ الله على رجلٍ قَتَلَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد شَفَانِي من عتَبَةِ أخِي دعاءِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد حَرَصْتُ عَلَى قَتْلِهِ حِرْصًا مَحْرَصْتُ عَلَى شَيْءٍ قَطَّ ، وَإِنْ كَانَ مَا عَمِلْتُ لِعَاقِبًا بِالْوَالِدِ ، سَيِّئُ الْخُلُقِ ، وَلَقَدْ تَخَرَّقْتُ صُفُوفَ الْمُشْرِكِينَ مَرَّتَيْنِ أَطْلُبُ أَخِي لِأَقْتُلَهُ ، وَلَكِنَّهُ رَاغَ مِنِّي رَوْغَانِ الثَّعْلَبِ ، فَلَمَّا كَانَ الثَّالِثَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا تَرِيدُ ؟ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ نَفْسَكَ ؟ فَكَفَفْتُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : اللَّهُمَّ لَا تَحُولَنَّ الْحَوْلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ . قال سعد : فوالله ما حَالَ الْحَوْلُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ رَمَاهُ أَوْ جَرَحَهُ . مات عتَبَةُ ، وَأَمَّا ابْنُ قَمِيْثَةَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ ، : [ فَقَاتِلُ يَقُولُ : قَتَلَ فِي الْمَعْرَكَةِ وَ ] <sup>(٢)</sup> قَاتِلُ [ يَقُولُ ] <sup>(٣)</sup> : إِنَّهُ رَمَى بِسَهْمٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَأَصَابَ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ قَمِيْثَةَ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَقْمَاهُ اللَّهُ ، فَعَمِدَ إِلَى شَاةٍ يَحْتَلِبُهَا فَتَنْطَعُهُ بِقَرْنِهَا وَهُوَ مَعْتَلِقُهَا <sup>(٤)</sup> فَقَتَلَتْهُ . فَوُجِدَ مَيِّتًا بَيْنَ الْجِبَالِ لِدَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ عَدُوُّ اللَّهِ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ قَتَلَ مُحَمَّدًا . قال : وابن قميثة رجل من بني الأدرم من بني فهر .

وزاد البلاذري في الجماعة التي تعاهدت وتعاهدت على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أُحُد عبد الله بن مُخَيَّد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي <sup>(٥)</sup> . قال : وابن شهاب الذي شجَّ رسول الله صلى الله عليه وآله في جبهته هو عبد الله

(١) الواقدي : « سمعته يقول : اشتد . . . » .

(٢) من الواقدي . والمعرك والمعرك : موضع القتال .

(٣) كذا في أ وهو الصواب ، والذي في ب « معتقها » ، تصحيف .

(٤) أسباب الأشراف ١ : ٣١٩ .

ابن شهاب الزهري ، جدُّ الفقيه المحدث محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب<sup>(١)</sup> ، وكان ابنُ قتيبة أدرَمَ ناقصَ الذَّقْنِ ، ولم يذكر اسمه ولا ذكره الواقدي أيضا .

\*\*\*

قلتُ : سألت النقيبَ أبا جعفر عن اسمه فقال : عمرو ، فقلتُ له : أهو عمرو بن قتيبة الشاعر ؟ قال : لا ، هو غيره . فقلتُ له : ما بالُ بني زهرة في هذا اليوم فعلوا الأفاعيل برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أخواله ، ابنُ شهاب وعتبةُ بنُ أبي وقاص ! فقال : يا ابنَ أخي ، حرَّكهم أبو سفيانَ وهاجَّهم على الشرِّ لأنَّهم رجعوا يومَ بدرٍ من الطريق إلى مكة فلم يشهدوها ، فاعترضَ عيَرهم ومنعهم عنها ، وأغرى بهاسفها أهل مكة ، فعيروهم برُجوعهم ، ونسبهم إلى الجبن وإلى الإذهان في أمرِ محمد صلى الله عليه وسلم ، واتفق أنه كان فيهم مثل هذين الرجلين ، فوقع منهما يومَ أحدٍ ما وقع .

\*\*\*

قال البلاذري : مات عتبة يومَ أحدٍ من وجعٍ أليمٍ أصابه ، فتعذَّب به ، وأصيب ابنُ قتيبة في المعركة ، وقيل : نطحته عنز فمات .

قال : ولم يذكر الواقدي ابنَ شهاب كيف مات ، وأحسب ذلك بالوهم منه . قال : وحدثني بعضُ قريش أن أفعى نهشتُ عبدَ الله بنَ شهاب في طريقه إلى مكة ، فمات . قال : وسألتُ بعضَ بني زهرة عن خبره ، فأنكروا أن يكون رسولُ الله صلى الله عليه وآله دعا عليه ، أو يكون شجَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله . وقالوا : إن الذي شجَّه في وجهه عبدُ الله بنُ حميد الأسدي<sup>(٢)</sup> .

فأمَّا عبدُ الله بنُ حميد الفهري ، فإنَّ الواقدي وإن لم يذكره في الجماعة الذين

تَعَاقدُوا عَلَى قَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ كَيْفِيَّةَ قَتْلِهِ .  
 قال الواقدي : وَيُقْبَلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُمَيْدٍ بْنُ زَهْرٍ حِينَ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ - يَعْنِي سَقُوطَهُ مِنْ ضَرْبَةِ ابْنِ قَيْثَةَ - يَرْكُضُ فَرَسَهُ مَقْنَعًا فِي الْحَدِيدِ يَقُولُ : أَنَا ابْنُ زَهْرٍ ، دُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ ، فَوَاللَّهِ لَا أَقْتُلُهُ أَوْ لَأَمُوتَنَّ دُونَهُ ! فَتَعَرَّضَ <sup>(١)</sup> لَهُ أَبُو دُجَانَةَ فَقَالَ : هَلُمَّ إِلَى مَنْ يَبْقَى نَفْسَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِنَفْسِهِ ، فَضَرَبَ فَرَسَهُ فَعَرَّقَبَهَا ، فَاكْتَسَعَتْ ، ثُمَّ علاه بالسَّيْفِ وَهُوَ يَقُولُ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ خَرَّشَةَ ، حَتَّى قَتَلَهُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْضَ عَنِ ابْنِ خَرَّشَةَ كَمَا أَنَا عَنْهُ رَاضٍ . هَذِهِ رِوَايَةُ الْوَاقِدِيِّ ، وَبِهَا قَالَ الْبَلَاذُرِيُّ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُمَيْدٍ قَتَلَهُ أَبُو دُجَانَةَ <sup>(٢)</sup> .

فَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فَقَالَ : إِنَّ الَّذِي قَتَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُمَيْدٍ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ <sup>(٣)</sup> . وَبِهِ قَالَتِ الشَّيْعَةُ .

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ وَالْبَلَاذُرِيُّ أَنَّ قَوْمًا قَالُوا : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُمَيْدٍ هَذَا قَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ . فَالْأَوَّلُ الصَّحِيحُ أَنَّهُ قَتَلَ يَوْمَ أُحُدٍ . وَقَدْ رَوَى كَثِيرٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ سَقَطَ ثُمَّ أَقِيمَ : أَكْفَنِي هَؤُلَاءِ - لِمَجَاعَةٍ قَصَدَتْ نَحْوَهُمْ فَحَمَلُ عَلَيْهِمْ فَهَزَمَهُمْ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ حُمَيْدٍ مِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ، ثُمَّ حَمَلَتْ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ أُخْرَى ، فَقَالَ لَهُ : أَكْفَنِي هَؤُلَاءِ ، فَحَمَلُ عَلَيْهِمْ فَانْهَزَمُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ أُمَيَّةَ بْنَ أَبِي حَذِيفَةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْخَزَوَمِيَّ .

قال : فَأَمَّا أَبِي بَنِي خَلْفٍ فَرَوَى الْوَاقِدِيُّ أَنَّهُ أَقْبَلَ يَرْكُضُ فَرَسَهُ ؛ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، اعْتَرَضَ لَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ لِيَقْتُلُوهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : اسْتَأْخِرُوا

(٢) أنساب الأشراف ١ : ٣٢٤ .

(١) الواقدي : « ليعرض » .

(٣) سيرة ابن هشام ٣ : ٨٢ .

عنه . ثم قام إليه وخرَّبته في يده ، فرماه بها بين سابعة البَيْضة والدَّرْع<sup>(١)</sup> ، فطعنه هناك ، فوقَّع عن فرسه ، فانكسر ضلع من أضلاعه ، واحتمله قومٌ من المشركين ثقيلًا<sup>(٢)</sup> حتَّى ولَّوا قافلين ، فبات في الطريق ، وقال : وفيه أنزلت : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾<sup>(٣)</sup> ، قال : يعني قذفه إياه بالحربة .

قال الواقدي : وحدثني يونسُ بنُ محمدَ الظَّفرى ، عن عاصم بن عمر ، عن عبد الله ابنِ كعب بن مالك ، عن أبيه ، قال : كان أبيُّ بن خلفٍ قدم في فداء ابنه ، وكان أميرَ يومَ بدرٍ ، فقال : يا محمد ، إنَّ عندي فرسًا لي أعلفها فرَقًا<sup>(٤)</sup> من ذرة كلِّ يوم لأقتلك عليها . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : بل أنا أقتلكُ عليها إن شاء الله تعالى .

ويقال : إنَّ أبيًّا إنما قال ذلك بمكة ، فبلغ رسولُ الله صلى الله عليه وآله بالمدينة كلمته فقال : بل أنا أقتلهُ عليها إن شاء الله . قال : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله في القتال لا يلتفت وراءه ، فكان يومَ أحدٍ يقول لأصحابه : إني أخشى أن يأتى أبىُّ بن خلف من خلفي ، فإذا رأيتموه فأذِنُوني ، وإذا بأتى يركضُ على فرسه ، وقد رأى رسولَ الله صلى الله عليه وآله فعرَّفه ، فجعل يصيح بأعلى صوته : يا محمد لا نجوتُ إنْ نجوتُ ! فقال القوم : يا رسول الله ما كدتَ صانعا حين يفشاك أبى ؟ فاصنع ، فقد جاءك ، وإن شئت عطف عليه بعضنا ، فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، ودنا أبى ، فتناول رسولُ الله صلى الله عليه وآله الحربة من الحارث بن الصَّمة ، ثم انتفض كما ينتفض البعير . قال : فتطأيرنا

(١) الدرع السابعة : التي تجرُّها في الأرض وعلى كعبيك طولاً وسعة ، وتسبغة البيضة : ما توصل به البيضة من حلق الدروع فتستر المنق .

(٢) سورة الأقال ١٧ .

(٣) ثقيلًا : مشرقًا على الموت .

(٤) الفرز ، بسكون الراء وبفتحها : مكيال ضخم لأهل المدينة معروف .



عنه تطاير الشعاريير<sup>(١)</sup> ، ولم يكن أحدٌ يشبهُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله إذا جدَّ الجدُّ ، ثم طعنه بالحربة في عنقه وهو على فرسه لم يسقط ، إلا أنه خارَ كما يخور الثور ، فقال له أصحابه : أبا عامر ، والله ما بك بأسٌ ، ولو كان هذا الذي بك بعينٍ أحدٍ نا ماضره . قال : واللات والعزى ، لو كان الذى بى بأهل ذى الحجاز لما تَوَأَكَّهُمْ أجمعون ، أليس قال : لأقتلنه ! فاحتملوه ، وشغلهم ذلك عن طلب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى التحق<sup>(٢)</sup> بعظم أصحابه فى الشعب .

قال الواقدي : ويقال : إنه تناول الحربة من الزبير بن العوام . قال : ويقال إنه لما تناول الحربة من الزبير حمل أبى على رسول الله صلى الله عليه وآله ليضربه بالسيف ، فاستقبله مصعبُ بنُ عمير حائلا بنفسه بينهما ، وإن مصعبا ضَرَبَ بالسيف أبيتا فى وجهه ، وأبصر رسول الله صلى الله عليه وآله فرجةً من بين سابتة البَيضة والدرع ، فطعنه هناك ، فوقع وهو يخور .

مرکز تحقیق کتب و اسناد اسلامی

قال الواقدي : وكان عبدُ الله بنُ عمر يقول : مات أبى بنُ خلف ببطن رابغ<sup>(٣)</sup> منصرفهم إلى مكة . قال : فإني لأسيرُ ببطن رابغ بعد ذلك ، وقد مضى هوى من الليل إذا نارٌ تأجَّجُ ، فهبتها ، وإذا رجل يخرج منها فى سائلة يجتذبها يصيح : العطش ، وإذا رجل يقول : لا تسقه ، فإن هذا قتيلُ رسول الله صلى الله عليه وآله ، هذا أبى بنُ خلف ، فقلت : ألا سحقا ! ويقال : إنه مات بسرف<sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

(١) الشعاريير : الذباب . (٢) الواقدي : « لحق » .

(٣) بطن رابغ : واد من دون الجحفة ، قال الواقدي : هو على عشرة أميال من مكة . ياقوت .

(٤) سرف ، كسكتف : موضع على سبعة أميال من مكة ، تزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث ، وهناك بنى بها ؛ وهناك توفيت — ياقوت .

## القول في الملائكة نزلت بأحد وقاتلت أم لا

قال الواقدي : حدثني الزبير بن سعيد ، عن عبد الله بن الفضل ، قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله مصعب بن عمير اللواء فقتل ، فأخذه ملك في صورة مصعب فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له في آخر النهار : تقدم يا مصعب ، فالتفت إليه الملك ، فقال : لست بمصعب ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله أنه ملك أبداً به .  
قال الواقدي : سمعت أبا معشر يقول مثل ذلك .

قال : وحدثني عبيدة بنت نائل ، عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ، عنه ، قال : لقد رأيتني أرمى بالسهم يومئذ ، فبرده عني رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه ، حتى كان بعد ، فظننت أنه ملك .

قال الواقدي : وحدثني إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جده سعد بن أبي وقاص ، قال : رأيت ذلك اليوم رجلين عليهما ثياب بيض ، أحدهما عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله ، والآخر عن شماله يقانلان أشد القتال ، مارأيتهما قبل ولا بعد . قال : وحدثني عبد الملك بن سليمان ، عن قطن بن وهب ، عن عبيد بن عمير ، قال : لما رجعت قريش من أحد جعلوا يتحدثون في أنديتهم بما ظفروا ، يقولون : لم نَرَ الخليل البلق ولا الرجال البيض الذين كنّا نراهم يوم بدر .

قال : وقال عبيد<sup>(١)</sup> بن عمير : لم تقاتل الملائكة يوم أحد .

قال الواقدي : وحدثني ابن أبي سبرة ، عن عبد المجيد بن سهيل ، عن عمر بن الحكم ، قال : لم يمد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد بملك واحد ، وإنما كانوا يوم بدر . قال : ومثله عن عكرمة .

(١) في «عبد الله» ؛ تحريف والتصويب عن ب .

قال : وقال مجاهد : حضرت الملائكة يوم أحد ولم تقاتل ، وإنما قاتلت يوم بدر .

قال : وروى عن أبي هريرة أنه قال : وعدهم الله أن يمدّهم لو صبروا ، فلما انكشفوا لم تقاتل الملائكة يومئذ .

\*\*\*

### القول في مقتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

قال الواقدي : كان وحشي عبداً لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، ويقال : كان لجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، فقالت له ابنة الحارث : إن أبي قتل يوم بدر ، فإن أنت قتلت أحد الثلاثة فأنت حرّ : محمد ، وعلي بن أبي طالب ، وحمزة<sup>(١)</sup> بن عبد المطلب ، فإني لا أرى في القوم كفواً لأبي غيرهم . فقال وحشي : أما محمد فقد علمت أني لا أقدر عليه ، وإن أصحابه لن يسلموه ، وأما حمزة فوالله لو وجدته نائماً ما أيقظته من هيبته ، وأما علي فألتمسه . قال وحشي : فكنت يوم أحد ألتمسه ، فبينما أنا في طلبه طلع علي ، فطلع رجل حذير مرس<sup>(٢)</sup> كثير الالتفات ، فقلت : ما هذا بصاحب الذي ألتمس ، إذ رأيت حمزة يقرى الناس قريباً ، فكمنت له إلى صخرة وهو مكبّس له كتيبت<sup>(٣)</sup> ، فاعترض له سباع بن أم نيار ، وكانت أمه ختانة بمكة ، مولاة لشريف بن علاج بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكان سباع يگني أبا نيار ، فقال له حمزة : وأنت أيضاً ابن مقطعة البظور ممن يكثر علينا ١ هلم إلي ، فاحتمله ، حتى إذا برقت قدماه رمى به فبرك عليه ، فشحطه شحط الشاة ، ثم أقبل على مكباً حين رأي ، فلما

(١) كذا في ١ ، وهو الوجه ، وفي ب « أو » تحريف .

(٢) المرس : الذي قد مارس الأمور وعالجها .

(٣) البكتيت : صوت في صدر الرجل كصوت البكر من عدة النبط .



بلغ السيل ، وَطَى عَلَى جُرْفٍ فَزَلَّتْ قَدَمُهُ ، فَهَزَزَتْ حَرْبِي حَتَّى رَضِيَتْ مِنْهَا ، فَأَضْرَبَ بِهَا فِي خَاصِرَتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ مِثْلَانِهِ ؛ وَكَرَّ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَسَمَهُمْ يَقُولُونَ : أبا عَمَارَةَ ، فَلَا يَجِيبُ ، فَقُلْتُ : قَدْ وَاللَّهِ مَاتَ الرَّجُلُ ، وَذَكَرْتُ هِنْدًا وَمَا لَيْتَ عَلَى أَيْمَانِهَا وَأَخِيهَا ، وَانْكَشَفَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ حِينَ أَيْقَنُوا بِمَوْتِهِ ، وَلَا يَرَوْنِي ، فَأَكْرَمَ عَلَيْهِ فَشَقَقْتُ بَطْنَهُ ، فَاسْتَخَرَجْتُ كَبِدَهُ ، فَجِثْتُ بِهَا إِلَى هِنْدَ بِنْتِ عَتَبَةَ ، فَقُلْتُ : مَاذَا لِي إِنْ قَتَلْتُ قَاتِلَ أَبِيكَ ؟ قَالَتْ : سَلْنِي ؛ فَقُلْتُ : هَذِهِ كَبِدُ حِمْرَةٍ ، فَضَعْتُهَا ثُمَّ لَفَظْتُهَا ، فَلَا أَدْرِي : لَمْ تُسِفْهَا أَوْ قَدَرْتَهَا ؟ فَزَعَتْ ثِيَابَهَا وَحَلِيَّهَا فَأَعْطَانِيهِ ، ثُمَّ قَالَتْ : إِذَا جِثْتَ مَكَّةَ فَلَكَ عَشْرَةُ دَنَانِيرَ ، ثُمَّ قَالَتْ : أَرْنِي مَصْرَعَهُ ، فَأَرَيْتُهَا مَصْرَعَهُ ، فَقَطَعْتُ مَذَاكِيرَهُ ، وَجَدَعْتُ أَنْفَهُ ، وَقَطَعْتُ أُذُنَيْهِ ، ثُمَّ جَعَلْتُ ذَلِكَ مَسْكَتَيْنِ <sup>(١)</sup> وَمِعْضَدَيْنِ وَخَدَمَتَيْنِ ؛ حَتَّى قَدِمْتُ بِذَلِكَ مَكَّةَ وَقَدِمْتُ بِكَبِدِهِ أَيْضًا مَعَهَا .

قال الواقدي : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَوْنٍ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْخِيَارِ ، قَالَ : غَزَوْنَا الشَّامَ فِي زَمَنِ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، فَفَرَرْنَا بِحِمَضٍ <sup>(٢)</sup> بَعْدَ الْمَصْرِ ، فَقَلْنَا : وَحْشَى ، فَقِيلَ : لَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ ، هُوَ الْآنَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حَتَّى يُصْبِحَ ، فَبِئْسْنَا مِنْ أَجْلِهِ ؛ وَإِنَّا لَنَمَانُونَ رَجُلًا ، فَلَمَّا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ جِئْنَا إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَإِذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ طَرَحَتْ لَهُ زُرِّيَّةٌ <sup>(٣)</sup> قَدَرٌ مَجْلِسُهُ ، فَقَالْنَا لَهُ : أَخْبِرْنَا عَنْ قَتْلِ حِمْرَةٍ وَعَنْ قَتْلِ مُسِيلَةٍ ؛ فَفَكَرَ ذَلِكَ ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَلْنَا : مَا بَيْنَنَا هَذِهِ اللَّيْلَةُ إِلَّا مِنْ أَجْلِكَ . فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ عَبْدًا لِحَبِيبِ بْنِ مُطْعَمٍ بْنِ عَدِيٍّ ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّاسُ إِلَى أَحَدٍ دَعَانِي فَقَالَ : قَدَرَأَيْتَ مَقْتَلَ طُعَيْمَةَ بْنِ عَدِيٍّ ، قَتَلَهُ حِمْرَةٌ مِنْ عَبْدِ الْمَطْلَبِ يَوْمَ بَدْرَ ، فَلَمْ تَزَلْ نَسَاؤُنَا فِي حُزْنٍ

(١) المكة ، بالتحريك : الأسورة . والمعصد : الدمع ، والخدمة ، بالتحريك : الخصال .

(٢) حمص : مدينة معروفة في بلاد الشام .

(٣) الزريرة : التمرة ؛ أو البساط الذي يتكأ عليه ؛ واحده زرة ، والجماعة زراي .

شديد إلى يومى هذا ، فإن قتلت حمزة فانت حرة ؛ فخرجت مع الناس إلى مزاريق<sup>(١)</sup> كنت أمرت بهند بنت عتبة فتقول : إيه أبا دُثمة ! اشف واشتف . فلما وردنا أحسدا نظرت إلى حمزة يقدم الناس يهدم هذا ، فرآني وقد كنت له تحت شجرة ، فأقبل نحوي ، وتعرض له سباع الخراعى ، فأقبل إليه وقال : وأنت أيضا بأبن مقطعة البظور ممن يكثر علينا ! هلم إلى ، وأقبل نحوه حتى رأيت برقان رجله ، ثم ضرب به الأرض وقتله ، وأقبل نحوي سريعا ، فيعرض له جرف فيقع فيه ، وأزرقه بمزراق فيقع في لثته حتى خرج من بين رجله . وقتله ، ومهرت بهند بنت عتبة فأذنتها ، فأعطتني ثيابها وحليها ، وكان في ساقبها خدمتان من جزع ظفار<sup>(٢)</sup> ومسكتان من ورق ، وخواتيم من ورق كن في أصابع رجلها ، فأعطتني بكل ذلك ؛ وأما مسيلة فإننا دخلنا حديقة الموت يوم اليمامة فلما رأيته زرقته بالمزراق ، وضربه رجل من الأنصار بالسيف ؛ فربك أعلم أينما قتله ! إلا أنى سمعت امرأة تصيح فوق جدار : قتله العبد الحبشى . قال عبيد الله : فقلت : أتعرفنى ؟ فأكرَّ بصره على وقال : ابن عدى لعاتكة بنت العيص ؟ قلت : نعم ، قال : أما والله مالى بك عهد بعد أن دفعتك إلى أمك في محفلك التى كانت ترضعك فيها ، ونظرت إلى برقان قدميك حتى كأنه الآن .

وروى محمد بن إسحاق في كتاب المغازى ؛ قال : علت هند يومئذ صخرة مشرفة ،

وصرخت بأعلى صوتها :

والحرب بعد الحرب ذات سمر <sup>(٣)</sup>	نحن جزيناكم يوم بدر
ولا أخى وعمه ويسكرى	ما كان عن عتبة لي من صبر
شفيت وحشى غليل صدرى	شفيت نفسى وقضيت نذرى

(١) المزاريق . جمع مزراق ؛ وهو الرمح القصير .

(٢) ظفار كقطام : بلد باليمن ينسب إليه الجزع .

(٣) ذات سمر ، أى حر .

فَشَكْرٌ وَخُشْيٌ عَلَى صَرِي حَتَّى تَرِمَ أُعْظَمَى فِي قَبْرِى <sup>(١)</sup>

قال : فأجابتها هند بنت أُنْثَاة بن المطلب بن عبد مناف :

خَزَيْتَ فِي بَدْرِ وَغَيْرِ بَدْرِ يَا بِنْتَ عَدَّارٍ عَظِيمِ الْكُفْرِ <sup>(٢)</sup>

أَحْمَسُكَ اللَّهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ بِالْهَاشِمِيِّينَ الطَّوَالَ الزُّهْرِ

بِكُلِّ قِطَاعٍ حُسَامٍ يَفْرِى حِمْرَةَ لَيْثِي وَعَلَى صَفْرِى

إِذَا رَامَ شَيْبَ وَأَبُوكَ قَهْرِي نَفْضًا مِنْهُ ضَوَاحِي النَّحْرِ

قال محمد بن إسحاق : ومن الشعر الذى ارتجرت به هند بنت عتبة يوم أحد :

شَفِيتُ مِنْ حِمْرَةِ نَفْسِي بِأَحَدٍ حِينَ بَقَرْتُ بَطْنَهُ عَنِ الْكَبْدِ <sup>(٣)</sup>

أَذْهَبَ عَنِّي ذَاكَ مَا كُنْتُ أُجِدُّ مِنْ لَوْعَةِ الْحَزَنِ الشَّدِيدِ الْمُعْتَمِدِ <sup>(٤)</sup>

وَالْحَرْبَ تَعْلُوكُمْ بِشَوْابِوبٍ بَرْدٍ نَقْدِمُ إِقْدَامًا عَلَيْكُمْ كَالْأُسْدِ <sup>(٥)</sup>

قال محمد بن إسحاق : حدثني صالح بن كيسان ، قال : حدثت أن عمر بن

الخطاب قال لحسان : يا أبا الفريضة ، لو سمعت ما تقول هند ! ولو رأيت شرها قائمة على

صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ! فقال حسان : والله إني لأنظر إلى الحربة

تهوى وأنا على فارع - يعنى أطمه - فقلت : والله إن هذه لسيلاح ليس بسلح العرب ،

وإذا بها تهوى إلى حمزة ولا أدري ، [ ولكن ] <sup>(٦)</sup> أسمعى بعض قولها أ كفيكموها ،

فأنشده عمر بعض ما قالت ؛ فقال حسان يهجوها :

أَشِيرَتْ لَكَاعٍ وَكَانَ عَادَتُهَا لَوْ مَا إِذَا أَشِيرَتْ مَعَ الْكُفْرِ <sup>(٧)</sup>

(١) ترم أعظمى : تيل . (٢) في ابن هشام : « يا بنت وناح » .

(٣) سيرة ابن هشام ٣ : ٤٣ . (٤) المعتد : الناصد المولم .

(٥) الشؤبوب : الدفعة من الطر . وبرد - بفتح فكيم - أى ذو برد .

(٦) من سيرة ابن هشام .

(٧) الخبر وهذا البيت في سيرة ابن هشام ٣ : ٤٤ ، والأبيات في ديوانه ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

أخرجت مرقصةً إلى أحدٍ      في القوم مُقتبةً على بكرٍ<sup>(١)</sup>  
 بكرٌ تَفَالٍ لا حراكَ به      لآعن معاتبيةً ولا زجرٍ<sup>(٢)</sup>  
 أخرجت نائرةً محاربةً<sup>(٣)</sup>      بأبيك وأبنك بعدُ في بدرٍ<sup>(٤)</sup>  
 وبعثك المتروكٍ منجدلاً      وأخيك منعفرين في الجفرِ<sup>(٥)</sup>  
 فرجعت صاغرةً بلا تيرةٍ      منا ظفرت بها ولا وترٍ  
 وقال أيضاً يهجوها :

لمن سواقطٌ ولدان مطرحةٌ      باتت تفحص في بطحاء أجبادٍ<sup>(٦)</sup>  
 باتت تمخض لم تشهد قوابلها      إلا الوحوش وإلا جنة الوادي  
 يظل يربحه الصبيان منعفراً      وخاله وأبوه سيّدا النادي<sup>(٧)</sup>  
 في أبيات كرهت ذكرها لفحشها



\*\*\*

قال : وروى الواقدي ، عن صفية بنت عبد المطلب ، قالت : كنا قد رقعنا<sup>(٨)</sup> يوم أُحُد في  
 الأظام ، ومعنا حسان بن ثابت ، وكان من أجبن الناس ، ونحن في قارع ، فجاء نفر من  
 يهود يرومون الأظم ، فقلت : دُونَك يا ابن الفُرَيْعة ، فقال : لا والله لا أستطيع القتال ،  
 وبصعد يهودي إلى الأظم ، فقلت : شدّ على يدي السيف ، ثم برئت ، ففعل ، فضربتُ

(١) مرقصة ، أي مرقعة بكرها ، ورأس البحر أسرع في سيره . وفي الديوان : « معنقة » .

(٢) البكر الثقال : البطيء .

(٣) في الديوان : « أقبلت زائرة مبادرة » .

(٤) الديوان : « يوم ذي بدر » .

(٥) والجفر : البئر .

(٦) ديوانه ١٥٨ . وفي الديوان : منبذة .

(٧) منعفرا ، أي علاه التراب ، ورواية الديوان :

قَدْ غَادَرُوهُ لَحْرَ الْوَجْهِ مُنْعَفِرًا      وخاله وأبوه سيّدا النادي

(٨) رقعنا : عدونا .

عنق اليهودى ورمىته برأسه إليهم، فلما رأوه انكشفوا، قالت: وإني لفي قارع أول النهار مشرفة على الأطم، فرأيت المزراق، فقلت أو من سلاحهم المزاريق! أفلا أراه هوى إلى أخى ولا أشعر! ثم خرجت آخر النهار حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كنت أعرف انكشاف المسلمين وأنا على الأطم برجوع حسّان إلى أقصى الأطم، فلما رأى الدولة للمسلمين أقبل حتى وقف على جدار الأطم. قال: فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعى نسوة من الأنصار لقيته وأصحابه أوزاع، فأول من لقيت على ابن أخى فقال: ارجعى يا عمّة، فإنّ فى الناس تكشفاً، فقلت: رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال صالح: قلت: ادلّنى عليه حتى أراه، فأشار إليه إشارة خفية، فانهيت إليه وبه الجراحة. قال الواقدي: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم أحد: ما فعل عمى، ما فعل عمى! فخرج الحارث بن الصّمّة يطلبه فأبطأ، فخرج على عالية السلام يطلبه فيقول:

ياربّ إنّ الحارث بن الصّمّة كان رفيقا وبنا ذا ذمة<sup>(١)</sup>  
قد ضلّ في مهامٍ مهمّة يلتبس الجنة فيها ثمة<sup>(٢)</sup>

حتى انتهى إلى الحارث، ووجد حمزة مقتولا، فجاء فأخبر النبي صلى الله عليه وآله، فأقبل يمشى حتى وقف عليه فقال: ما وقعت موقفاً قط أغيظ إلى من هذا الموقف. فطلعت صفية، فقال: يا زبير، اغن عني أمك، وحمزة يحفر له، فقال الزبير يا أمه، إنّ فى الناس تكشفاً، فارجعى، فقالت: ما أنا بفاعلة حتى أرى رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رآته قالت: يا رسول الله، أين ابن أُمى حمزة؟ فقال: هو فى الناس؛ قالت: لأرجع حتى أنظر إليه، قال الزبير: فجعلت أطدها إلى الأرض حتى دُفن وقال رسول الله

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ١٥٤ مع اختلاف فى الرواية.

(٢) الهامة : جم مهمة ، ومعى المفازة البعيدة .

صلى الله عليه وآله : لولا أن تحزنَ نساؤنا لذلك لتركناه للعافية ، يعنى السباع والطير حتى يحشرَ يوم القيامة من بطونِها وحواصلِها .

قال الواقدي : ورؤي أن صفية لما جاءت حالت الأنصارُ بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : دعوها ، فجلستُ عنده ، فجعلتُ إذا بكى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإذا نشجتُ<sup>(١)</sup> ينشج رسول الله صلى الله عليه وآله ، وجعلتُ فاطمة عليها السلام تبكى ، فلما بكى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال : لن أصابَ بمثل حمزة أبداً ، ثم قال صلى الله عليه وآله لصفية وفاطمة : أبشرا ، أتانى جبرائيلُ عليه السلام فأخبرني أن حمزة مكتوبٌ في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسدُ الله وأسدُ رسوله .

قال الواقدي : ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله بحمزة مثلاً شديداً ، فحزنه ذلك وقال : إن ظفرتُ بقرش لأمثلن بثلاثين منهم ، فأنزل الله عليه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> فقال صلى الله عليه وآله : بل نصبر ، فلم يمثل بأحد من قرش .

قال الواقدي : وقام أبو قتادة الأنصاري فجعل ينال من قرش لما رأى من غم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفي كل ذلك يشير إليه أن أجلس ثلاثاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أبا قتادة ، إن قرشا أهل أمانة ، من بغاهم العوائر كبه الله لفيه ، وعسى إن طالت بك مدة أن تحقر عملك مع أعمامهم ، وفمالك مع فعالمهم ،

(١) يقال : نشج الباكى ، غس بالباكاء في حلقه من غير انتعاب .

(٢) يقال : مثل بفلان مثلاً ومثلاً بالضم : نسكل به .

(٣) سورة النحل : ١٢٦ .

لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله تعالى . فقال أبو قتادة : والله يا رسول الله ما غضبت إلا لله ورسوله حين نالوا منه ما نالوا ، فقال : صدقت . بش القوم كانوا النبيهم .

قال الواقدي : وكان عبد الله بن جحش قبل أن تقع الحرب قال : يا رسول الله ، إن هؤلاء القوم قد نزلوا بحيث ترى ، فقد سألت الله فقلت : اللهم أقسم عليك أن نلقى العدو غداً فيقتلوني ويهتكوا بطني ويمثلوا بي ، فتقول لي : فيم صنّع بك هذا ؟ فأقول : فيك . قال : وأنا أسألك يا رسول الله أخرى ، أن تلي تركتي من بعدى . فقال له : نعم ، نخرج عبد الله فقتل ومثل به كل المثل ، ودفن هو وحمة في قبر واحد ، وولي تركته رسول الله صلى الله عليه وآله ، فاشترى لأمه مالا بخير .

قال الواقدي : وأقبلت أخته تحنة بنت جحش ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : يا حن<sup>(١)</sup> ، احسبي ، قالت : من يا رسول الله ؟ قال : خالك حمزة ، قالت : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> غفر الله له ورحمه ، وهنيئاً له الشهادة ، ثم قال لها : احسبي . قالت : من يا رسول الله ، قال : أخوك عبد الله ، قالت : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> غفر الله له ورحمه وهنيئاً له الشهادة ، ثم قال : احسبي ، قالت : من يا رسول الله ؟ قال : بعلك مصعب بن عمير ، فقالت : واحزنناه ! ويقال : إنها قالت : واعقرناه . قال محمد بن إسحاق في كتابه : فصرخت وولولت . قال الواقدي : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الزوج من المرأة مكاناً ما هو لأحد . وهكذا روى ابن إسحاق أيضاً .

قال الواقدي : ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : لم قلت هذا ؟ قالت ذكرت يمين بني فراعني . فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله لولده أن يحسن الله عليهم الخلف ،



فتزوجت طلحة بن عبيد الله ، فولدت منه محمد بن طلحة ، فكان أوصل الناس لولد  
مُصعب بن عُمير .

\*\*\*

### القول فيمن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد

قال الواقدي : حدثني موسى بن يعقوب ، عن عمته ، عن أمها ، عن المقداد ، قال :  
لما تصافى القوم للقتال يوم أحد ، جلس رسول الله صلى الله عليه وآله تحت راية  
مُصعب بن عُمير ، فلما قُتل أصحابُ اللواء وهُزم المشركون الهزيمة الأولى ، وأغار المسلمون  
على معسكرهم بينهم ، ثم كثر المشركون على المسلمين ، فأتوهم من خلفهم ، فنفرت  
الناس ، ونادى رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحاب الألوية ، فقتل مُصعب بن عُمير  
حاملُ لوائه صلى الله عليه وآله ، وأخذ راية الخزرج سعد بن عُبادة ، فقام رسول الله صلى  
الله عليه وآله تحتها ، وأصحابه محدقون به ، ودفع لواء المهاجرين إلى أبي الرثم أحد بني  
عبد الدار آخرَ نهار ذلك اليوم ، ونظرتُ إلى لواء الأوس مع أسيد بن حضير ، فناوشوا  
المشركين ساعة ، واقتتلوا على اختلاط من الصفوف ، ونادى المشركون بشعارهم : يَاللَعَزَى !  
يَالْهَبَل ! فأوجعوا والله فينا قتلاً ذريعاً ، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما نالوا ؛  
والذي بعثه بالحق ما زال شبراً واحداً ، إنه لفي وجه العدو وثوب إليه طائفة من أصحابه مرة ،  
وتفترق عنه مرة ، فربما رأيتُه قائماً يرمي عن قوسه أو يرمي بالحجر حتى تحاجزوا ، وكانت  
العصابة التي ثبتت مع رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة عشر رجلاً ، سبعة من  
المهاجرين ، وسبعة من الأنصار ، أما المهاجرون فعلى عليه السلام وأبو بكر وعبد الرحمن  
ابن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام ،



وأما الأنصار فالخبيب بن المنذر وأبو دجانة<sup>(١)</sup> وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح والحارث ابن الصمة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير .

قال الواقدي : وقد روي أن سعد بن عبادة ومحمد بن مسleme ثبتا يومئذ ولم يفرّا . ومن روى ذلك جعلهما مكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير .

قال الواقدي : وبايعه يومئذ على الموت ثمانية : ثلاثة من المهاجرين ، وخمسة من الأنصار ، فأما المهاجرون فعلى عليه السلام ، وطلحة ، والزبير ؛ وأما الأنصار فأبو دجانة والحارث بن الصمة والخبيب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ، ولم يقتل منهم ذلك اليوم أحد ؛ وأما باقي المسلمين ففرّوا ورسول الله صلى الله عليه وآله يدعوهم في أحرّام حتى انتهى منهم إلى قريب من المهراس<sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي : وحدثني عتبة بن جبير ، عن يعقوب بن عمير بن قتادة قال : ثبت يومئذ بين يديه ثلاثون رجلا كلهم يقول : وجهي دون وجهك ، ونفسي دون نفسك ، وعليك السلام غير مودّع .

\*\*\*

قلت : قد اختلف في عمر بن الخطاب هل ثبت يومئذ أم لا ، مع اتفاق الرواة كافة على أن عثمان لم يثبت ، قالوا قدي ذكر أنه لم يثبت ، وأما محمد بن إسحاق والبلاذري فجعلاه مع من ثبت ولم يفرّ ، واتفقوا كلهم على أن ضرار بن الخطاب الفهري قرع رأسه بالرمح وقال : إنها نعمة مشكورة يا ابن الخطاب ، إني آليت ألا أقتل رجلا من قريش . وروى ذلك محمد بن إسحاق وغيره ، ولم يختلفوا في ذلك ، وإنما اختلفوا ، هل قرعه بالرمح وهو قاتل هارب ، أم مقدم ثابت ! والذين رَوَوْا أنه قرعه بالرمح وهو هارب لم يقل

(٢) المهراس : ماء بأحد .

(١) أبو دجانة : هو سماك بن خرشة .

أحدٌ منهم إنه هرب حين هرب عثمانُ ولا إلى الجهة التي فرَّ إليها عثمانُ، وإنما هرب معتصماً بالجبل، وهذا ليس بغيب ولا ذنب، لأنَّ الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله اعتصموا بالجبل كلَّهم وأصعدوا فيه، ولكن بقي الفرقُ بين من أصعد في الجبل في آخر الأمر ومن أصعد فيه والحربُ لم تضع أوزارها، فإن كان عمرُ أصعد فيه آخر الأمر، فكلُّ المسلمين هكذا صنعوا حتى رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن كان ذلك والحرب قائمة بعد تفرُّق.

ولم يختلف الرواة من أهل الحديث في أن أبا بكر لم يفرَّ يومئذٍ، وأنه ثبت فيمن ثبت، وإن لم يكن نقل عنه قتل أو قتال، والثبوت جهاد، وفيه وحده كفاية. وأما رواة الشيعة فإنهم يروون أنه لم يثبت إلا على طلحة والزبير وأبو دجانة وسهل ابن حنيف وعاصم بن ثابت، ومنهم من روى أنه ثبت مع أربعة عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، ولا يعدُّون أبا بكر وعمرَ منهم. روى كثير من أصحاب الحديث أن عثمان جاء بعد ثلاثة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله إلى أين انتهيت؟ فقال: إلى الأعراس، فقال: لقد ذهبتَ فيها عريضة<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

روى الواقدي قال: كان بين عثمان أيام خلافته وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فأرسل عبد الرحمن إلى الوليد بن عقبة فدعاه، فقال: اذهب إلى أخيك فأبلغه عنى ما أقول لك، فإنِّي لا أعلم أحداً يبلغه غيرك. قال الوليد: أفعل. قال قل له: يقول لك عبد الرحمن: شهدتُ بدرا ولم تشهدْها، وثبتُّ يومَ أحدٍ ووليتُ، وشهدتُ بيعة الرضوان ولم تشهدْها، فلما أخبره قال عثمان: صدق أخى، تخلفتُ عن بدر على أبنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى مريضة، فضرَب لي رسولُ الله صلى الله عليه وآله بسهمي وأجرى، فكنتُ بمنزلة من

(١) في النهاية لابن الأثير: «وفي حديث أحد قال للمهزمين: لقد ذهبتم فيها مريضة، أى واسعة».

حضر بدرا ، ووليت يوم أحد ، فعفا الله عني في مُحْكَم كتابه . وأما بيعة الرضوان فإن خرجتُ إلى أهل مكة ، بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : إن عثمان في طاعة الله وطاعة رسوله ، وبايع عني بإحدى يديه على الأخرى ، فكان شمال النبي خيرا من يميني فلما جاء الوليدُ إلى عبد الرحمن بما قال قال : صدق أخى .

قال الواقدي : ونظر عمرُ إلى عثمان بن عفان فقال : هذا ممن عفا الله عنه ، وهم الذين تولوا يوم التقي الجُعمان ، والله ما عفا الله عن شيء فردّه . قال : وسأل رجل عبد الله بن عمر عن عثمان فقال : أذنب يوم أحد ذنبا عظيما ، فعفا الله عنه ، وأذنب فيكم ذنبا صغيرا فقتلتموه ؛ واحتج من روى أن عمر فرّ يوم أحد بما روى أنه جاءته في أيام خلافته امرأة تطلب بُردا من بُرود كانت بين يديه ، وجاءت معها بنتٌ لعمر تطلب بُردا أيضا ، فأعطى المرأة وردا ابتته ، ف قيل له في ذلك ، فقال : إن أبا هذه ثبت يوم أحد ، وأبا هذه فرّ يوم أحد ولم يثبت .

وروى الواقدي أن عمر كان يحدث فيقول : أما صاح الشيطان : قُتِلَ محمد ، قلت : أرقى في الجبل كائى أروية ، وجعل بعضهم هذا حجة في إثبات فرار عمر ، وعندى أنه ليس بحجة ، لأن تمام الخبر : فانهيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله . وهو يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ <sup>(١)</sup> الآية ، وأبوسفیان في سفتح الجبل في كتيبه يرومون أن يعلوا الجبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه ليس لهم أن يعلونا . فأنكشفوا ، وهذا يدل على أن رقيّه في الجبل قد كان بعد إصعاد رسول الله صلى الله عليه وآله فيه ، وهذا بأن يكون منقبة له أشبه .

وروى الواقدي قال : حدثني ابنُ أبي سبرة ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم ، اسمُ أبي جهم عبّيد ، قال : كان خالد بن الوليد يحدث وهو بالشام فيقول : الحمد لله

الذي هداني للإسلام ، لقد رأيته ورأيتُ عمر بن الخطاب حين جال المسلمون وانهزموا يوم أحد وما معه أحد ، وإني لفي كتيبة خشناء<sup>(١)</sup> ، فما عرفه منهم أحد غيري ، وخشيتُ إن أغريت به من معي أن يصمدوا له ، فنظرتُ إليه وهو متوجه إلى الشعب .

\*\*\*

قلت : يجوز أن يكون هذا حقاً ، ولا خلاف أنه توجه إلى الشعب تاركاً للحرب ، لكن يجوز أن يكون ذلك في آخر الأمر لما يئس المسلمون من النصرة ، فكلهم توجه نحو الشعب حينئذ ، وأيضاً فإن خالداً منهم في حق عمر بن الخطاب لما كان بينه وبينه من الشحناء والشنآن ، فليس بمنكر من خالد أن ينمي عليه حرركاته ، ويؤكد صحة هذا الخبر ، وكون خالد عفاً عن قتل عمر يومئذ ، ما هو معلوم من حال النسب بينهما من قبل الأم ، فإن أم عمر حنيفة بنت هاشم بن المغيرة ، وخالد هو ابن الوليد بن المغيرة ، فأم عمر ابنة عم خالد لحناً ، والرحيم تعطف

حضرتُ عند محمد بن معد العلوّى الموسوى الفقيه على رأى الشيعة الإمامية رحمه الله في داره بدرج الدواب ببغداد في سنة ثمان وسمائة ، وقارىء يقرأ عنده مغازى الواقدي ، فقرأ : حدثنا الواقدي قال : حدثني ابن أبي سبرة ، عن خالد بن رباح ، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد قال : سمعتُ محمد بن مسلمة يقول : سمعتُ أذكاءً وأبصرتُ عيناى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم أحد وقد انكشف الناس إلى الجبل ، وهو يدعوهم وهم لا يلؤون عليه ، سمعته يقول : إلى يافلان ، إلى يافلان ، أنا رسول الله ، فما عرج عليه واحدٌ منهما ومضياً ، فأشار ابنُ معد إلى ، أن اسمع ، فقلت : وما في هذا ؟ قال : هذه كناية عنهما ، فقلت : ويجوز ألا يكون عنهما ، لعله عن غيرهما . قال : ليس في الصحابة من

(١) كتيبة خشناء : كثيرة السلاح .

يَحْتَشِمُ وَيُسْتَحْيَا مِنْ ذِكْرِهِ بِالْفِرَارِ وَمَا شَابَهُهُ مِنَ الْعَيْبِ ، فَيَضْطَرُّ الْقَاتِلُ إِلَى الْكِنَايَةِ إِلَّا هَا  
قُلْتُ لَهُ : هَذَا وَهَمْ <sup>(١)</sup> ، فَقَالَ : دَعْنَا مِنْ جَدِّكَ وَمَنْعِكَ ، ثُمَّ حَلَفَ أَنَّهُ مَا عَنِ الْوَاقِدِيِّ  
غَيْرَهَا ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرَهَا لَذَكَرَهُ صَرِيحًا ، وَبَانَ فِي وَجْهِهِ التَّنَكُّرُ مِنْ مُخَالَفَتِي لَهُ .

\*\*\*

رَوَى الْوَاقِدِيُّ قَالَ : لَمَّا صَاحَ إِبْلِيسُ : إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، تَفَرَّقَ النَّاسُ ، فَهُمْ مِنْ  
وَرْدِ الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ وَرَدَهَا يُخْبِرُ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، سَعْدُ بْنُ عُمَانَ أَبُو عُبَادَةَ ، ثُمَّ  
وَرَدَ بَعْدَهُ رِجَالٌ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى نِسَائِهِمْ حَتَّى جَعَلَ النِّسَاءُ يَقْلُنَ : أَعَنَّ رَسُولَ اللَّهِ تَفَرَّقُوا !  
وَيَقُولُ لَهُمْ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ : أَعَنَّ رَسُولَ اللَّهِ تَفَرَّقُوا ؟ يُؤْتَبُ بِهِمْ ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ خَلَفَهُ بِالْمَدِينَةِ بِصَلَّى بِالنَّاسِ ، ثُمَّ قَالَ : دُتُّونِي عَلَى الطَّرِيقِ - يَعْنِي طَرِيقَ  
أَحُدٍ - فَدَلَّوْهُ ، فَجَعَلَ يَسْتَخِيرُ كُلَّ مَنْ لَقِيَ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى لَحِقَ الْقَوْمَ ، فَعَلِمَ بِسَلَامَةِ النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ رَجَعَ . وَكَانَ مِنْ وَلِيِّ عُمَرَ وَعُمَانَ وَالْحَارِثِ بْنِ حَاطِبٍ وَثَعْلَبَةَ  
ابْنِ حَاطِبٍ وَسَوَادَ بْنَ غَزِيَّةٍ وَسَعْدَ بْنَ عُمَانَ وَعُقْبَةَ بْنَ عُمَانَ وَخَارِجَةَ بْنَ عُمَرَ بَلَّغَ مَلَكٌ <sup>(٢)</sup> ،  
وَأَوْسَ بْنَ قَيْظٍ فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ بَلَّغُوا الشَّقْرَةَ <sup>(٣)</sup> وَلَقِيَتْهُمْ أُمُّ أَيْمَنَ تَحْتِي <sup>(٤)</sup> فِي  
وُجُوهِهِمُ التَّرَابَ وَتَقُولُ لِبَعْضِهِمْ : هَاكَ الْمَغْزَلُ فَاغْزِلْ بِهِ ، وَهَلَمْ . وَاحْتَجَّ مِنْ قَالَ بِفِرَارِ  
عُمَرَ بِمَا رَوَاهُ الْوَاقِدِيُّ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي فِي قِصَّةِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ :  
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَمْ تَكُنْ حَدَّثْتَنَا أَنَّكَ سَتَدْخُلُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَتَأْخُذُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ وَتُعَرِّفُ  
مَعَ الْمُعَرِّفِينَ ، وَهَذَا لَمْ يَصِلْ إِلَى الْبَيْتِ وَلَا تُحَرِّ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ :  
أَقُلْتُ لَكُمْ فِي سَفَرِكُمْ هَذَا ؟ قَالَ عُمَرُ : لَا ، قَالَ : أَمَا إِنَّكُمْ سَتَدْخُلُونَهُ وَتَأْخُذُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ  
وَأُحْلِقُ رَأْسِي وَرَدَّ وَسَكَمَ بَبْطُنِ مَسْكَةٍ وَأَعَرَّفَ مَعَ الْمُعَرِّفِينَ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عُمَرَ وَقَالَ : أَنْسَيْتُمْ يَوْمَ

(١) كَذَا فِي ب : وَالَّذِي فِي أ : مَمْنُوع .

(٢) مَلَكٌ ؛ كَجَبَلٍ : مَوْضِعٌ بِهِ . (٣) الشَّقْرَةُ : مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ لِبَنِي سُلَيْمٍ .

(٤) يُقَالُ : حَفَا التَّرَابَ فِي وَجْهِهِ يَحْشُوهُ وَيَحْشِيهِ ، إِذَا رَمَاهُ بِهِ .

أُحَدِّثُكُمْ ، ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ ﴾ <sup>(١)</sup> وأنا أدعوكم في أخراكم ! أنسيتم يوم الأحزاب ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ! أنسيتم يوم كذا ! وجعل يذكركم أمورا ، أنسيتم يوم كذا ! فقال المسلمون : صدق الله وصدق رسوله ، أنت يا رسول الله أعلم بالله منا ، فلما دخل عام القضية وحلق رأسه قال : هذا الذي كنت وعدتكم به ، فلما كان يوم الفتح وأخذ مفتاح الكعبة قال : ادعوا إلى عمر بن الخطاب ، فجاء فقال : هذا الذي كنت قلت لكم . قالوا : فلم يكن فرأ يوم أحد لما قال له : أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون .

\*\*\*

### القول فيما جرى للمسلمين بعد إصعادهم في الجبل

قال الواقدي : حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه قال : لما صاح الشيطان لعنه الله : إن محمدا قد قتل يحزنهم بذلك ، تفرقوا في كل وجه ، وجعل الناس يمشون على النبي صلى الله عليه وآله لا يلوي عليه أحد منهم ، ورسول الله يدعوهم في أفراسهم ، حتى انتهت هزيمة قوم منهم إلى المهراس ، فتوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أصحابه في الشعب فانتهى إلى الشعب وأصحابه في الجبل أوزاع ، يذكرون مقتل من قتل منهم ، ويذكرون ما جاءهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال كعب بن مالك : فكنيت أول من عرفه وعليه المغفر ، فجعلت أصيح وأنا في الشعب : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حي ، فجعل يومئذ إلى يديه على فيه أي أسكت ، ثم دعا بلامتي <sup>(٣)</sup> فلبسها ونزع لأمته .

قال الواقدي : طلع رسول الله صلى الله عليه وآله على أصحابه في الشعب بين السعديين :

(٢) سورة الأحزاب : ١٠ .

(١) سورة آل عمران ١٥٣ .

(٣) اللأمة : الدرر .

سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، وسعد بن معاذ يتكفأ في الدَّرْع ، وكان إذا مشى تكفأ تكفؤا ، ويقال : إنه كان يتوكأ على طلحة بن عبيد الله .

قال الواقدي : وما صلى يومئذ الظهر إلا جالسا للجرح الذي كان أصابه .

قال الواقدي : وقد كان طلحة قال له : إن بي قوة ، فقم لأحملك ، فحمله حتى انتهى إلى الصخرة التي على قم شعيب الجبل ، فلم يزل يحمله حتى رفعه عليها ثم مضى إلى أصحابه ومعه النفر الذين ثبتوا معه ، فلما نظر المسلمون إليهم ظنّوهم قرّيشا ، فجعلوا يولّون في الشعب هارين منهم ، ثم جعل أبو دجانة يلبح إليهم بعمامة حمراء على رأسه ، فمروّوه فرجعوا ، أو بعضهم .

قال الواقدي : ورأى أنه لما طاع عليهم في النفر الذين ثبتوا معهم أربعة عشر ، سبعة من المهاجرين ، وسبعة من الأنصار - جعلوا يولّون في الجبل خائفين منهم يظنّونهم للمشركين ، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله يتبسّم إلى أبي بكر وهو على جنبه ويقول له : ألبح إليهم ، فجعل أبو بكر يلبح إليهم وهم لا يمرّون حتى تزع أبو دجانة عصا به حمراء على رأسه فأوثق<sup>(١)</sup> على الجبل ، فجعل يصيح ويليح ، فوقفوا حتى عرفوهم . ولقد وضع أبو بردة بن نيارسهما على كبد قوسه ، فأراد أن يرمى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، فلما تكلموا وناداهم رسول الله صلى الله عليه وآله أمسك ، وفرح المسلمون برؤيته حتى كأنهم لم تصيبهم في أنفسهم مصيبة ، وسرّوا لسلامته وسلامتهم من المشركين .

قال الواقدي : ثم إن قوما من قریش صعدوا الجبل فقلّوا على المسلمين وهم في الشعب . قال : فكان رافع بن خديج يحدث فيقول : إني يومئذ إلى جنب أبي مسعود الأنصاري وهو يذكر من قتل من قومه ، ويسأل عنهم ، فيخبر برجال : منهم سعد بن

(١) أوثق : أشرف وعلا .



الربيع ، وخارجة بن زهير ، وهو يسترجع<sup>(١)</sup> ويترحم عليهم ، وبعض المسلمين يسأل بعضا عن حميمه وذى رحمه فيهم ، يخبر بعضهم بعضا ، فيبنّاهم على ذلك ردّ الله المشركين ليذهب ذلك الحزن عنهم ، فإذا عدّوهم فوقهم قد علّوا ، وإذا كتائب المشركين بالجبل ، فقسوا ما كانوا يذكرون ، وندبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وحصنا على القتال ، والله لكأنى أنظر إلى فلان وفلان في عرض الجبل يمدوان هاريين .

قال الواقدي : فكان عمر يحدث يقول ، لما صاح الشيطان : قتل محمد ، أقبلت أرقى إلى الجبل ، فكأنى أروية ، فأنتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ الآية ، وأبو سفيان في سفح الجبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو ربّه : اللهم ليس لهم أن يعلّوا . فانكشفوا .

قال الواقدي : فكان أبو أسيد الساعدي يحدث فيقول : لقد رأيتنا قبل أن يلقى النعاس علينا في الشعب وإنا لسلم لمن أرادنا ، لما بنا من الحزن ، فالتقى علينا النعاس ، فقمنا حتى تناطح الحجف<sup>(٢)</sup> ، ثم فرغنا وكأنا لم يصبنا قبل ذلك نكبة . قال : وقال الزبير ابن العوام : غشينا النعاس فما منا رجل إلا وذقنه في صدره من النوم ، فاستمع معتب بن قشير - وكان من المنافقين - يقول : وإني لك لحالم : ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ﴾<sup>(٣)</sup> ، فأنزل الله تعالى فيه ذلك .

قال : وقال أبو اليسر : لقد رأيتني ذلك اليوم في رجال من قومي إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أنزل الله علينا النعاس أمنة منه ، مامنهم رجل إلا يغط غطيظا حتى إن الحجف لتنطح ، ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده

(١) استرجع : قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٢) الحجف بالتحريك : جمع حجة ، وهي الترس .

(٣) سورة آل عمران : ١٥٤ .



وما يشعر به حتى أخذه بعد ما تنلّم ، وإنّ المشركين لتحتنا ، وسقط سيف أبي طلحة أيضا ولم يُصِبْ أهل الشكّ والنفاق نَاسٌ يومئذ ، وإِنَّمَا أَصَابَ النَّعَاسُ أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينَ ، فَكَانَ الْمُنَافِقُونَ يَتَكَلَّمُ كُلُّ مِنْهُمْ بِمَا فِي نَفْسِهِ ، وَالْمُؤْمِنُونَ نَاعِسُونَ .

\*\*\*

قلت : سألتُ ابنَ النَجَّارِ المحدثَ عن هذا الموضع فقلت له : مِن قِصَّةِ أَحَدٍ تُدَلُّ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانَتِ الدَّوْلَةُ لَهُمْ بِأَدَى الْحَالِ ، ثُمَّ صَارَتْ عَلَيْهِمْ ، وَصَاحَ الشَّيْطَانُ : قُتِلَ مُحَمَّدٌ ، فَانْهَزَمُوا كَثْرَهُمْ ، ثُمَّ ثَابَ أَكْثَرُ الْمُهْزِمِينَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَحَارَبُوا دُونَهُ حَرْبًا كَثِيرَةً طَالَتْ مَدَّتُهَا حَتَّى صَارَ آخِرُ النَّهَارِ ، ثُمَّ أَصْعَدُوا فِي الْجَبَلِ مَعْصَمِينَ بِهِ ، وَأَصْعَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَهُمْ ، فَتَحَاجَزَ الْقَرِيقَانِ حِينَئِذٍ ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُدَلُّ عَلَيْهِ تَأْمُلُ قِصَّةَ أَحَدٍ ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْوَاقِدِيُّ يَقْتَضِي غَيْرَ ذَلِكَ ، نَحْوُ رَوَايَتِهِ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، لَمَّا صَاحَ الشَّيْطَانُ : إِنَّ مُحَمَّدًا قُتِلَ ، كَانَ يَنَادِي الْمُسْلِمِينَ فَلَا يَعْرِجُونَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا يُصْعَدُونَ فِي الْجَبَلِ ، وَإِنَّهُ وَجَّهَ نَحْوَ الْجَبَلِ ، فَانْتَهَى إِلَيْهِمْ وَهُمْ أَوْزَاعٌ يَقْتَضُونَ بَقْلًا مِنْ قَتْلِ مَنْهُمْ ؛ وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تُدَلُّ عَلَى أَنَّهُ أَصْعَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْجَبَلِ مِنْ أَوَّلِ الْحَرْبِ ، حَيْثُ صَاحَ الشَّيْطَانُ ، وَصِيَاحُ الشَّيْطَانِ كَانَ حَالِ كَوْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بِالْجَبَلِ مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا غَشِيَهُمْ وَهُمْ مُشْتَغَلُونَ بِالنَّهْبِ وَاخْتِلَاطِ النَّاسِ ، فَكَيْفَ هَذَا !

فَقَالَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ صَاحَ . قَتَلَ مُحَمَّدَ دَفْعَتَيْنِ : دَفْعَةً فِي أَوَّلِ الْحَرْبِ ، وَدَفْعَةً فِي آخِرِ الْحَرْبِ ، لَمَّا تَصَرَّمَ النَّهَارُ وَغَشِيَتِ الْكُتُبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ قُتِلَ نَاصِرُوهُ وَأَكْثَرُهُمْ الْحَرْبِ ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا نَفَرٌ يَسِيرُ لَا يَبْلُغُونَ عَشْرَةَ ، وَهَذِهِ كَانَتْ أَصْعَبُ وَأَشَدُّ مِنَ الْأُولَى ، وَفِيهَا اعْتَصَمَ ، وَمَا اعْتَصَمَ فِي صَرْخَةِ الشَّيْطَانِ الْأُولَى بِالْجَبَلِ ، بَلْ ثَبَتَ وَحَامَى عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَلَقَدْ لَقِيَ فِي الْأُولَى مَشَقَّةً عَظِيمَةً مِنْ ابْنِ قَيْثَةَ وَعُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ وَغَيْرِهِمَا ،

ولكنه لم يفارق عرصة الحرب ، وإنما فارقها وعلم أنه لم يبق له وجه مقام في صرخته الثانية .

قلت له : فكان القوم مختلطين في الصرخة الثانية حتى يصرخ الشيطان : قُتِلَ مُحَمَّدٌ ! قال : نعم ، المشركون قد أحاطوا بالنبي صلى الله عليه وآله وبين بقي معه من أصحابه ، فاختلط المسلمون بهم ، وصاروا مغمورين بينهم ، لقلتهم بالنسبة إليهم ؛ وظن قوم من المشركين أنهم قد قتلوا النبي صلى الله عليه وآله لأنهم فقدوا وجهه وصورته ، فنادى الشيطان : قُتِلَ مُحَمَّدٌ ، ولم يكن قُتِلَ صلى الله عليه وآله ، ولكن اشبهت صورته عليهم وظنوه غيره ، وأكثر من حامى عنه في تلك الحال على عليه السلام وأبو دُجَانة وسهلُ ابنُ حنيفة ، وحامى هو عن نفسه ، وجرح قوما بيده تارة بالسهم ، وتارة بالسيف ولكن لم يعلموا بأعيانهم لاختلاط القوم وثوران النقع<sup>(١)</sup> ، وكانت قريش تظنه واحداً من المسلمين ، ولو عرفوه بعينه في تلك الثورة لكان الأمر صعباً جداً ، ولكن الله تعالى عصمه منهم بأن أزاغ أبصارهم عنه ، فلم يزل هؤلاء الثلاثة يجالدون دونه ، وهو يقرب من الجبل حتى صار في أعلى الجبل ، أصعد من قم الشعب إلى تدرج هناك في الجبل ، ورقي في ذلك التدرج صاعداً حتى صار في أعلى الجبل ، وتبعه نفر الثلاثة فلحقوا به .

قلت له : فما بال القوم الذين صعدوا الجبل من المشركين ، وكيف كان إصعادهم وعودهم ؟

قال : أصعدوا لحرب المسلمين لا لطلب رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ لأنهم ظنوا أنه قد قُتِلَ ، وهذا هو كان السبب في عودهم من الجبل ، لأنهم قالوا : قد بلغنا الغرض

(١) النقع : غبار الحرب .

الأصلى وقتلنا محمداً ، فمالنا والتصميم على الأوس والخزرج وغيرهم من أصحابه ، مع ما في ذلك من عظم الخطر بالأنفس !

قلت له : فإذا كان هذا قد خَطَرَ لهم ، فلماذا صعدوا في الجبل .  
قال : يخطر لك خاطر ، ويدعوك داعٍ إلى بعض الحركات ، فإذا شرعت فيها خَطَرَ لك خاطر آخر يصرفك عنها ، فترجع ولا تنمها !  
قلت : نعم فما بالهم لم يقصِدوا قصدَ المدينة وينهبوها ؟

قال : كان فيها عبدُ الله بنُ أبيّ في ثلثائة مقاتل وفيها خلق كثير من الأوس والخزرج ، لم يحضروا الحرب وهم مسلمون ، وطوائف أخرى من المنافقين لم يخرجوا ، وطوائف أخرى من اليهود ، أو لؤ باس وقوة ، ولهم بالمدينة عيال وأهل ونساء ، وكل هؤلاء كانوا يحامون عن المدينة ، ولم تكن قريش تأمن مع ذلك أن يأتيها رسولُ الله صلى الله عليه وآله من ورائها بمن يجامعه من أصحابه فيحصلوا بين الأعداء من خلفهم ومن أمامهم ، فكان الرأي الأصوبُ لهم العدول عن المدينة وترك قصدِها .

\*\*\*

قال الواقدي : حدثني الضحاك بن عثمان ، عن حمزة بن سعيد ، قال : لما تجاوزوا وأراد أبو سفيان الانصرافَ ، أقبل يسيراً على فرس له حوراء <sup>(١)</sup> ، فوقف على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم في عرض الجبل ، فنادى بأعلى صوته : أعل هبل ثم صاح : أين ابن أبي كبشة ؟ يومٌ بيوم بدر ، ألا إن الأيام دُول .

وفي رواية أنه نادى أبا بكر وعمر أيضاً ، فقال : أين ابنُ أبي قحافة ؟ أين ابن الخطّاب ؟ ثم قال : الحربُ سجال ، حنظلةٌ بحنظلة ، يعني حنظلة بن أبي عامر بحنظلة بن

(١) حوراء : واسعة العينين .

أبي سفيان ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، أجيبه ؟ قال : نعم فأجبه ، فلما قال : أعل هبل قال عمر : الله أعلى وأجل .

وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعُمَرَ : قُلْ لَهُ : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ ، فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : إِنْ لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَوْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُلْ لَهُ : اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ ، فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : إِنَّهَا قَدْ أَنْعَمْتَ ، فَقَالَ : عَنْهَا يَا بَنِي الْخَطَّابِ ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ : أَلَا إِنَّ الْإِيَّامَ دَوْلٌ وَإِنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ ، فَقَالَ عُمَرُ : وَلَا سِوَاهُ <sup>(١)</sup> ؛ قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلَاكُمْ فِي النَّارِ ، فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ ذَلِكَ لَقَدْ جَبَّئْنَا إِذَا وَخَسَرْنَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِي الْخَطَّابِ ، قُمْ إِلَى أَكْثَمِكَ : فَقَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ : أَنْشُدْكَ بِدِينِكَ : هَلْ قَتَلْنَا مُحَمَّدًا ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ لَا ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ كَلَامَكَ الْآنَ ، قَالَ : أَنْتَ عِنْدِي أَصْدَقُ مِنْ ابْنِ قَيْثَةٍ ، ثُمَّ صَاحَ أَبُو سَفْيَانَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ : إِنَّكُمْ وَاجِدُونَ فِي قَتْلَاكُمْ عُنْتَا وَمِثْلًا ، أَلَا إِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَنْ رَأْيِ سَرَاتِنَا ، ثُمَّ أَدْرَكَتْهُ حَيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ : وَأَمَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَلَمْ نَكْرَهُهُ ؟ ثُمَّ نَادَى : أَلَا إِنْ مَوْعِدَكُمْ بِدَرِ الصَّفْرَاءِ ، عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ ، فَوَقِفْ عُمَرُ وَقْفَةً يَنْتَظِرُ مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : قُلْ : نَعَمْ ، فَانْصَرَفَ أَبُو سَفْيَانَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَأَخَذُوا فِي الرَّحِيلِ ، فَاشْفَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَى الْمَدِينَةِ فَيَهْلِكُ الدَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلسَّعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ : اذْهَبْ فَأَتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ رَكِبُوا الْإِبِلَ وَجَنَّبُوا <sup>(٢)</sup> الْخَلِيلَ فَهُوَ الظَّنُّ إِلَى مَكَّةَ ، وَإِنْ رَكِبُوا الْخَلِيلَ وَجَنَّبُوا الْإِبِلَ فَهُوَ الْقَارَةُ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنْ سَارُوا إِلَيْهَا لِأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ ثُمَّ لَأَنَاجِزَنَّهُمْ . قَالَ سَعْدٌ : فَتَوَجَّهْتُ أَسْمَى وَأَرَصَدْتُ نَفْسِي إِنْ أَفْرَعَنِي شَيْءٌ رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَسْمَى ، فَبَدَأَتْ بِالسَّعْيِ حِينَ ابْتَدَأَتْ ، فَخَرَجَتْ فِي آثَارِهِمْ

(١) وَلَا سِوَاهُ : يَهْنِي لَا يَسْتَوِي هَذَا وَذَاكَ .

(٢) جَنَّبُوا الْخَلِيلَ ، أَيِ سَاقَوْهَا إِلَى جَانِبِهِمْ .

حتى إذا كانوا بالعقيق<sup>(١)</sup> وأنا بحيث أراهم وأنا ملهم ركبوا الإبل وجنبوا الحيل ، فقلت : إنه الظعن إلى بلادهم ، ثم وقفوا وقفةً بالعقيق ، وتشاوروا في دخول المدينة ، فقال لهم صفوان ابن أمية : قد أصبتم القوم ، فانصرفوا ولا تدخلوا عليهم وأنتم كاللون ، ولكم الظفر ، فإنكم لا تدرون ما ينشأكم ، فقد وليتم يوم بدر ، لا والله ما تبعوكم وكان الظفر لهم . فيقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نهام صفوان . فلما رأهم سعد على تلك الحال منطلقين وقد دخلوا في المكن رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالنكسر فقال : وجه القوم يا رسول الله إلى مكة ، امتطوا الإبل وجنبوا الحيل . فقال : ماتقول ؟ قلت : ما قلت يا رسول الله ، نفلا بي فقال : أحقاً ماتقول ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : فما بالي رأيتك منكسراً ؟ فقلت : كرهت أن آتي المسلمين فرحاً بقولهم إلى بلادهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن سعداً لمجرب .

قال الواقدي : وقد روى خلاف هذا ، روى أن سعداً لما رجع رفع صوته بأن جنبوا الحيل ، وامتطوا الإبل ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إلى سعد : خفف صوتك فإن الحرب خدعة ، فلا ترى الناس مثل هذا الفرح بانصرافهم ، فإنما ردهم الله تعالى .

قال الواقدي : وحدثني ابن أبي سبرة ، عن يحيى بن شبل ، عن أبي جعفر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص : إن رأيت القوم يريدون المدينة فأخبرني فيما بيني وبينك ، ولا تقت في أعضاء المسلمين ، فذهب فرآهم قد امتطوا الإبل ، فرجع ، فما ملك أن جعل يصيح سروراً بانصرافهم .

قال الواقدي : وقيل لعمر بن العاص : كيف كان افتراق المسلمين والمشركين يوم

(١) العقيق : موضع بالمدينة فيه عور ونخيل . ( باقوت ) .

أحد؟ فقال : ما تريدون إلى ذلك ! قد جاء الله بالإسلام، ونفى الكفر وأهله ، ثم قال :  
 لما كررنا عليهم أصبنا من أصبنا منهم وتفرقوا في كل وجه ، وقامت لهم فئة بعد ؛  
 فتشاورت قريش ، فقالوا : لنا الغلبة ، فلو انصرفنا ، فإنه بلغنا أن ابن أبي انصرف بثلاث  
 الناس ، وقد تخلف الناس من الأوس والخزرج ، ولا نأمن أن يكرروا علينا ، وفينا جراح ،  
 وخيلنا عامتها قد عقرت من النبل ، فمضينا ، فما بلغنا الروحاء <sup>(١)</sup> حتى قام علينا عدة منها ؛  
 وانصرفنا إلى مكة .

قال الواقدي : حدثني إسحاق بن يحيى بن طلحة ، عن عائشة ؛ قال : سمعت أبا بكر  
 يقول : لما كان يوم أحد ورأي رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه حتى دخلت في وجهه  
 حلقتان من المغفر ، أقبلت أسعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنسان قد أقبل من  
 قبل المشرق يطير طيرانا ، فقلت : اللهم اجعله طلحة بن عبيد الله ؛ حتى توافينا إلى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أبو عبيدة بن الجراح ، فبدرني فقال : أسألك بالله  
 يا أبا بكر ألا تركتني فأنزعه من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو بكر :  
 فتركته . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم صاحبكم » ، يعني طلحة ، فأخذ  
 أبو عبيدة بثنيته حلقة المغفر ، فنزعها وسقط على ظهره ، وسقطت ثنية أبي عبيدة ، ثم  
 أخذ الحلقة بثنيته الأخرى ، فسكان أبو عبيدة في الناس أثرم <sup>(٢)</sup> . ويقال : إن الذي نزع  
 الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن وهب بن كلفة ؛ ويقال : أبو اليسر .  
 قال الواقدي : وأثبت ذلك عندنا عقبة بن وهب بن كلفة .

قال الواقدي : وكان أبو سعيد الخدري يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الروحاء : موضع على أربعين ميلا من المدينة .

(٢) الأثرم : الذي لا أسنان له .

أصيب وجهه يوم أحد ، فدخلت الخلقتان من المغفر في وجنتيه ، فلما نُزِعنا جعل الدم يسرب كما يسرب الشن<sup>(١)</sup> ، فجعل مالك بن سنان يمسح الدم بفيه ، ثم ازدردده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ خَالَطَ دَمَهُ بَدَى فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ . فقيل لمالك : تشرب الدم ! فقال : نعم ؛ أشرب دم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « مَنْ مَسَّ دَمَهُ دَمِي لَمْ نُصِبه النار » . قال الواقدي : وقال أبو سعيد : كنا ممن رُدَّ من الشيخين<sup>(٢)</sup> لم نجئ مع المُقاتلة ، فلما كان من النهار بلغنا مصاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتفرق الناس عنه ، جثت مع غلمان بني خُدرة نعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله ننظر إلى سلامته ، فخرج بذلك إلى أهلنا ، فلقينا الناس متفرقين يبطن قناة ، فلم يكن لنا همة إلا النبي صلى الله عليه وسلم ، ننظر إليه ؛ فلما رآني قال : سعد بن مالك ! قلت : نعم ، بأبي أنت وأمي ! ودنوت منه ، فقبلت ركبته وهو على فرسه ؛ فقال : أجرك الله في أيك ! ثم نظرت إلى وجهه ، فإذا في وجنتيه مثل موضع الدرهم في كل وجنة ، وإذا شجرة في جبهته عند أصول الشعر ، وإذا شفته السفلى تدمى ، وإذا في رباعيته اليمنى شظية ، وإذا على جرحه شيء أسود ، فسألت : ما هذا على وجهه ؟ فقالوا : حصيد محرق . وسألت : مَنْ أذى وجنتيه ؟ فقيل : ابن قبيصة ، فقلت : فمن شجّه في وجهه ؟ فقيل : ابن شهاب ؛ فقلت : مَنْ أصاب شفتيه ؟ قيل : عتبة بن أبي وقاص . فجعلت أعدو بين يديه حتى نزل ببابه ، ما نزل إلا محمولا ، وأرى ركبتيه مجحوشتين<sup>(٣)</sup> يسكى<sup>(٤)</sup> السعديين : سعد بن معاذ وسعد ابن عباد ؛ حتى دخل بيته ، فلما غربت الشمس وأذن بلال بالصلاة ، خرج على تلك الحال .

(١) الشن : القرية الخلق .

(٢) الشيخان : موضع بالمدينة ؛ كان به معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، وهما أطمان سياه .

(٣) يقال : جعش الجلد : سحجه ؛ وهو كاللُدش أو فوّه .

(٤) من أ .



يتوَكَّأُ على السَّعْدَيْنِ : سعد بن عبادَة وسعد بن معاذ ، ثم انصرف إلى بيته والناس في المسجد يوقِدُونَ النيرانَ يَمَكِدُونَ بها من الجراح ، ثم أذن بلالٌ بالعشاء حين غاب الشفق ، فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بلالٌ عند بابه صلى الله عليه وسلم حتى ذهبَ ثلث الليل ، ثم ناداه : الصلاة يا رسول الله ! فخرج ، وقد كان نائماً ، قال : فرمقته فإذا هو أخفّ في مشيته منه حين دخل بيته ، فصلّيت معه العشاء ، ثم رجعتُ إلى بيته قد صَفَفَ له الرجالُ ما بين بيته إلى مُصَلَّاهُ يمشي وحده حتى دخل ، ورجعتُ إلى أهلي فخبّرتهم بسلامته ، فحمدوا الله وناموا ، وكانت وجوه الأوس والخزرج في المسجد على النبي صلى الله عليه وسلم يحرسونه فرَقاً من قریش أنْ تَكرَ .

قال الواقديّ : وخرجت فاطمة عليها السلام في نساء ، وقد رأت الذي بوجه أبيها صلى الله عليه وسلم ، فاعتنقته ، وجعلت تمسح الدم عن وجهه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اشتدَّ غضبُ الله على قوم دَمَوْا وجهَ رسوله . وذهب عليّ عليه السلام فأُتِيَ بماء من المنهراس ، وقال : لفاطمة امسكي هذا السيف غير ذمّيه ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم محتضباً بالدم ، فقال : لئن كنت أحسنت القتال اليوم ، فلقد أحسن عاصمُ بن ثابت والحارث بن الصّمة وسهل بن حنيفة ، وسيف أبي دُجانة غير مذموم ؛ هكذا روى الواقديّ .

وروى محمد بنُ إسحاق أن عليّاً عليه السلام قال لفاطمة بيتي شعر ، وهما :

أَفَاطِمَ هاء السَّيفِ غير ذمير	فلستُ برعْد يدٍ ولا بلثيم
لعمري لقد جاهدتُ في نصر أحدٍ	وطاعة ربٍّ بالعباد رحيم

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدق معك سمالك بن خراشة ، وسهل بن حنيفة .



قال الواقدي : فلما أحضر علي عليه السلام ، الماء أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشرب منه ، فلم يستطع ، وقد كان عطشاً ، ووجد ريحاً من الماء كرهها ، فقال : هذا ماء آجن ، فتمضمض منه للدم الذي كان به فيه ثم سحبه ، وغسلت فاطمة به الدم عن أبيها صلى الله عليه وسلم ، فخرج محمد بن مسلمة يطب مع النساء ، وكن أربع عشرة امرأة ، قد جئن من المدينة يتلقين الناس منهن فاطمة عليها السلام يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ، ويسقين الجرحى ويدأوينهم .

قال الواقدي : قال كعب بن مالك : رأيت عائشة وأم سليم على ظهورهما القرب تحملانها يوم أحد ، وكانت حنة بنت جحش تسقى العطشى وتداوى الجرحى ، فلم يجد محمد بن مسلمة عندهن ماء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتد عطشه ، فذهب محمد بن مسلمة إلى قناة ومعه سقاؤه حتى استقى من حصى - قناة عند قصور التميميين اليوم - فجاء بماء عذب ، فشرب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه بخير ، وجعل الدم لا ينقطع من وجهه عليه السلام وهو يقول : لن ينالوا منّا مثلاً حتى نستلم الركن ! فلما رأت فاطمة الدم لا يرقأ وهي تفصل جراحه ، وعلي يصب الماء عليها بالحن ، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ، ثم ألصقته بالجرح ، فاستمسك الدم . ويقال : إنهادوته بصوفة محرقة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مداوى الجراح الذي في وجهه بعظم بال حتى ذهب أثره . ولقد مكث يجد وهن ضربة ابن قبيصة على عاتقه شهراً أو أكثر من شهر ، ويدأوى الأثر الذي في وجهه بعظم .

قال الواقدي : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن ينصرف إلى المدينة : من يأتينا بخير سعد بن الربيع أفأني رأيتمو وأشار بيده إلى ناحية من الوادي - قد شرع فيه اثنا عشر سنناً ، فخرج محمد بن مسلمة - ويقال أبي بن كعب - نحو تلك الناحية . قال : فأنا وسط القتلى لتعرفهم ، إذ مررت به صريماً في الوادي ، فناديت فلم يجب ، ثم قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني إليك . قال : فتنفّس كما يتنفس الطير ؛ ثم قال :

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لحى<sup>(١)</sup> ! قلت : نعم ، وقد أخبرنا أنه شرع لك اثنا عشر سنانا ، فقال : طعنت اثنتي عشرة طعنة كلها أجافتنى ، أبلغ قومك الأنصار السلام وقل لهم : الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ! والله مالكم عذر عند الله إن خلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف ؛ فلم أرم<sup>(٢)</sup> من عنده حتى مات ؛ فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فرأيت استقبل القبلة واقفاً يديه يقول : « اللهم ألق سعد بن الربيع وأنت عنه راضٍ » .

قال الواقدي : وخرجت السمداء بنت قيس ؛ إحدى نساء بني دينار ، وقد أصيب ابنها مع النبي صلى الله عليه وآله بأحد : النعمان بن عبد عمر ، وسليم بن الحارث ، فلما نعيها لها قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قالوا : بخير ، هو بحمد الله صالح على ماتحبين ، فقالت : أرؤيته أنظر<sup>(٣)</sup> إليه ، فأشاروا لها إليه ، فقالت : كل مصيبة بعدك يا رسول الله جل<sup>(٤)</sup> ! وخرجت تسوق<sup>(٥)</sup> بابنيها بعيرا ، [ تردها إلى المدينة ]<sup>(٦)</sup> ؛ فلقيتها عائشة ؛ فقالت : ما وراءك ؟ فأخبرتها<sup>(٧)</sup> ، قالت : فمن هؤلاء معك ؟ قالت ابناي ؛ حل<sup>(٨)</sup> .

قال الواقدي . وكان حمزة بن عبد المطلب أول من جرى به إلى النبي صلى الله عليه وآله بعد انصراف قريش - أو كان من أولهم - فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم قال : رأيت الملائكة تغسله - قالوا : لأن حمزة كان جنباً ذلك اليوم ولم يغسل رسول الله صلى الله عليه وآله الشهداء يومئذ ، وقال : لفؤم بدمائهم وجراحهم ، فإنه ليس أحد يخرج في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة لون جرحه لون الدم ، وريحه ريح المسك ، ثم

(١) لم أرم : لم أبرح . (٢) جل ، أى هينة . (٣) من الواقدي .  
(٤) في الواقدي : قالت : أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فبخير لم يميت ، واتخذ الله من المؤمنين شهداء : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ .  
(٥) حل : زجر البعير .

قال : ضَعَوْهم فَأَنَا الشَّهِيدُ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَكَانَ حِمْزَةٌ أَوَّلَ مَنْ كَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا ، ثُمَّ جُمِعَ إِلَيْهِ الشَّهَدَاءُ فَكَانَ كُلُّمَا أَتَى بِشَهِيدٍ وَضِعَ إِلَى جَنْبِ حِمْزَةٍ فَصَلَّى عَلَيْهِ وَعَلَى الشَّهِيدِ ، حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعِينَ مَرَّةً ، لِأَنَّ الشَّهَدَاءَ سَبْعُونَ .

قال الواقدي . ويقال : كَانَ يُؤْتَى بِتِسْعَةٍ وَحِمْزَةٍ عَاشِرِهِمْ ، فَيُصَلَّى عَلَيْهِمْ ، وَتُرْفَعُ التَّسْعَةُ ، وَيُتْرَكُ حِمْزَةُ مَكَانِهِ ، وَيُؤْتَى بِتِسْعَةٍ آخَرِينَ فَيُوضَعُونَ إِلَى جَنْبِ حِمْزَةٍ فَيُصَلَّى عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِمْ ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ كَبَّرَ عَلَيْهِ خَمْسًا وَسَبْعًا وَتِسْعًا .

قال الواقدي : وَقَدْ اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَةُ فِي هَذَا ، وَكَانَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُونَ : صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ ، وَقَالَ : « أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ » ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَلَسْنَا إِخْوَانَهُمْ أَسْلَمْنَا كَمَا أَسْلَمُوا ، وَجَاهَدْنَا كَمَا جَاهَدُوا ! قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ لَمْ يَأْكُلُوا مِنْ أَجُورِهِمْ ، شَيْئًا ، وَلَا أُدْرَى مَا تَحْدِثُونَ بَعْدِي ! فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ : إِنَّا لَكَائِنُونَ بَعْدَكَ !

وقال أنس بن مالك وسعيد بن المسيب : لَمْ يَصَلِّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَلَاةً قَتْلَى أُحُدٍ .

قال الواقدي : وَقَالَ لِأَهْلِ الْقَتْلِ : احْفَرُوا وَأَوْسِعُوا وَأَحْسِنُوا ، وَادْفِنُوا الْاِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ ، وَقَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قَرَأْنَا . وَأَمْرٌ بِحِمْزَةٍ أَنْ تَمُدَّ بُرْدَتَهُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْقَبْرِ ، وَكَانَتْ قَصِيرَةً ، فَكَانُوا إِذَا حَفَرُوا بِهَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِذَا حَفَرُوا بِهَا رِجْلَيْهِ انْكَشَفَ وَجْهُهُ ، فَبَكَى الْمُسْلِمُونَ يَوْمَئِذٍ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ يُقْتَلُ فَلَا يُوْجَدُ لَهُ ثَوْبٌ ! فَقَالَ : بَلَى ؛ إِنَّكُمْ بِأَرْضِ جَرْدِيَّةٍ <sup>(١)</sup> ذَاتِ أَحْجَارٍ ، وَسَتَفْتَحُ — يَعْنِي الْأَرْيَافَ وَالْأَمْصَارَ — فَيُخْرِجُ النَّاسُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ يَبْعَثُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرُ لِمَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ؛

(١) جردية : قال الواقدي : التي ليس بها شيء من الأشجار .

والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَصِيرُ نَفْسٌ عَلَى لَأَوَائِهَا وَشِدَّتِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهَا شَفِيعًا - أَوْ قَالَ :  
شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

قال الواقدي : وَأَتَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي خِلَافَةِ عُمَانَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ وَطَعَامُ فَقَالَ :  
وَلَكِنْ حِمزة لم يوجد له كَفَنٌ ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ لم يوجد له كَفَنٌ ، وَكَانَا  
خَيْرًا مِنِّي !

قال الواقدي : وَمرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وَهُوَ مَقْتُولٌ  
مَسْجُوعٌ بِبُرْدَةٍ خَلَقَ ، فَقَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُكَ بِمَكَّةَ وَمَا بِهَا أَحَدٌ أَرْقَ حُلَّةً وَلَا أَحْسَنَ لِمَمَّةٍ مِنْكَ ،  
ثُمَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَشْعَثُ الرَّأْسِ فِي هَذِهِ الْبُرْدَةِ ! ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقُبِرَ ، وَنُزِلَ فِي قَبْرِ أَخِيهِ أَبُو  
الرُّومِ وَعَاصِرِ بْنِ رَبِيعَةَ وَسُوَيْبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرْمَلَةَ ، وَنُزِلَ فِي قَبْرِ حِمزة عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ وَالزُّبَيْرُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ جَالِسٌ عَلَى حَفْرَتِهِ .

قال الواقدي : ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ أَوْ عَامَّتَهُمْ سَخَلُوا قَتْلَاهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ مِنْهُمْ  
عِدَّةٌ ، عِنْدَ دَارِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَدُفِنَ بَعْضُهُمْ بَيْنَ سَلْمَةَ ، فَنادى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَآلُهُ : رُدُّوا الْقَتْلَى إِلَى مَضَاجِعِهِمْ - وَكَانَ النَّاسُ قَدْ دَفَنُوا قَتْلَاهُمْ - فَلَمْ يَرِدْ أَحَدٌ أَحَدًا  
مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا أَدْرَكَهُ الْمُنَادِي وَلَمْ يَدْفَنْ ، وَهُوَ شِمَاسُ بْنُ عُمَانَ الْخَزَوِجِيُّ ، كَانَ قَدْ  
حُلَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبِهِ رَمَقٌ ، فَأَدْخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ أُمُّ سَلْمَةَ : ابْنُ عُمَى يَدْخُلُ إِلَى غَيْرِي !  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ : احْمِلُوهُ إِلَى أُمِّ سَلْمَةَ ، فَحَمَلُوهُ إِلَيْهَا فَاتَتْ عَنْدهَا ،  
فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ أَنْ يُرَدَّ إِلَى أَحَدٍ فَيُدْفَنَ هُنَاكَ كَمَا هُوَ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي  
مَاتَ فِيهَا ، وَكَانَ قَدْ مَكَثَ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَلَمْ يَذُقْ شَيْئًا ، فَلَمْ يَصِلْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَآلُهُ وَلَا غَسَلَهُ .

قال الواقدي : فَأَمَّا الْقُبُورُ الْمُجْتَمِعَةُ هُنَاكَ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّهَا قُبُورَ قَتْلَى أَحَدٍ ،  
وَكَانَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَعَبَادُ بْنُ تَمِيمٍ الْمَازَنِيُّ يَقُولَانِ : هِيَ قُبُورُ قَوْمٍ مِنَ الْأَعْرَابِ كَانُوا

عام الرمادة في عهد عمر هناك ، فاتوا ، فتلك قبورهم . وكان ابن أبي ذئب وعبد العزيز ابن محمد يقولان : لانعرف تلك القبور المجتمعة ، إنما هي قبور ناس من أهل البادية ، قالوا : إننا نعرف قبر حمزة وقبر عبد الله بن حزام وقبر سهل بن قيس ، ولا نعرف غير ذلك .

قال الواقدي : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يزور قتلى أحد في كل حول ، وإذا لقوه بالشعب رفع صوته يقول : السلام عليكم بما صبرتم فنعمة عقي الدار ! وكان أبو بكر يفعل مثل ذلك ، وكذلك عمر بن الخطاب ؛ ثم عثمان ، ثم معاوية ؛ حين يمر حاجاً ومعتبراً .

قال : وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تأتيهم بين اليومين والثلاثة فتبكي عندهم وتدعو ، وكان سعد بن أبي وقاص يذهب إلى ماله بالغابة ، فيأتي من خلف قبور الشهداء فيقول : السلام عليكم ؛ ثلاثاً ، ويقول : لا يسلم عليهم أحدٌ إلا ردوا عليه السلام إلى يوم القيامة . قال : ومرة رسول الله صلى الله عليه وآله على قبر مصعب بن عمير ، فوقف عليه ، ودعا وقرأ : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ <sup>(١)</sup> ، ثم قال : إن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة ، فاتوهم فزورهم وسلموا عليهم ، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحدٌ إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه . وكان أبو سعيد الخدري يقف على قبر حمزة فيدعو ويقرأ ويقول مثل ذلك . وكانت أم سلمة رحمها الله ؛ تذهب فتسلم عليهم في كل شهر فتظل يومها ، فجاءت يوماً ومعه غلامها أنبان ، فلم يسلم ، فقالت : أي لكع إلا تسلم عليهم ! والله لا يسلم عليهم أحدٌ إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة .

قال : وكان أبو هريرة وعبد الله بن عمر يذهبان فيسلمان عليهم ؛ قالت فاطمة

الخرزاعية : سلمت على قبر حمزة يوماً ومعى أخت لي ؛ فسمعتنا من القبر قائلاً يقول :  
وعليكما السلام ورحمة الله ! قالت : ولم يكن قربنا أحد من الناس .

قال الواقدي : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من دفنهم دعا بفرسه فركبه ،  
وخرج المسلمون حوله عامتهم جرحى ، ولا مثل بنى سليمة وبنى عبد الأشهل ، فلما كانوا  
بأصل الحرّة قال : اصطفوا ، فاصطف الرجال صقّين ، وخلفهم النساء وعدّتهن أربع  
عشرة امرأة ، فرفع يديه فدعا ، فقال : اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ،  
ولا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ،  
ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قرّبت . اللهم إني أسألك من برّكتك ورحمتك  
وفضلك وعافيتك ، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك  
الأمن يوم الخوف ، والعناء يوم الفاقة ، عاندا بك ، اللهم من شرّ ما أعطيت ، ومن  
شرّ ما منعت ، اللهم توقنا مسلمين ، اللهم حبّب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وكرّه  
إلينا الكفر والفسق والمصيان ، واجعلنا من الراشدين ، اللهم عذب كفرة أهل  
الكتاب الذين يكذبون رسلك ، ويصدّون عن سبيلك ، اللهم أنزل عليهم رجلك  
وعذابك إله الحق ، آمين !

قال الواقدي : وأقبل حتى نزل بيني سحابة يميناً حتى طلع على بنى عبد الأشهل  
وهم يبكون على قتلاهم ، فقال : لكن حمزة لا بواكي له ! فخرج النساء ينظرون إلى سلامة  
رسول الله صلى الله عليه وآله ، فخرجت إليه أمّ عامر الأشهلية ، وتركت التّوحيّ ، فنظرت  
إليه وعليه الدرع كما هي ، فقالت : كل مصيبة بعدك جَلَل . وخرجت كبشة بنت عتبة  
ابن معاوية بن بلحارث بن الخزرج تعدّو نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وهو واقف  
على فرسه ، وسعد بن معاذ أخذ بعنان فرسه ، فقال سعد : يا رسول الله ، أمي ، فقال :  
مرحبا بها ! فدنّت حتى تأملتّه ، وقالت : إذ رأيتك سالماً فقد شفّت<sup>(١)</sup> المصيبة . فعزّاهما بعمره

(١) شفّت المصيبة ؛ أي هانت .



ابن معاذ، ثم قال : يا أمّ سعد : أبشري وبشري أهليهم أن قتلاهم قد توافقوا في الجنة جميعا وهم اثنا عشر رجلا ، وقد شفّعوا في أهليهم ، فقالت : رضينا يا رسول الله ، ومن يبيكي عليهم بعد هذا ! ثم قالت : يا رسول الله ، ادع لمن خلّفوا ، فقال : اللهم أذهب حزن قلوبهم ، وآجر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلّفوا . ثم قال لسعد بن معاذ : خلّ أبا عمرو الدابة ؛ فحلّ القرس ، وتبعه الناس ، فقال : يا أبا عمرو ، إن الجراح في أهل دارك فاشية ، وليس منهم مجروح إلا يأتي يوم القيامة جرحه كأعز ما كان ؛ اللون لون دم ، والريح ريح مسك ، فمن كان مجروحا فليقرّ في داره وليداو جرحه ، ولا تبلغ معي بيتي ؛ عزمة مني . فنأدى فيهم سعد : عزمة من رسول الله صلى الله عليه وآله ألا يتبعه جريح من بني عبد الأشهل ، فتخلف كل مجروح ، وباتوا يوقدون النيران ويدأون الجراح ، وإن فيهم ثلاثين جريحا ، ومضى سعد بن معاذ مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيته ، ثم رجع إلى نسائه فساكن ، فلم تبق امرأة إلا جاء بها إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فبكين بين المغرب والعشاء ، وقام رسول الله صلى الله عليه وآله حين فرغ من النوم لثلاث الليل ، فسمع البكاء فقال : ما هذا ؟ قيل : نساء الأنصار يبكين على حمزة ، فقال : رضى الله تعالى عنكن وعن أولادكن ؛ وأمر النساء أن يرجعن إلى منازلهن ، قالت أمّ سعد بن معاذ : فرجعنا إلى بيوتنا بعد ليل ومعنا رجالنا ، فابكت منا امرأة قطّ إلا بدأت بحمزة إلى يومنا هذا . ويقال : إن معاذ بن جبل جاء بنساء بني سلمة ، وجاء عبد الله بن رواحة بنساء بلحارث بن الخزرج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما أردت هذا ؛ ونهاهنّ الغد عن النوح أشدّ النهي .

قال الواقدي : وجعل ابن أبي والنافقون معه يشمتون ويسرّون بما أصاب المسلمين ، ويظهرون أقبح القول ، ورجع عبد الله بن أبي إلى أبيه وهو جريح ، فبات يكوّى الجراحة بالنار ، حتى ذهب عامة الليل وأبوه يقول : ما كان خروجك مع محمد إلى هذا



الوجه برأى ؛ عصاني محمد وأطاع الولدان ! والله لكأنى كنت أنظر إلى هذا ، فقال ابنه : الذي صنع الله لرسوله والمسلمين خير إن شاء الله . قال : وأظهرت اليهود القول السيئ ، وقالوا : ما محمد إلا طالب ملك ، ما أصيب هكذا نبي قط في بدنه وأصيب في أصحابه ؛ وجعل المنافقون يُخَذِّلُونَ<sup>(١)</sup> عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه ويأمرهم بالتفرق عنه ، وقالوا لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله : لو كان من قُتِلَ منكم عندنا ما قُتِلَ ؛ حتى سمع عمر بن الخطاب ذلك في أماكن ، فعمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه في قتل من سمع ذلك منهم من اليهود والمنافقين ، فقال له : يا عمر ، إن الله مظهر دينه ، ومعرّ نبيه ، ولليهود ذمة فلا أقتلهم . قال : فهؤلاء المنافقون يارسول الله يقولون ، فقال : أليس يُظهرون شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ! قال : بلى ، وإنما يفعلون تموّذا من السيف ، وقد بان لنا أمرهم ، وأبدي الله أضعافهم عند هذه النكبة ، فقال : إني نهيت عن قتل من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله يابن الخطاب ، إن قریشا لن ينالوا ما نالوا منا مثل هذا اليوم حتى تستلم الركن<sup>(٢)</sup> .

وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إخوانكم لما أصيبوا بأحد جمعت أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة فتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظلّ العرش ، فلما وجدوا طيب مطعمهم ومشرّبهم ورأوا حسن منقلبهم قالوا : ليت إخواننا يعلمون بما أكرمنا الله وبما نحن فيه لئلا يزهدوا في الجهاد ، ويكفوا عند الحرب ! فقال لهم الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

(٢) استلم الركن : قبله أو لمسه بيده .

(١) يخذّلون عنه : يمتعون من أصرته .

(٣) سورة آل عمران ١٦٩ .

## القول فيما جرى للمشركين بعد انصرافهم إلى مكة

قال الواقدي : حدثني موسى بن شيبة ، عن قطن بن وهيب الليثي ، قال : لما تحاجز الفريقان ، ووجه قريش إلى مكة ، وامتطوا الإبل ، وجنبوا الخيل ، سار وحشي ، عبد جبير ابن مطعم على راحلته أربعاً ، فقدم مكة يبشر قريشا بمصاب المسلمين ، فأنهى إلى الثانية التي تطلع على الحجون فنادى بأعلى صوته : يا معشر قريش ، صرارا ، حتى تاب الناس إليه وهم خائفون أن يأتيهم بما يكرهون ، فلما رضى منهم قال : أبشروا فقد قتلنا من أصحاب محمد مقتلة لم تقتل مثلاً في زحف قط ، وجرحنا محمداً فأثبتناه بالجراح ، وقتلنا رأس الكتبية حمزة بن عبد المطلب ، ففترق الناس عنه في كل وجه بالشتمة يقتل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وإظهار السرور ، وخلا جبير بن مطعم بوحشي ، فقال : انظر ما تقول ! قال وحشي : قد والله صدقت . قال : قتلت حمزة ؟ قال : إي والله ولقد زرقته بالزراق<sup>(١)</sup> في بطنه ، فخرج من بين نخذه ، ثم نودي فلم يجب ، فأخذت كبده وحماتها إليك لتراها . فقال : أذهبت حزن نساءنا ، وبردت حرّ قلوبنا ؛ فأمر يومئذ نساءه بمراجعة الطيب والدّهن .

قال الواقدي : وقد كان عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي لما انكشف للمشركون بأحد في أول الأمر ، خرج هارباً على وجهه ، وكره أن يقدم مكة ، فقدم الطائف ، فأخبر ثقيفاً أن أصحاب محمد قد ظفروا وانهمزنا ، وكنت أول من قدم عليكم ، ثم جاءهم الخبر بعد أن قريشا ظفرت وعادت الدولة لها .

قال الواقدي : فسارت قريش قافلة إلى مكة ، فدخلتها ظافرة ، فكان ما دخل على قلوبهم من السرور يومئذ نظير ما دخل عليهم من الكآبة والحزن يوم بدر ، وكان ما دخل

(١) المزراق : الرمح القصير ، وزرقه ، أي رماه .

على قلوب المسلمين من الغيظ والحزن يومئذ نظير ما دخل عليهم من السرور والجذل يوم بدر، كما قال الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ <sup>(١)</sup> وقال سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> قال : يعنى إنكم يوم بدر قتلتهم من قريش سبعين ، وأسرتم سبعين ، وأما يوم أُحُد فقتل منكم سبعون ، ولم يؤسر منكم أحد ، فقد أصبتم قريشا بمثل ما أصابوكم يوم أُحُد، وقوله : ﴿ أَنَّى هَذَا ﴾ أى كيف هذا ، ونحن موعودون بالنصر ونزول الملائكة ، وفيما نبى ينزل عليه الوحي من السماء ! فقال لهم فى الجواب : ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ، يعنى الرُّمَّة الذين خالفوا الأمر وعصوا الرسول ، وإلّا ما كان النصر ونزول الملائكة مشروطا بالطاعة وألا يعصى أمر الرسول ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فخلقهم على الشرط !

\*\*\*

## القول فى مقتل أبى عزة الجُمَحى ومعاوية بن المغيرة بن أبى العاص

ابن امية بن عبد شمس

قال الواقدي : أما أبو عزة - واسمه عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة ابن جُمَح - فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذه أسيرا يوم أُحُد - ولم يؤخذ يوم أُحُد أسير غيره - فقال : يا محمد ، منَّ علىَّ ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إِنْ الْمُؤْمِنُ لَا يُلَدِّغُ مِنْ جُحْرِ مَرْتَيْنِ ، لَا تَرْجِعْ إِلَى مَكَّةَ تَمْسَحُ عَارِضِيكَ ، فَقُول : سَخَرْتُ بِمُحَمَّدٍ مَرْتَيْنِ . ثم أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه .

(٢) سورة آل عمران ١٦٥ .

(١) سورة آل عمران ١٤٠

(٣) سورة آل عمران ١٢٥ .

قال الواقدي : وقد سمعنا في أسره غير هذا ، حدثني بكير بن مسمار ، قال : لما انصرف المشركون عن أحد نزلوا بحمراء الأسد في أول الليل ساعة ، ثم رحلوا وتركوا أبا عزة مكانه حتى ارتفع النهار ، فلحقه المسلمون وهو مستنبه يتلدد ، وكان الذي أخذه عاصم ابن ثابت ، فأمره النبي صلى الله عليه وآله فضرب عنقه .

\*\*\*

قلت : وهذه الرواية هي الصحيحة عندي ، لأن المسلمين لم تكن حالهم يوم أحد حال من يتهيأ له أسر أحد من المشركين في المعركة لئلا أصابهم من الوهن .

فأما معاوية بن المغيرة فروى البلاذري أنه هو الذي جدد أنف حمزة ومثل به ، وأنه انهزم يوم أحد فمضى على وجهه ، فبات قريباً من المدينة ، فلما أصبح دخل المدينة فأتى منزل عثمان بن عفان بن أبي العاص — وهو ابن عمه لحنًا — فضرب بابه ، فقالت : أم كلثوم زوجته وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله : ليس هو هاهنا ، فقال : ابغني إليه ؟ فإن له عندي ثمن بعير ابتعته منه عام أول ، وقد جثته به ، فإن لم يجيء ذهبت فأرسلت إليه ، وهو عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما جاء قال لمعاوية : أهلكك وأهلك (١) نفسك ! ما جاء بك ؟ قال : يا بن عم ، لم يكن أحد أقرب إلي ولا أمس رجا بي منك ، فجتك لتجبرني ، فأدخله عثمان داره وصيره في ناحية منها ، ثم خرج إلى النبي صلى الله عليه وآله ليأخذه منه أماناً ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إن معاوية في المدينة ، وقد أصبح بها ، فاطلبوه . فقال بعضهم : ما كان ليعدو منزل عثمان ، فاطلبوه به ، فدخلوا منزل عثمان ، فأشارت أم كلثوم إلى الموضع الذي صيره فيه ، فاستخرجوه من تحت حجارة لهم ، فانطلقوا به إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال عثمان حين رآه : والذي بعثك بالحق ما جئت إلا لأطلب له الأمان ، فهب لي ، فوهبه له ، وأجله ثلاثاً ،

(١) البلاذري : « أهلكك ونفسك » .

وأقسم : لئن وجدته بعدها يمشى في أرض المدينة وما حولها ليقتلته . وخرج عثمان فجهره وأشترى له بعيراً ، ثم قال : ارتحل . وسار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حراء الأسد وأقام معاوية إلى اليوم الثالث ليعرف أخبار النبي صلى الله عليه وآله ، ويأتى بها قريشاً ، فلما كان في اليوم الرابع قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن معاوية أصبح قريباً لم ينفذ ، فاطلبوه . فأصابوه وقد أخطأ الطريق ، فأدركوه ، وكان اللذان أسرعاً في طلبه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر ، فوجداه بالجماء<sup>(١)</sup> ، فضرب به زيد بالسيف ، وقال عمار : إن لي فيه حقاً ، فرمياه بسهم فقتلاه ، ثم انصرفا إلى المدينة بخبره ، ويقال : إنه أدرك على ثمانية أميال من المدينة ، فلم يزل زيد وعمار يرميانه بالنبل حتى مات .

قال : ومعاوية هذا أبو عائشة بنت معاوية أم عبد الملك بن مروان .

قال : وذكر الواقدي في كتابه مثل هذه الرواية سواء .

قال البلاذري : وقال ابن الكلبي : إن معاوية بن المغيرة جدع أنف حمزة يوم أخذ وهو قتيل ، فأخذ بقرب أحد ، فقتل على أحد بعد انصراف قريش بثلاث ، ولا عقب له إلا عائشة أم عبد الملك بن مروان . قال : ويقال : إن علياً عليه السلام هو الذي قتل معاوية بن المغيرة<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

قلت : ورواية ابن الكلبي عندي أصح ، لأن هزيمة المشركين كانت في الصدمة الأولى عقيب قتل بني عبد الدار أصحاب الألوية ، وكان قتل حمزة بعد ذلك لما كره خالد بن الوليد اختليل من وراء المسلمين ، فاختلفوا ، وانتفض صفهم ، وقتل بعضهم بعضاً ، فكيف يصح أن يجتمع لمعاوية كونه قد جدع أنف حمزة ، وكونه قد انهزم مع المشركين في الصدمة الأولى ! هذا متناقض ، لأنه إذا كان قد انهزم في أول الحرب استحال أن يكون

(١) الجماء : تطلق على ثلاثة مواضع بالمدينة .

(٢) أنساب الأشراف ١ : ٣٣٧ ، ٣٣٨ مع تصرف واختصار .

حاضرا عند حمزة حين قُتل. والصحيح ما ذكره ابنُ الكلبي من أنه شهد الحرب كلها،  
وجدع أنف حمزة ، ثم حصل في أيدي المسلمين بعد انصراف قريش ، لأنه تأخر عنهم  
لمعارض عرض له فأدركه حينئذ ، فقتل .

\*\*\*

### القول في مقتل المجذّر

ابن زياد البلوي والحارث بن يزيد بن الصامت

قال الواقدي : كان المجذّر بن زياد البلوي حليف بني عوف بن الخزرج ممن شهد  
بندرا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت له قصة في الجاهلية قبل قدوم النبي صلى الله  
عليه وآله المدينة، وذلك أن حضير الكاتب، ووالد أسيد بن حضير، جاء إلى بني عمرو بن  
عوف ، فكلم سويد بن الصامت وخوات بن جبير وأبا لبابة بن عبد المنذر - ويقال  
سهل بن حنيفة - فقال : هل لكم أن تزوروني فأسقيكم شرابا ، وأنحر لكم ، وتقيمون  
عندي أياما ! قالوا : نعم ، نحن نأتيك يوم كذا ، فلما كان ذلك اليوم جاءوه فنحّر لهم  
جزورا ، وسقاهم خمرًا ، وأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى تغدّر اللحم - وكان سويد بن  
الصامت يومئذ شيخا كبيرا - فلما مضت الأيام الثلاثة قالوا : ما نرانا إلا راجعين إلى  
أهلنا ! فقال حضير : ما أحببتكم ! إن أحببتكم فأقيموا ، وإن أحببتكم فانصرفوا ،  
نفرج الفتيان بسويد بن الصامت يحملانه على جمل من الثمل <sup>(١)</sup>؛ فزروا لاصقين بالحرّة  
حتى كانوا قريبا من بني عينة <sup>(٢)</sup> ، فجلس سويد يبول وهو ثمل سُكْرًا ، فبصر به  
إنسان من الخزرج ، نفرج حتى أتى المجذّر بن زياد ، فقال : هل لك في النخيمة الباردة !  
قال : ما هي ؟ قال : سويد بن الصامت ، أعزّل لا سلاح معه ، ثمل ، نفرج المجذّر بن زياد  
بالسيف مُصلّتا ، فلما رآه الفتّيان وهما أعزّلان لا سلاح معهما ولّيا ، والعداوة بين الأوس

(٢) الواقدي : « غصينة » .

(١) الثمل بفتحين : أي السكر .

والخزرج شديدة . فانصرفا مسرعين ، وثبت الشيخ ولا حراك به ، فوقف المجذربن ذباد ، فقال : قد أمكن الله منك ! قال : ما تريد بي ؟ قال : قتلتك . قال : فارفع عن الطعام ، واخفض عن الدماغ ، فإذا رجعت إلى أمك ، قتل : إني قتلت سويد بن الصامت . فقتله ، فكان قتله هو الذي هيج وقعة بُعث . فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة أسلم الحارث بن سويد بن الصامت ، وأسلم المجذربن فشهدا بدرًا ، فجعل الحارث بن سويد يطلب المجذربن في المعركة ليقتله بأبيه ، فلا يقدر عليه يومئذ ؛ فلما كان يوم أحد وجال المسلمون تلك الجولة ، أتاه الحارث من خلفه فضرب عنقه ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ، ثم خرج إلى تحراء الأسد ، فلما رجع من حمراء الأسد أتاه جبرائيل عليه السلام ، فأخبره أن الحارث بن سويد قتل المجذربن غيلةً ، وأمره بقتله ، فركب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قباء في اليوم الذي أخبره جبرائيل في يوم حاز . وكان ذلك يومًا لا يرغب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قباء ، إنما كانت الأيام التي يأتي فيها رسول الله صلى الله عليه وآله قباء يوم السبت . ويوم الاثنين . فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله مسجد قباء صلى فيه ماشاء الله أن يصلي ، وسمعت الأنصار فجاءوا يستنون عليه ، وأنكروا إتيانه تلك الساعة ، في ذلك اليوم . فجلس عليه السلام يتحدث ويتصفح الناس حتى طلع الحارث بن سويد في ملحفة موروثة <sup>(١)</sup> ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله دعا عويم بن ساعدة فقال له : قدم الحارث بن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذربن ذباد ، فإنه قتله يوم أحد . فأخذه عويم ، فقال الحارث : دعني أكلم رسول الله . ورسول الله صلى الله عليه وآله يريد أن يرغب ، ودعا بحماره إلى باب المسجد . فجعل الحارث يقول : قد والله قتلته يا رسول الله ، وما كان قتلي إياه رجوعًا عن الإسلام

(١) موروثة : مصبوغة بالورس وهو نبات باليمن معروف .



ولا ارتياها فيه ، ولكنه حية الشيطان ، وأمرت وكلت فيه إلى نفسي ، وإني أتوب إلى الله وإلى رسوله مما عملت ، وأخرج دينه وأصوم شهرين متتابعين ، وأعتق رقبة ، وأطعم ستين مسكينا ، إني أتوب إلى الله يا رسول الله ! وجعل يمسك بركاب رسول الله صلى الله عليه وآله وبتو المجذر حضور ، لا يقول لهم رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا ، حتى إذا استوعب كلامه قال : قدمه ياعويم فاضرب عنقه . وركب رسول الله صلى الله عليه وآله قدمه عويم بن ساعدة على باب المسجد ، فضرب عنقه .

قال الواقدي : ويقال : إن الذي أعلم رسول الله قتل الحارث المجذر يوم أحد حبيب بن يساف ، نظر إليه حين قتله ، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله ، فأخبره ، فركب رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله يتفحص عن هذا الأمر ، فبينما هو على حماره نزل جبرائيل عليه السلام ، فخبره بذلك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله عويمًا فضرب عنقه ، ففني ذلك قال حسان :

يا حارث في سنة من نوم أولكم أم كنت ويحك مقترًا بجبريل<sup>(١)</sup>  
فأما البلاذري فإنه ذكر هذا ، وقال : ويقال إن الجللاس بن سويد بن الصامت هو الذي قتل المجذر يوم أحد غيلة ؛ إلا أن شعر حسان يدل على أنه الحارث<sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي والبلاذري : وكان سويد بن الصامت حين ضربه المجذر بقي قليلا ثم مات ، فقال قبل أن يموت يخاطب أولاده :

أبلغ جلاسا وعبد الله مألكت<sup>(٣)</sup> وإن دعيت فلا تمخذلها حار

(١) ديوانه ٣١٨ ، وبعده :

أَمْ كُنْتَ يَا بَنَ ذِيَادٍ حِينَ تَقْتُلُهُ  
وَقُلْتُ لَنْ نَرَى وَاللَّهِ مُبْصِرُكُمْ  
مُحَمَّدٌ وَالْعَزِيزُ أَلَلَهُ يُخْبِرُهُ  
بِفِرَةٍ فِي فِضَاءِ اللَّهِ تَجْمُحُ سُولِ  
وَفِيكُمْ مُحْكَمُ الْآيَاتِ وَالْقَبِيلِ  
بِمَا يُكِنُّ سِرِّراتِ الْأَقْوِيلِ

(٢) أنساب الأشراف ١ : ٣٣٢ .

أَقْتُلْ جَذَارَةَ إِذْ مَا كُنْتَ لِأَقِيهِمْ وَالْحَيَّ عَوْفًا عَلَى عُرْفٍ وَإِنْكَارٍ  
قال البلاذري : جذرة وجذارة أَخَوَان ، وهما ابنا عوف بن الحارث بن  
الخزرج<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

قلت : هذه الروايات كما ترى ، وقد ذكر ابن مأكولا في « الإكمال » أن الحارث بن  
سويد قَتَلَ المَجْدَر غيلةً يوم أُحُد ، ثُمَّ التَّحَقَّقَ بِمَكَّةَ كَافِرًا ، ذَكَرَهُ فِي حَرْفِ الْمِيمِ مِنْ هَذَا  
الْكِتَابِ ، وَهَذَا هُوَ الْأَشْبَهُ عِنْدِي .

\*\*\*

### القول فيمن مات من المسلمين بأحد جملة

قال الواقدي : ذكر سعيد بن المسيب وأبو سعيد الخدري أنه قَتَلَ مِنَ الْأَنْصَارِ  
خَاصَّةً أَحَدًا وَسَبْعِينَ ، وَبِمِثْلِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ .  
قال : فآربعةٌ من قريش ، وهم حمزة بن عبد المطلب ؛ قَتَلَهُ وَحْشِيٌّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
جَحْشٍ بْنُ رِثَابٍ ؛ قَتَلَهُ أَبُو الْحَكَمِ بْنُ الْأَخْنَسِ بْنُ شَرِيْقٍ ، وَشُمَّاسُ بْنُ عَثْمَانَ  
ابْنُ الشَّرِيدِ مِنْ بَنِي كَنْزٍ ؛ قَتَلَهُ أَبِي بْنُ خَلْفٍ ، وَمُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ ؛ قَتَلَهُ  
ابْنُ قَمِيْثَةَ .

قال : وقد زاد قوم خامسا ، وهو سعدٌ مولى حاطب من بني أسد بن عبد المزي . وقال  
قوم أيضا : إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْأَسَدِ الْخَزَوِجِيَّ جُرِحَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَمَاتَ مِنْ تِلْكَ الْجِرَاحَةِ  
بَعْدَ أَيَّامٍ .

قال الواقدي : وقال قوم : قَتَلَ ابْنُ أَبِي هَيْبٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثٍ ، وَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ

وعبد الرحمن ورجلان من بني مُزينة وهما وهب بن قابوس وابن أخيه الحارث بن عتبة ابن قابوس ؛ فيكون جميع من قُتل من المسلمين ذلك اليوم نحو أحد وثمانين رجلاً ، فأما تفصيل أسماء الأنصار فذكر في كتب المحدثين ، وليس هذا الموضع مكان ذكره .

\*\*\*

### القول فيمن قتل من المشركين بأحد

قال الواقدي : قُتل من بني عبد الدار طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء قريش ؛ قتله علي بن أبي طالب عليه السلام مبارزة ، وعثمان بن أبي طلحة ؛ قتله حمزة بن عبد المطلب وأبو سعيد بن أبي طلحة ؛ قتله سعد بن أبي وقاص ، ومسافع بن طلحة بن أبي طلحة ، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، وكلاب بن طلحة بن أبي طلحة ؛ قتله الزبير بن العوام والحارث بن طلحة بن أبي طلحة ، قتله عاصم بن ثابت ، والجلال بن طلحة بن أبي طلحة ؛ قتله طلحة بن عبيد الله ، وأرطاة بن عبد شريح ؛ قتله علي بن أبي طالب عليه السلام وقارظ<sup>(١)</sup> بن شريح بن عثمان بن عبد الدار - ويروي قاسط بالسيف والطاء المهملتين - . قال الواقدي : لا يدري من قتله ، وقال البلاذري<sup>(٢)</sup> : قتله علي بن أبي طالب عليه السلام ، وصواب مولاها : قتله علي بن أبي طالب عليه السلام وقيل : قتله قرمان<sup>(٣)</sup> - وأبو عزيز ابن عمير أخو مصعب بن عمير ، قتله قرمان ، فهؤلاء أحد عشر .

ومن بني أسد بن عبد العزى عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد ؛ قتله أبو دجانة في رواية الواقدي ، وفي رواية محمد بن إسحاق ، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام . وقال البلاذري : قال ابن الكلبي : إن عبد الله بن حميد قتل يوم بدر

(١) الواقدي : « قارظ » ، والبلاذري : « قاسط » .

(٢) أنساب الأشراف : ١ : ٣٣٤ . (٣) أنساب الأشراف : « غيره » .

ومن بنى ذُهرَةَ أبو الحكم بن الأخنس بن شريق ؛ قتله علي بن أبي طالب عليه السلام ، وسباع بن عبد العزى الخزاعي - واسم عبد العزى عمرو بن نضلة ابن عباس بن سليم ، وهو ابن أم أثمار الحجامة بمكة - قتله حمزة بن عبد المطلب ؛ فهذان رجلان .

ومن بنى مخزوم أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ؛ قتله علي عليه السلام ، وهشام بن أبي أمية بن المغيرة ؛ قتله قزمان ، والوليد بن العاص بن هشام قتله قزمان ، وخالد بن أعلم القيلي ؛ قتله قزمان ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ؛ قتله الحارث بن الصمة ، فهؤلاء خمسة .

ومن بنى عامر بن لؤي عبيد بن حاجر ؛ قتله أبو دُجانة ، وشيبة بن مالك بن المضرِب قتله طلحة بن عبيد الله . وهذان اثنان .  
ومن بنى جُحج أبي بن خلف ؛ قتله رسول الله صلى الله عليه وآله بيده ، وأبو عزة ، قتله عاصم بن ثابت صبرا بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فهذان اثنان .  
ومن بنى عبد مناة بن كنانة خالد بن سُفيان بن عوف ، وأبو الشعثاء ابن سُفيان بن عوف ، وأبو الحُمرام بن سُفيان بن عوف ، وغراب بن سُفيان ابن عوف ، هؤلاء الإخوة الأربعة قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام في رواية محمد بن حبيب .

فأما الواقدي فلم يذكر في باب من قُتل من المشركين بأحدٍ لهم قاتلا معينا، ولكنه ذكر في كلام آخر قبل هذا الباب أن أبا سبرة بن الحارث بن علقمة قتل أحد بني سُفيان ابن عوف ، وأن رشيدا الفارسي مولى بني معاوية لقي آخر من بني سُفيان بن عوف مقتنعا في الحديد وهو يقول : أنا ابن عوف ؛ فيعرض له سعد مولى حاطب ، فضر به ابن

عوف ضربته جَزَلَه باثنتين ، فأقبل رشيد على ابن عوف فضربه على عاتقه - فقطع الدرع - حتى جزله اثنتين وقال : خذها وأنا الغلام الفارسي ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يراه ويسمعه : ألا قلت : أنا الغلام الأنصاري ! قال : فيعرض لرشيد أخ للمقتول أحد بني سفيان بن عوف أيضا ، وأقبل يعدو نحوه كأنه كلب ، يقول : أنا ابن عوف ، ويضربه رشيد أيضا على رأسه وعليه المغفر ، ففلق رأسه ، وقال : خذها وأنا الغلام الأنصاري ! فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : أحسنت يا أبا عبد الله ! فكناه رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ ولا ولد له .

قلت : فأما البلاذري فلم يذكر لهم قاتلا ، ولكنه عدهم في جملة من قُتل من المشركين بأحد ؛ وكذلك ابن إسحاق لم يذكر من قتلهم ، فإن صحت رواية الواقدي فعلى عليه السلام لم يكن قد قتل منهم إلا واحدا ، وإن كانت رواية ابن حبيب صحيحة فالأربعة من قتلاه عليه السلام . وقد رأيت في بعض كتب أبي الحسن المدائني أيضا أن عليا عليه السلام هو الذي قتل بني سفيان بن عوف يوم أحد ، وروى له شعرا في ذلك .

ومن بني عبد شمس معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، قتله علي عليه السلام في إحدى الروايات ، وقيل : قتله زيد بن حارثة وعمار بن ياسر .

فجميع من قُتل من المشركين يوم أحد ثمانية وعشرون ، قتل علي عليه السلام منهم - ما اتفق عليه وما اختلف فيه - اثني عشر ؛ وهو إلى جملة القتلى كعدة من قتل يوم بدر إلى جملة القتلى يومئذ ، وهو قريب من النصف .

القول في خروج النبي صلى الله عليه وآله وبعد انصرافه من أحد

إلى المشركين ليوقع بهم على ما هو به من الوهن

قال الواقدي : بلغ<sup>(١)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المشركين قد عزموا أن يردوا إلى المدينة فينهبوها ، فأحب أن يريهم قوة ، فصلى الصبح يوم الأحد لثمان خلون من شوال ومعه وجوه الأوس والخزرج ، وكانوا باتوا تلك الليلة في بابه يحرسونه من البيات ، فيهم سعد بن عباد ، وسعد بن معاذ ، والحباب بن المنذر ، وأوس بن خولى ، وقتادة بن النعمان في عدة منهم . فلما انصرف من صلاة الصبح أمر بلالا أن ينادى في الناس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب عدوكم ، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس ، فخرج سعد بن معاذ راجعا إلى قومه يأمرهم بالمسير ، والجراح في الناس فاشية ، عامة بني عبد الأشهل جريح ، بل كلها ، فجاء سعد بن معاذ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تطلبوا عدوكم . قال : يقول أسيد بن حضير - وبه سبع جراحات ، وهو يريد أن يداويها : سمعا وطاعة لله ولرسوله ! فأخذ سلاحه ولم يعرج على دواء جراحه ، ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم . وجاء سعد بن عباد قومه بني ساعدة ، فأمرهم بالمسير ، فلبسوا ولحقوا ، وجاء أبو قتادة أهل خربا ، وهم يداوون الجراح ، فقال : هذا منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب العدو ، فوثبوا إلى سلاحهم ، ولم يعرجوا على جراحاتهم ، فخرج من بني سليمة أربعون جريحا ، بالطَّفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحا ، وبخراش بن الصَّمة عشر جراحات ، وبكعب بن مالك بضعة عشر جرحا ، وبقطبة بن عامر بن خديج بيده تسع جراحات ، حتى وافوا النبي صلى الله عليه وسلم بقبر أبي عتبة ، وعليهم السلاح ،

(١) مغازي الواقدي ٣٢٥ وما بعدها .



وقد صفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما نظروا إليهم والجراح فيهم فاشية ، قال : اللهم ارحم بني سيلة .

قال الواقدي : وحدثني عتبة بن جبيعة عن رجال [ من ] <sup>(١)</sup> قومه ؛ أن عبد الله بن سهل ورافع بن سهل من بني عبد الأشهل رجعا من أحد وبهما جراح كثيرة وعبد الله ألقبهما جرحا ، فلما أصبحا وجاء سعد بن معاذ قومه يخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بطلب العدو ، قال أحدهما لصاحبه : والله إن تركنا غزاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعبن ، والله ما عندنا دابة نركبها ، ولا ندرى كيف نصنع ! قال عبد الله انطلق بنا . قال رافع : لا والله ما بي مشى ، قال أخوه : انطلق بنا نقصد ونجوز ، وخرجنا يرحقان ، فضعف رافع ، فكان عبد الله يحمله على ظهره عقبه ، ويمشي الآخر عقبه ، حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العشاء وهم يوقدون النيران ، فأتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى حرسه تلك الليلة عباد بن بشر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما : ما حبسكما ؟ فأخبراه بعلمتهما ، فدعا لهما بخير ، وقال : إن طالت لكما مدة كانت لكما مراكب من خيل وبغال وإبل ، وليس ذلك بخير لكما .

قال الواقدي : وقال جابر بن عبد الله : يا رسول الله ؛ إن متاديا نادى ألا يخرج معنا إلا من حضر القتال بالأمس ، وقد كنت حريصاً بالأمس على الحضور ، ولكن أبي خلفني على أخواتي لي ، وقال : يا بني لا ينبغي لك أن تدعهم ولا رجل معهم ، وأخاف عليهم ، وهن نسيات ضعاف ، وأنا خارج مع رسول الله صلى الله عليه وآله لعل الله يرزقني الشهادة ، فتخلقت عليهم ، فاستأثر علي بالشهادة ، وكنت رجوتها ، فأذن لي يا رسول الله أن أسير معك . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله . قال جابر : فلم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالأمس غيري ، واستأذنه رجال لم يحضروا القتال . فأبى ذلك



عليهم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو معمود لم يحل من أمس ، فدفعه إلى علي عليه السلام ، ويقال : دَفَعَهُ إلى أبي بكر ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مجروح ، في وجهه أثر الخلفتين ، ومشجوج في جبهته في أصول الشعر ، ورباعيته قد شظيت ، وشفته قد كُلت من باطنها ، ومنكبه الأيمن موهن بضربة ابن قيصة ، ورُكبتاه تجحوشتان ؛ فدخل المسجد فصلى ركعتين ، والناس قد حشدوا ، ونزل أهل العوالي <sup>(١)</sup> حيث جاءهم التصريح <sup>(٢)</sup> . ودعا بفرسه على باب المسجد ، وتلقاه طلحة بن عبيد الله ، وقد سمع . المنادى ، فخرج ينظر متى يسير رسول الله صلى الله عليه وآله ! فإذا هو وعليه الدرع والمغفر لا يرى منه إلا عيناه ، فقال : يا طلحة ، سلاحك ، قال : قريبا ، قال طلحة : فأخرج ، وأعدوا فألبس درعي وأخذ سيفي ، وأطرح درعتي في صدري ، وإن بي تسع جراحات ، ولأنا أهتم بجراح رسول الله صلى الله عليه وآله متى بجراحي ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على طلحة ، فقال : أين ترى القوم الآن ؟ قال : هم بالسيالة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ذلك الذي ظننت ، أما إنهم يا طلحة لن ينالوا منا مثل أمس حتى يفتح الله مكة علينا ، قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم ، فانقطع أحدهم ، وانقطع قبائل نعل الآخر ، ولحق الثالث بقريش وهم بحمراء الأسد ، ولم زجل <sup>(٣)</sup> يأتهم <sup>(٤)</sup> في الرجوع إلى المدينة ، وصفوان بن أمية ينهاهم عن ذلك ، ولحق الذي انقطع قبائل نعله بصاحبه ، فبصرت قریش بالرجلين ، فمطقت عليهما ، فأصابوهما ، وانتهى المسلمون إلى مصرعهما بحمراء الأسد ، فقبرهما رسول الله صلى الله عليه وآله في قبر واحد ، فهما القرينان .

(١) العوالي : ضيعة بينها وبين المدينة أربعة أميال .

(٢) التصريح : المغيث .

(٣) زجل ، أي صوت وجبة .

(٤) يأتهم : يتشاورون .

قال الواقدي : اسمها سليط ونعمان .

قال الواقدي : قال جابر بن عبد الله : كانت عامة أزوادنا ذلك اليوم التمر ، وحمل سعد بن عباد ثلاثين بعيراً تمرأ حتى وافق حمراء الأسد ، وساق جزراً ، ففتحوا في يوم ثنتين ، وفي يوم ثلاثاً ، وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بجمع الخطب ، فإذا أمسوا أمرهم أن يؤقدوا النيران : فيؤقد كل رجل نارا ، فلقد كنا تلك الليلة نوقد خمساً نيراناً حتى نرى من المكان البعيد ، وذهب ذكر معسكرنا ونيراننا في كل وجه ، وكان ذلك مما كبت الله به عدونا .

قال الواقدي : وجاء معبد بن أبي معبد الخزاعي - وهو يومئذ مشرك - إلى النبي صلى الله عليه وآله ، وكانت خزاعة سلباً<sup>(١)</sup> للنبي صلى الله عليه وآله ، فقال : يا محمد عز علينا ما أصابك في نفسك ، وما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله تعالى أعلى كعبك ، وأن المصيبة كانت بغيرك ، ثم مضى معبد حتى يجد أبا سفيان وقريشا بالروحاء<sup>(٢)</sup> وهم يقولون : لا محمداً أصبتم ، ولا الكواعب أردقم ، فبئسما صنعتم ! وهم مجمعون على الرجوع إلى المدينة ، ويقول قائلهم فيما بينهم : ما صنعنا شيئاً ، أصبنا أشرافهم ، ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم ، وقبل أن يكون لهم وفر ، وكان التكلم بهذا عكرمة بن أبي جهل ، فلما جاء معبد إلى أبي سفيان : قال : هذا معبد ، وعنده الخبر ، ما وراءك يا معبد ؟ قال : تركت محمداً وأصحابه خلفي يتحرقون عليكم بمثل النيران ، وقد اجتمع معه من تخلف عنه بالأمس من الأوس والخزرج ، وتعاهدوا ألا يرجعوا حتى يلحقوكم فيثأروا منكم ، وقد غضبوا<sup>(٣)</sup> لقومهم غضباً شديداً ولعنن أصبتم من أشرافهم . قالوا : ويحك ، ما تقول ؟ قال : والله ما أرى

(١) سلباً ، أي مسالون .

(٢) الروحاء : قطعة كانت لعدي بن حاتم ، على نحو أربعين ميلاً من المدينة .

(٣) الواقدي : « وغضبوا » .

أَنْ تَرْتَحِلُوا حَتَّى تَرَوْا نَوَاصِيَ<sup>(١)</sup> الْخَيْلِ ، وَلَقَدْ<sup>(٢)</sup> حَلَنِي مَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ أَنْ قُلْتُ  
أَبْيَاتًا ، قَالُوا : وَمَاهِي ؟ فَأَنشَدَهُمْ هَذَا الشَّعْرَ :

كَادَتْ تَهْدُ<sup>(٣)</sup> مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي إِذْ سَالَتْ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ<sup>(٤)</sup>  
تَعْدُو بِأَسَدٍ ضِرَاءٍ لَا تَسَابِلَةَ<sup>(٥)</sup> عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلٍ مَعَازِيلٍ<sup>(٦)</sup>  
فَقُلْتُ وَيْلُ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِهِمْ إِذَا تَفَطَّمَتِ الْبَطَحَاءُ بِالْجَلِيلِ !<sup>(٧)</sup>

وقد كان صفوان بن أمية ردّ القوم بكلامه قبل أن يطلع معبد ، وقال لهم صفوان :  
يا قوم ، لا تفعلوا ؛ فإن القوم قد حاربوا<sup>(٧)</sup> ، وأخشى أن يجمعوا عليكم من تخلف من الخزرج ؛  
فارجعوا والدولة لكم ، فإنني لا آمن إن رجعت إليهم أن تكون الدولة عليكم . قال :  
فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أرشدكم صفوان وما كان برشيد ، ثم  
قال : والذي نفسي بيده لقد سئمت لهم الحجارة ، ولو رجعوا لكانوا كأئس الذاهب ،  
قال : فأنصرف القوم سراعا خائفين من الطلب لهم ، ومرة بأبي سفيان قوم من  
عبد القيس يريدون المدينة ، فقال لهم : هل أنتم مبغضو محمد وأصحابه ما أرسلكم به ؛  
على أن أوقر لكم أباعركم زيبيا غدا بمكاظ ؛ إن أنتم جئتموني ! قالوا : نعم ، قال : حينما

(١) الواقدي : « حتى ترى نواصي الخيل » . (٢) الواقدي : « ثم قال معبد . . . » .  
(٣) الأبيات في ابن هشام ٣ : ٥٤ . تهدي ، أي تسقط من الإعياء . والجرد : الخيل العنق .  
والأبابل : الجماعات .  
(٤) ابن هشام : « تردى بأسد كرام » . والتابلة : القصار .  
(٥) الميل : جمع أميل ، وهو الذي لا رمح له . والمعازيل : جمع معزال ؛ وهو من لا سلاح معه .  
(٦) تفطمت : اعتزت واضطربت . والبطحاء : السهل من الأرض . والجبل : الصنف من الناس ،  
وبعد ما في ابن هشام :

إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسَلِ ضَاحِيَةٌ لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَقُولٌ  
مَنْ جَيْشٍ أَحَدٌ لَا وَخْشَ قَنَابِلُهُ وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أُنْذِرْتُ بِالْقَبِيلِ

(٧) حاربوا ، أي غصبوا .

لقيم محمدًا وأصحابه فأخبروهم أننا قد أجمعنا الرجعة إليهم ، وأنا آثاركم. وانطلق أبو سفيان إلى مكة ، وقدم الركبُ على النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه بالخمراء فأخبروهم بالذي أمرهم أبو سفيان ، فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فأُنزل ذلك في القرآن ، وأرسل معبدٌ رجلاً من خزاعة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه أنه قد انصرف أبو سفيان وأصحابه خائفين وجلين ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ثلاث إلى المدينة .



## الفصل الخامس في شرح غزاة مؤتة

تذكرها من كتاب الواقدي - وزيد على ذلك ما رواه محمد بن إسحاق  
في كتابه على عادتنا فيما تقدم

قال الواقدي : حدثني <sup>(١)</sup> ربيعة بن عثمان عن عمر بن الحكم ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله الحارث بن عمير الأزدي في سنة ثمان إلى ملك بصرى بكتاب ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الفسائي ، فقال : أين تريد ؟ قال : الشام ، قال : لعلك من رسل محمد . قال : نعم ، فأمر به فأوثق رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه ، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وآله رسول غيره ، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، فاشتد عليه ، وندب الناس وأخبرهم بمقتل الحارث ، فأسرعوا وخرجوا ، فسكروا بالجرف ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله الظهر جلس وجلس أصحابه حوله ، وجاء النعمان بن مهزيب اليهودي فوقف مع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، فإن أصيب ابن رواحة فليرتض المسلمون من بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم . فقال النعمان بن مهزيب : يا أبا القاسم ، إن كنت نبياً فيصاب من سميت قليلاً كانوا أو كثيراً ، إن الأنبياء في بني إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا إن أصيب فلان فلو سمي مائة أصيبوا جميعاً . ثم جعل اليهودي يقول لزيد بن حارثة : اعهده فلا ترجع إلى محمد أبداً إن كان نبياً . قال زيد : أشهد أنه نبي صادق فلما أجمعوا

(١) أخبار غزوة مؤتة في الواقدي ص ٤٠٦ وما بعدها ، وسيرة ابن هشام ٣ : ٤٢٧ وما بعدها .

المسير وعَقَدَ رسول الله صلى الله عليه وآله لهم اللّواء بيده دفعه إلى زيد بن حارثة ، وهو لواء أبيض ، ومشى الناس إلى أمراء رسول الله صلى الله عليه وآله يؤدّعونهم ويدعون لهم وكانوا ثلاثة آلاف ، فلما ساروا في معسكرهم ناداهم المسلمون : دفع الله عنكم ، وردكم صالحين سالمين غانمين ، فقال عبد الله بن رَوَاحَة :

لَكُنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً      وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْخٍ تَقْذِفُ الزُّبْدَ (١)  
أَوْ طَمْعَةً بِيَدِي حِرَّانَ مَجْهُزَةً      بِحَرْبَةٍ تَنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا (٢)  
حَتَّى يَقُولُوا إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدِّي      يَا أَرْشَدَ اللَّهِ مِنْ غَايٍ فَقَدْ رَشِدَا (٣)

\*\*\*

قلت : اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان هو الأمير الأول ، وأنكرت الشيعة ذلك ، وقالوا : كان جعفر بن أبي طالب هو الأمير الأول ، فإن قُتِلَ فزيد بن حارثة ، فإن قُتِلَ فعبد الله بن رَوَاحَة ، وَرَوَوْا في ذلك روايات ، وقد وجدت في الأشعار التي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم ، فمن ذلك ما رواه عن حسان ابن ثابت وهو :

تَأْوِينِي لَيْلٌ يَثْرِبُ أَعْسَرُ      وَهَمٌّ إِذَا مَانُوْمَ النَّاسُ مُسِيرُ (٤)  
لَذْكَرِي حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لِي عَابِرَةً      سَفُوحًا وَأَسْبَابُ الْبِكَاءِ التَّدْكَرُ  
يَلِيَّ إِنِّ فَقْدَانِ الْحَبِيبِ بَلِيَّةٌ (٥)      وَكَمِ مِنْ كَرِيمٍ يُتَسَلَّى ثُمَّ يَصْبِرُ !  
فَلَا يُبْعِدُنَّ اللَّهُ قَتْلِي تَتَابَعُوا      بِمَوْتَةٍ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ  
وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَتَابَعُوا      جَمِيعًا وَأَسْيَافُ الْمَنِيِّ تَخْطُرُ

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٤٢٩ . ذات فرخ : أي واسعة ، والزيد ، أصله ما يعلو الماء إذا غلا ؛ وأراد هنا ما يعلو الدم الذي يتفجر من الطمعة .

(٢) مجهزة : سريّة القتل ، وتنفيذ الأحشاء : تفرقها وتصل إليها .

(٣) ابن هشام : « وقد » .

(٤) ديوانه ١٧٩ - ١٨١ ، وسيرة ابن هشام ٣ : ٤٤٠ - ٤٤٢ . تأويني : عاودني ورجع إلي ، ومسير : داع إلى السير . (٥) الديوان : « بلاء وفقدان الحبيب » .

رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا      شُعُوبَ وَخَلَقَ بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ<sup>(١)</sup>  
غَدَاةَ غَدَاةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ      إِلَى الْمَوْتِ مَيِّمُونَ النَّقِيبَةَ أَزْهَرُ  
أَغْرُ كَضَوْءِ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      أَيْ إِذَا سَيَّمَ الظُّلَامَةَ أَصْعَرُ<sup>(٢)</sup>  
فَطَاعَنَ حَتَّى مَالَ غَيْرَ مُوسَى      بِمَعْتَرِكَ فِيهِ الْقَنَامَتُ كَسَرُ  
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ نَوَابَهُ      جَنَّاتٍ وَمُلْتَفَ الْخَدَائِقِ أَخْضَرُ  
وَكُنَّا نَرَى فِي جَعْفَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ      وَقَارًا وَأَمْرًا حَازِمًا حِينَ يَأْمُرُ  
وَمَا زَالِيَ الْإِسْلَامَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      دَعَائِمُ صَدَقَ لَا تُرَامُ وَمَفْخَرُ  
هُمْ جَبَلَ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ      رِضَامٌ إِلَى طُورٍ يَطُولُ وَيَقْهَرُ  
بِهَآئِلٍ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ      عَلَى وَمِنْهُمْ أَحَدُ الْمُتَخَيَّرِ  
وَحِمَزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ      عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُعْصَرُ  
بِهِمْ تَفَرَّجُ الْعَمَاءُ مِنْ كُلِّ مَآزِقٍ      تَحَاسُّ إِذَا مَاضَاكَ بِالنَّاسِ مَصْدَرُ  
هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ      عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ وَالْكِتَابُ الْمَطْهَرُ  
وَمِنْهَا قَوْلُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا<sup>(٣)</sup> :

نَامَ الْعَيُونَ وَدَمَعُ عَيْنِكَ يَهْمُلُ      سَحَاكَمَا وَكَفَ الرِّيَابُ الْمَسِيلُ<sup>(٤)</sup>  
وَجَدَا عَلَى النُّفَرِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا      قَتَلِي بِمَوْتَةٍ أَسْنَدُوا لَمْ يُنْقَلُوا  
سَارُوا أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّهُمْ      طَوْدٌ يَقُودُهُمُ الْهَزْبُ بِرِ الْمَشِيلِ<sup>(٥)</sup>  
إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَعْفَرٍ وَلَوَاتِهِ      قَدَامَ أَوْلَهُمْ وَنَمِ الْأَوَّلُ  
حَتَّى تَقْوَضَتِ الصُّفُوفُ وَجَعْفَرُ      حَيْثُ التَّقَى جَمْعُ الْغَوَاةِ مَجْدَلُ<sup>(٦)</sup>

- (١) شعوب : من أسماء النية .  
(٢) سيرة ابن هشام ٣ : ٤٤٢ - ٤٤٥ ، برواية مخالفة .  
(٣) الرياب : السحاب ، والمسبل : المنصب ؛ وق ابن هشام : « الطيِّبُ الْخَضِلُ » .  
(٤) المشيل : ذو الشبل ؛ والشبل : ولد الأسد .  
(٥) مجدل : مطروح على الجذالة ؛ وهي الأرض . وق ابن هشام : « وعت الصُّفُوفُ مَجْدَلُ » .



فَنَفَسَ الْقَمَرُ الْمَدِيرُ لَقَدْ سَدَّهِ وَالشَّمْسُ قَدْ كَسَفَتْ <sup>(١)</sup> وَكَادَتْ تَأْفُلُ  
قَوْمٌ عِلا بَنِيَانِهِمْ مِنْ هَاشِمٍ فَرَعٌ أَشْمٌ وَسُودٌ مُتَسَائِلٌ <sup>(٢)</sup>  
قَوْمٌ بِهِمْ عَصَمُ الْإِلَهِ عِبَادَهُ وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ  
فَضَلُّوا الْمَعَاشِرَ عَفَّةً وَتَكَرَّمَا وَتَعَمَّدَتْ أَخْلَاقُهُمْ مَنْ يَجْمَلُ <sup>(٣)</sup>

قال الواقدي : فحدثني ابن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن  
رافع بن إسحاق ، عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وآله خطبهم فأوصاهم  
فقال : أوصيكم بتقوى الله وبن معكم من المسلمين خيراً ، اعزُّوا باسم الله وفي سبيل الله ،  
قاتلوا من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغفلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من  
المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث : فأيَّهن أجابوك إليها فاقبل منهم ، واكفهم  
عنهم ، ادعهم إلى الدخول في الإسلام ، فإن فعلوا فاقبل واكفهم ، ثم ادعهم إلى التحول  
من دارهم إلى المهاجرين ، فإن فعلوا فأخبرهم أن لهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على  
المهاجرين . وإن دخلوا في الإسلام وأختاروا دارهم فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ،  
يجري عليهم حكم الله ، ولا يكون لهم في الفداء ولا في الغنيمة شيء ، إلا أن يجاهدوا  
مع المسلمين ، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية فإن فعلوا فاقبل منهم واكفهم عنهم ،  
فإن أبوا فاستمعن بالله وقاتلهم ، وإن أنت حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوا أن  
تستزلمهم على حكم الله فلا تستزلمهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري  
أنصيب حكم الله فيهم أم لا ! وإن حاصرت أهل حصن أو مدينة وأرادوا أن يجعل لهم  
ذمة الله وذمة رسول الله فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة رسول الله ، ولكن أجعل لهم ذمتك  
وذمة أبيك وأصحابك ، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمة آبائكم خير لكم من أن تخفروا  
ذمة الله وذمة رسوله .

(١) في ب « كاسفة » ، وهو مستقيم الوزن أيضاً .

(٢) ابن هشام : ولقد تمت أحلامهم .

(٣) ابن هشام : « ما يثقل » .

قال الواقدي : وحديث أبو صفوان ، عن خالد بن يزيد ، قال : خرج النبي صلى عليه وآله مشيعاً لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع ، فوقف ووقفوا حوله ، فقال : اغزوا بسم الله ، فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام ، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين الناس ، فلا تعرضوا لهم ، وستجدون آخرين للشيطان في رموسهم متفاحص ، فاقلموها بالسيف ، ولا تقتلن امرأة ، ولا صغيراً ، ضرعاً<sup>(١)</sup> ولا كبيراً فانياً ، ولا تقطعن نخلاً ولا شجراً ، ولا تهدمن بناء .

قال الواقدي : فلما دعا ودع عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : مرني بشيء أحفظه عنك ، قال : إنك قادم غداً بلداً ، السجود فيه قليل ، فأكثروا السجود . فقال عبد الله : زدني يا رسول الله ، قال : اذكر الله ، فإنه عون لك على ما تطلب . فقام من عنده حتى إذا مضى ذاهباً رجع فقال : يا رسول الله : إن الله وثر يحب الوثر ، فقال : يا ابن رواحة : ما عجرت فلا تعجز إن أسأت عشراً أن تحسن واحدة . فقال ابن رواحة : لا أسألك عن شيء بعدها .

وروى محمد بن إسحاق أن عبد الله بن رواحة ودع رسول الله صلى الله عليه وآله

بشعر منه :

فثبت الله ما آتاك من حسن      تثبيت موسى ونصراً كالذي نصرُوا  
إني تفرست فيك الخير نافلة      قراسة خالفتهم في الذي نظروا  
أنت الرسول فمن يحرم نوافله      والبشر منه فقد أودى به القدرُ

قال محمد بن إسحاق : فلما ودع المسلمين بكى ، فقالوا له : ما يبك بك يا عبد الله ؟ قال : والله ما بي حب الدنيا ولا صباة إليها ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله

(١) الضرع : الصغير من كل شيء .

عليه وآله يقرأ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ ، <sup>(١)</sup> فاست أدري كيف لي بالصَّدر بعد الورود <sup>(٢)</sup> !

قال الواقدي : وكان زيد بن أرقم يحدث ، قال : كنتُ يتيماً في حجر عبد الله بن ربيعة ، فلم أرَ واليَ يقيمُ كان خيراً لي منه ، خرجت معه في وجهٍ إلى مؤنةٍ وصَبَّ بي وصَبَّتُ به ، فكان يُرْدِفني خلفَ رَحله ، فقال ذات ليلة وهو على راحلته بين شعبي رَحله :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَلَّتْ رَحْلِي مَسَافَةٌ أَرْبَعُ بَعْدَ الْحِجَاءِ <sup>(٣)</sup>  
فَشَأْنُكَ فَانْعَمِ وَخَلَاكِ ذِمٌّ وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَأْيِي <sup>(٤)</sup>  
وَأَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَخَلَفُونِي بِأَرْضِ الشَّامِ مَشْتَهَرَ الثَّوَاءِ  
وَزَوَدَنِي الْأَقَارِبُ مِنْ دَعَاءٍ إِلَى الرَّحْمَنِ وَانْقَطَعَ الْإِخَاءُ  
هِنَاكَ لَا أَبَالِي طَلَعَ نَخْلٌ وَلَا نَخْلٌ أَسَافَلَهَا رِوَاهُ <sup>(٥)</sup>

فلما سمعتُ منه هذا الشعرَ بكيتُ : نفقتُ بالدُّرَّةِ وقال : وما عليك يالكع أن يرزقني الله الشهادة فأستريح من الدنيا ونصبتها ، وهوومها وأحزانها وأحداها ، وترجع أنت بين شعبي الرَّحْل !

قال الواقدي : ومضى المسلمون فنزلوا وادِي القَرْيَ فأقاموا به أيَّاماً ، وساروا حتى نزلوا بمؤنة ، وبلغهم أن هرقلَ ملكَ الرُّومِ قد نزل ماءً من مياهِ البَلقاءِ في بكرٍ وبَهْرَاءِ وَلَنَحْمٍ وَجُذَامٍ وغيرهم مائة ألف مقاتل ، وعليهم رجلٌ من بَلَى ، فأقام المسلمون ليلتين ينظرون.

(٢) سيرة ابن هشام ٣ : ٤٢٨ ، ٤٢٩ .

(١) سورة صريم : ٧١ .

(٣) سيرة ابن هشام ٣ : ٤٣٢ .

(٤) ولا أرجع ؟ جزم الفعل على الدعاء ؟ يدعو على نفسه بأن يستشهد في هذه الواقعة ولا يرجع لأهله .

(٥) في البيت إقواء .

في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فنخبره الخبر ؛ فلما أن  
يردنا أو يزيدنا رجالا ؛ فبينما الناس على ذلك من أمرهم جاءهم عبدُ الله بن رَوَاحَةَ  
فشجَّهم ، وقال : والله ما كنَّا نقاتلُ الناسَ بكثرةِ عدَّة ولا كثرةِ سلاح ولا كثرةِ  
خَيْل ؛ إلَّا بهذا الدِّين الذي أكرمنا الله به ، انطلقوا فقاتلوا ؛ فقدوا الله رأينا يومَ بدر ،  
وما معنا إلَّا فرسان ، إنما هي إحدى الحسنيين : إمَّا الظُّهورُ عليهم فذاك ما وعدنا  
اللهُ ورسولُه ، وليس لوعده خُلْف ، وإمَّا الشهادة فنلحق بالإخوان ، نرافقهم في الجنان .  
فشجع الناس على قول ابن رَوَاحَةَ .

قال الواقدي : وروى أبو هريرة قال : شهدتُ مؤتة فلما رأينا المشركين رأينا  
مالا قَبِل لنا به من العدد والسَّلاح والكرَّاع والدِّيَّاج والحرير والذهب ، فبرق  
بصري ، فقال لي ثابتُ بنُ أرقم : مَالَك يا أبا هريرة ؛ كأنك ترى جوعا كثيرة ؛ قالتُ :  
نعم ، قال : لم تشهدنا ببدر ، إنما لم نُصَرَّ بالكثرة .

قال الواقدي : فالتقى القومُ ، فأخذ اللواءَ زيدُ بنُ حارثة ، فقاتلَ حتَّى قُتل ،  
طعنوه بالرَّماح ، ثم أخذه جعفر فزل عن فرس له شقراء فعرَّ قَبْها ، ثم قاتلَ حتَّى قُتل .  
قال الواقدي : قيل : إنه ضربَه رجل من الرُّوم فقطعه نصفين ، فوقع أحدُ نصفيه في  
كُرمٍ هناك ، فوجد فيه ثلاثون أو بضعٌ وثلاثون جُرْحا .

قال الواقدي : وقد روى نافعٌ عن ابن عمر أنه وُجد في بدنِ جعفر بن أبي طالب  
اثنان وسبعون ضربة وطعنة بالسيوف والرَّماح .

قال البلاذري : قطعتُ يداه ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لقد  
أبدله اللهُ بهما جناحين يطيرُ بهما في الجنة » ؛ ولذلك سمى الطَّيَّار .

قال الواقدي : ثم أخذ الراية عبدُ الله بن رَوَاحَةَ فمكَّل يسيراً ، ثم حمل فقاتل

حتى قُتِلَ ، فلما قُتِلَ انهزم المسلمون أسوأ هزيمة كانت في كل وجه ، ثم تراجعوا ؛  
فأخذ اللواء ثابتُ بنُ أرقم ، وجعل يصيح بالأنصار ، فثابَ إليه منهم قليل ، فقال  
خالد بن الوليد : خذ اللواء يا أبا سليمان ، قال خالد : لا بل خذه أنت فلك سين ، وقد  
شهدتَ بدرا . قال ثابت : خذه أيها الرجل ، فوالله ما أخذته إلا لك . فأخذه خالد  
وحمل به ساعة ، وجعل المشركون يحملون عليه حتى دهمه منهم بشر كثير ، فانهزَمَ  
بالمسلمين ، وانكشفوا راجعين .

قال الواقدي : وقد روي أن خالدا ثبت بالناس فلم ينهزموا ؛ والصحيح أن  
خالدا انهزم بالناس .

قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن النبي صلى الله  
عليه وآله لما التقى الناس بمؤتة جلس على المنبر ، وكشِفَ له ما بينه وبين الشام ، فهو ينظر  
إلى معركتهم ، فقال : أخذ الراية زيد بن حارثة ، فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياة ،  
وكرهه إليه الموت ، وحبب إليه الدنيا ، فقال : الآن حين استحکم الإيمان في قلوب المؤمنين  
تحبب إلي الدنيا ! فمضى قُدُما حتى استشهد ، ثم صلى عليه ، وقال : استغفروا له فقد دخل  
الجنة وهو يسعى ، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب ، فجاءه الشيطان فنأه الحياة وكرهه  
إليه الموت ، ومنأه الدنيا ، فقال : الآن حين أستحکم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنى  
الدنيا ! ثم مضى قُدُما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا له ،  
ثم قال : استغفروا لأخيكم فإنه شهيدٌ قد دخل الجنة ، فهو يطيرُ فيها بجناحين من  
ياقوت حيث شاء . ثم قال : أخذ الراية عبدُ الله بن رواحة ، ثم دخل معترضا فشق  
ذلك على الأنصار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أصابته الجراح . قيل : يا رسول  
الله ، فما اعتراضه ؟ قال : لما أصابته الجراح نكَل فعاتب نفسه فشجع فأستشهد ؛ قد خل  
الجنة ؛ فسرّني عن قومه .

وروى محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> قال : لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله زيدا وجعفر أسكت عن عبد الله بن رواحة حتى تغيّرت وجوه الأنصار ، وظنّوا أنه قد كان من عبد الله بعض ما يكرهون ، ثم قال : أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قُتل شهيدا ، ثم قال : لقد رُفِعوا إلى في الجنة فيما يرى النائم على سرير من ذهب ، فرأيت في سرير ابن رواحة أزورارا عن سريرى صاحبيّ ، فقلت : لم هذا ؟ فقيل : لأنهما مضيا ؛ وتردّد هذا بعض التردد ، ثم مضى .

قال : وروى محمد بن إسحاق أنه لما أخذ جعفر بن أبي طالب الراية قاتل قتالا شديداً حتى إذا لحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فمقرها ؛ ثم قاتل القوم حتى قُتل<sup>(٢)</sup> ، فكان جعفر رضى الله عنه أول رجل عقر فرسه في الإسلام .

قال محمد بن إسحاق : ولما أخذ ابن رواحة الراية جعل يتردّد بعض التردد ، ويستقدم نفسه يستنزلهما<sup>(٣)</sup> ، وقال :

أقسمتُ يا نفسُ لنزليته طَوْعاً وإلا سوف تُكرهته  
مالي أراك تُكرهين الجنة إذ أجلب الناسُ وشدوا الرّثة<sup>(٤)</sup>  
قد طالما قد كنتِ مطمئنة هل أنتِ إلا نطقة في شنة !<sup>(٥)</sup>

ثم ارتجز أيضاً فقال :

يا نفسُ إلا تُقتلى تموتي هذا حمام الموت قد صليت

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٤٣٦ . (٢) بعدها في ابن هشام ٣ : ٤٣٤ ، وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها  
والرّوم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

\* على إذ لاقيتها ضرابها \*

(٣) ابن هشام : « يستنزله نفسه » . (٤) أجلب الناس : اختلفت أصواتهم وضجوا .

(٥) النطقة : القليل من الماء الصافي ، والشنة : القرية الخلق .

وما تَمَنَيْتَ فَقَدْ أُعْطِيَ . إِنْ تَفْعَلْ فَعِلْهَا هُدَيْتَ  
\* وَإِنْ تَأْخُزْ فَقَدْ شَقِيتَ \*

ثم نزل عن فرسه فقاتل ، فأتاه ابنُ عمِّ له ببضعةٍ من لحم ، فقال : اشدُّ بهذا صُلبك . فأخذها من يده ، فأنهش<sup>(١)</sup> منها نهشةً ثم سمع الخطمة<sup>(٢)</sup> في ناحية من الناس ، فقال : وأنتَ يا ابنَ رواحةٍ في الدنيا ! ثم ألقاها من يده وأخذ سيفه ، فتقدم فقاتل حتى قُتل<sup>(٣)</sup> .

قال الواقدي : حدثني داود بن سنان ، قال : سمعتُ ثعلبة بن أبي مالك يقول : انكشف خالد بن الوليد يومئذ بالناس حتى عيَّروا بالفرار ، وتشاءم الناسُ به .

قال : ورَوَى أبو سعيد الخدري ، قال : أقبل خالد بالناس من هزمين ، فلما سمع أهل المدينة بهم تلقَّوهم بالجرف ، فجعلوا يَحْثُونَ في وجوههم التراب ويقولون : يا فرار ، أفررتُم في سبيلِ الله ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : ليسوا بالفرار ، ولكنهم كُفَّار ، إِنْ شاء الله .

قال الواقدي : وقال عبيدُ الله بن عبدِ الله بن عتبة : ما لقي جيشٌ بعثوا مبعثاً ما لقي أصحابُ مؤتة من أهل المدينة ، لقوهم بالشرِّ ، حتى إنَّ الرجلَ ينصرف إلى بيته وأهله فيدقُّ عليهم فيأبُونَ أن يَفْتَحُوا له يقولون : ألا تقدَّمتَ مع أصحابك فقتلتَ ، وجلس الكُفَّار منهم في بيوتهم استحياء من الناس ، حتى أرسل النبي صلى الله عليه وآله رجلاً ، يقول لهم : أنتم الكُفَّار في سبيلِ الله . نخرجوا .

قال الواقدي : فحدثني مالك بن أبي الرجال عن عبدِ الله بن أبي بكر بن حزم ، عن أمِّ جعفر بنت محمد بن جعفر ، عن جدِّتها أسماء بنت حميس ، قالت : أصبحتُ في اليوم الذي أصيب فيه جعفر وأصحابه ، فأتاني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وقد منَّأتُ أربعين منَّا من آدم وعجنتُ عجيني ، وأخذتُ بَنِيَّ ، فغسلتُ وجوههم ودهنتُهم ، فدخلتُ على

(٢) الخطمة : زحام الناس .

(١) أنهش منها : أخذ بضمه يسيراً .

(٣) سيرة ابن هشام ٣ : ٤٣٤ ، ٤٣٥ .



رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا أسماء ، أين بنو جعفر ؟ فبحثت بهم إليه ، فضمتهم وشممتهم ، ثم ذرفت عيناه ، فبكى ، فقلت : يا رسول الله ، لعله باخك عن جعفر شيء ! قال : نعم ، إنه قُتل اليوم ، فقمْتُ أصبح ، واجتمع إلى النساء ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أسماء ، لا تقولن هُجْراً ، ولا تضرِ بنى صدرًا ، ثم خرج حتى دخل على ابنته فاطمة رضى الله عنها ، وهى تقول : واعماه ! فقال : على مثل جعفر فلتبكِ الباكية . ثم قال : اصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن مسلم ، عن يحيى بن أبي يعلى ، قال : سمعتُ عبد الله ابن جعفر يقول : أنا أحفظ حين دخل النبي صلى الله عليه وآله على أمي ، فتعنى إليهما أبي ، فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي ، وعيناه شہراقان بالدمع حتى قطرتا بحيتته ، ثم قال : اللهم إن جعفرًا قدَّم إلى أحسن الشواب ، فأخلفه في ذريته بأحسن ما خلقت أحداً من عبادك في ذريته ، ثم قال : يا أسماء ، ألا أبشرك ؟ قالت : بلى بأبي وأمي ، قال : فإن الله جعل لجعفر جناحين يطيرُ بهما في الجنة ، قالت : بأبي وأمي ، فأعلم الناس ذلك ! فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ بيدي يمسح بيده رأسي حتى رقي على المنبر وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى ، وإن الحزن ليُعرف عليه ، فحكمت فقال : إن المرء كثيرٌ بأخيه وابن عمه ، ألا إن جعفرًا قد استشهد ، وقد جعل الله له جناحين يطيرُ بهما في الجنة . ثم نزل ، فدخل بيته وأدخلني ، وأمر بطعام فصنع لنا ، وأرسل إلى أخي فتغدَّينا عنده غداه طيباً ، عمدت سلمي خادمته إلى شعير فطاحتته ، ثم نشفته ، ثم أنضجته وآدمته بزيت ، وجعلت عليه فُلفلاً ، فتغدَّيت أنا وأخي معه ، وأقمنا عنده ثلاثة أيام ندور معه في بيوت نسائه ، ثم أرجعنا إلى بيتنا ، وأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأنا أساوم في شاة ، فقال : اللهم بارك له في صفقته ، فوالله ما بعت شيئاً ولا اشتريت إلا بورك فيه .

## [ فصل في ذكر بعض مناقب جعفر بن أبي طالب ]

رَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِ "مَقَاتِلِ الطَّالِبِينَ" أَنَّ كُنْيَةَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَبُو الْمَسَاكِينِ ، وَقَالَ : كَانَ ثَلَاثَ إِخْوَةٍ مِنْ وَلَدِ أَبِي طَالِبٍ ، أَكْبَرُهُمْ طَالِبٌ ، وَبَعْدَهُ عَقِيلٌ ، وَبَعْدَهُ جَعْفَرٌ ، وَبَعْدَهُ عَلِيٌّ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ بِعَشْرِ سَنِينَ ، [وَعَلَى أَصْفَرِهِمْ سَنًا] <sup>(١)</sup> ، وَأُمُّهُمْ جَمِيعًا فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ <sup>(٢)</sup> .

وَهِيَ أَوَّلُ هَاشِمِيَّةٍ وَلَدَتْ لَهَا شَيْءٌ ، وَفَضْلُهَا كَثِيرٌ ، وَقَرَّبُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَعْظِيمُهُ لَهَا مَعْلُومٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ .

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ : لَجَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَضْلٌ كَثِيرٌ . وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ حَدِيثٌ كَثِيرٌ ؛ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَتَحَ خَيْبَرَ قَدِمَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الْحَبَشَةِ ، فَاتَّزَمَهُ <sup>(٣)</sup> رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَجَعَلَ يُقَبِّلُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ : مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَشَدُّ فَرَحًا ! بِقُدُومِ جَعْفَرٍ ، أَمْ بِفَتْحِ خَيْبَرَ !

قَالَ : وَقَدْ رَوَى خَالِدٌ الْخُدَّاءُ ، عَنْ عِيكَرِمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ : مَارَكِبُ الْمَطَايَا ، وَلَا رَكِبَ الْكُورُ <sup>(٤)</sup> ، وَلَا اتَّعَمَلُ ، وَلَا احْتَذِي النَّعَالَ أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَفْضَلُ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

قَالَ : وَقَدْ رَوَى عَطِيَّةٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، خَيْرُ النَّاسِ حِمَزَةُ وَجَعْفَرٌ وَعَلِيٌّ .

وَقَدْ رَوَى جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : خُلِقَ النَّاسُ مِنْ أَشْجَارٍ شَتَّى ، وَخُلِقْتُ أَنَا وَجَعْفَرٌ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ سَأُو قَالَ - مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ .

(١) مِنْ مَقَاتِلِ الطَّالِبِينَ .

(٣) التَّزَمَهُ : اعْتَنَقَهُ .

(٢) مَقَاتِلِ الطَّالِبِينَ ٦ ، ٧ مَعَ تَصْرِفِ .

(٤) الْكُورُ ( يَضُمُّ الْكَافُ ) : الرَّحْلُ بِأَدَاتِهِ .

قال : وبالإسناد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجعفر : أنت أشبهت خلقي وخلقى .

وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " ، كانت سنُّ جعفر عليه السلام يوم قتل إحدى وأربعين سنة .

قال أبو عمر : وقد روى ابن السيث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : مثل لي جعفر وزيد وعبد الله في خيمة من درّ ، كل واحد منهم على سرير ، فرأيت زيدا وابن راحة في أعناقهما صدودا ، ورأيت جعفرأ مستقيما ليس فيه صدود ، فسألتُ فقيل لي : إنهما حين غشيهما الموتُ أعرضا وصدّا بوجهيهما ، وأما جعفر فلم يفعل .

قال أبو عمر أيضا : وروى عن الشعبي ، قال : سمعتُ عبد الله بن جعفر يقول : كنتُ إذا سألت عني عليا عليه السلام شيئا ويمعني ، أقول له : بحق جعفر ، فيُعطيني <sup>(١)</sup> .

وروى أبو عمر أيضا في حرف الزاي في باب زيد بن حارثة ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أناه قتل جعفر وزيد بمؤنة بكى ، وقال : أخوأي ومؤنسأي ومحدثأي <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

واعلم أن هذه الكلمات التي ذكرها الرضى رحمه الله عليه ملتقطة من كتابه عليه السلام الذي كتبه جوابا عن كتاب معاوية النافذ إليه مع أبي مسلم الخولاني وقد ذكره أهل السيرة في كتبهم ، روى نصر بن مزاحم في كتاب " صفين " ، عن عمر بن سعد عن أبي ورقاء ، قال : جاء أبو مسلم الخولاني في ناس من قراء أهل الشام إلى معاوية قبل مسير أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين فقالوا له : يا معاوية ، علام تقارل عليا وليس لك

(١) الاستيعاب ٨١ ، ٨٢ .

(٢) الاستيعاب ١٩١ .

مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته ا فقال : <sup>(١)</sup> «إني لا أدعى أن لي في الإسلام مثل صحبته ولا مثل هجرته ولا قرابته» ؛ ولكن خبروني عنكم ، ألسن تعلمون أن عثمان قُتل مظلوما ! قالوا : بلى ، قال : فإيدفع إلينا قتلته لنقتلهم به ، ولا قتال بيننا وبينه ، قالوا : فاكسب إليه كتابا يأت به بعضنا ، فكتب مع أبي مسلم الخولاني :

من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب . سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإن الله اصطفى محمدا بعلمه ، وجعله الأمين على وحيه ، والرسول إلى خلقه ، واجتبي له من المسلمين أعوانا أيده الله تعالى بهم ، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضالهم في الإسلام وأنصَحهم الله ورسوله بالخليفة من بعده ، ثم خليفة خليفته من بعد خليفته ، ثم الثالث الخليفة المظلوم عثمان ، فكلهم حسدت ، وعلى كلهم بغيت ، عرفنا ذلك في نظرك الشر ، وقولك الهجر ، وتنفسك <sup>(٢)</sup> الصعداء ، وإبطائك عن الخلفاء ، تقاد إلى كل منهم كما يقاد الفحل الخشوش <sup>(٣)</sup> حتى تباع وأنت كاره ، ثم لم تكن لأحد منهم بأعظم حسدا منك لابن عمك عثمان ، وكان أحقهم ألا تفعل ذلك في قرابته وصهره ، فقطعت راحه ، وقبعت محاسنه ، وألبت <sup>(٤)</sup> الناس عليه ، وبطننت وظهرت حتى ضربت إليه آباط الإبل ، وقيدت إليه الإبل العراب ، ومحل عليه السلاح في حرَم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقتل معك في المحلة وأنت تسمع في داره الهائلة <sup>(٥)</sup> ، لا تردع الظن والتهمة عن نفسك بقول ولا عمل . وأقسم قسما صادقا لو قمت فيما كان من أمره مقاما واحدا تُنهته الناس

(١-١) صفين : « ما أقاتل عليا وأنا أدعى أن في الإسلام مثل صحبته ولا هجرته ولا سابقته » .

(٢) صفين : « وفي تنفسك » .

(٣) الخشوش : الذي جعل في عظم أنفه الخشاش ، وهو بالكسر عويد يجعل في أنف البعير رشداً به الزمام ليكون أسرع في اتقياده » .

(٤) ألبت الناس : جمتهم عليه .

(٥) الهائلة : الصوت الشديد .

عنه ، ما عدل بك من قبلنا من الناس أحدا ، ولحقاً ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من  
الحجامة لعمان والبغي عليه ، وأخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين<sup>(١)</sup> ؛ إياؤك قتلة  
عثمان ، فهم عضدك وأنصارك ، ويدك وبطانتك ؛ وقد ذكر لي أنك تنصل من دمه ،  
فإن كنت صادقاً فأمسكنا من قتلتته تقتلهم به ، ونحن أسرع الناس إليك ، وإلا فإنه  
ليس لك ولأصحابك إلا السيف ؛ والذي لا إله إلا هو لنطلبن قتلة عثمان في الجبال  
والرمال ، والبر والبحر ، حتى يفتنهم الله أو لتأخذن أرواحنا بالله ، والسلام<sup>(٢)</sup> .

قال نصر : فلما قدم أبو مسلم على علي عليه السلام بهذا الكتاب ، قام فحمد الله  
وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنك قد قتت بأمر وليته ، والله ما أحب أنه لغيرك . إن  
أعطيت الحق من نفسك . إن عثمان قتل مسلماً محرمًا مظلوماً ، فادفع إلينا قتلتته ، وأنت  
أميرنا ، فإن خالفك من الناس أحدٌ كانت أيدينا لك ناصرة ، وألسنتنا لك شاهدة ،  
وكنيت ذا عذر وحجة . فقال له علي عليه السلام : اغد علي غداً ، فخذ جواب كتابك  
فانصرف ، ثم رجع من غد ليأخذ جواب كتابه ، فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء فيه  
قبل ، فلبست الشيعة أسلحتها ثم غدوا فماتوا المسجد فنادوا : كلنا قتلة عثمان ، وأكثروا من  
النداء بذلك وأذن لأبي مسلم ، فدخل ، فدفع علي عليه السلام جواب كتاب معاوية ،  
فقال أبو مسلم : لقد رأيت قوماً مالاً معهم أمر ، قال : وما ذاك ؟ قال : بلغ القوم أنك  
تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان فضجوا ، واجتمعوا ، ولبسوا السلاح ، وزعموا أنهم قتلة  
عثمان . فقال علي عليه السلام ، والله ما أردت أن أدفعهم إليكم طرفة عين قط ، لقد  
ضربت هذا الأمر أنفه وعينه ، فما رأيت ينبئ لي أن أدفعهم إليك ، ولا إلى غيرك . فخرج  
أبو مسلم بالكتاب وهو يقول : الآن طاب الضراب !

(١) ظنين : متهم .

(٢) صفين ٩٧ ، ٩٨ .

وكان جوابُ عليٍّ عليه السلام : من عبد الله عليَّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان .

أما بعد ؛ فإن أخا خولان قديم عليٍّ بكتاب منك تذكر فيه محمدا صلى الله عليه وآله وما أنعم الله به عليه من الهدى والوحي ، فالحمد لله الذي صدقه الوعد ، وأبده <sup>(١)</sup> بالنصر ، ومكن له في البلاد ، وأظهره على أهل العداوة <sup>(٢)</sup> والشنآن من قومه الذين وثبوا عليه ، وشفعوا له <sup>(٣)</sup> ، وأظهروا تكذيبه <sup>(٤)</sup> وبارزوه بالعداوة ، وظاهروا على إخراجِه وعلى إخراج أصحابه وأهله ، وألبوا عليه [ العرب ، وجادلوه على حربِه ] <sup>(٥)</sup> ، وجهدوا في أسرِه كلَّ الجهد ، وقلَّبوا له الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ، وكان أشدَّ الناس عليه تأليباً <sup>(٦)</sup> وتحريضا أسرته ، والأدنى فالأدنى من قومه ، إلا من عصم الله . وذكرت أن الله تعالى اجتنب له من المسلمين أعوانا أبده الله بهم ، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضلهم - زعت - في الإسلام ، وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة ، ولعمري إن مكانهما في الإسلام لعظيم ، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد ، فرحمهما الله وجزأهما أحسن ما عملا ! وذكرت أن عثمان كان في الفضل تأليا ، فإن يك عثمان محسنا فسيجزيه الله بإحسانه ، وإن يك مسيئا فسيلقى ربنا غفورا لا يتعاطفه ذنب إن يفقره ، ولعمري إنِّي لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الإسلام ونصيحتهم لله ولرسوله ، أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر . إن محمدا صلى الله عليه وآله لما دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد له كفنا أهل البيت أول من آمن به وصدقَه فيما جاء ، فبئنا أحوالا كاملة مجرمة <sup>(٧)</sup> تامة ، وما يُعبد الله في رُبُع ساكن من

(١) صفي : « وتم له النصر » .

(٢) صفي : « العدا » وهو يوافي ما في .

(٣) صفي : « التأييد » .

(٤) صفي : « إلبا » .

(٥) شنف له ، أي أبغضه .

(٦) من صفي .

(٧) مجرمة ، أي كاملة .



من العرب غيرنا ، فأراد قومنا قتل نبيّنا ، واجتياح أصلنا ، وهُمّوا بنا الهُوم ، وفعلوا بنا  
 الأفاعيل ، ومنَعونا الميرة <sup>(١)</sup> ، وأمسكوا عنا العذب ، وأحسُّونا الخوف <sup>(٢)</sup> . وجعلوا  
 علينا الأرصاد والعيون ، واضطرونا إلى جبل وعَر ، وأوقدوا لنا نار الحرب ، وكتبوا بينهم  
 كتابا ، لا يُؤاكلُوننا ، ولا يُشاربُوننا ، ولا يُناكحُوننا ، ولا يُبايعُوننا ، ولا نأمن منهم  
 حتى ندفع إليهم محمدا فيقتلوه ويمثلوا به ، فلم نكن نأمن فيهم إلّا من موسم إلى موسم ،  
 فَعَزَمَ اللهُ لنا على منعه ، والذب عن حوزته ، والرعى من وراء حرّمته ، والقيام بأسيارنا  
 دونه في ساعات الخوف بالليل والنهار ، فمؤمنا يرجو بذلك الثواب ، وكافرنا يُحامي عن  
 الأصل ، وأما من أسلم من قريش فإنهم ممّا نحن فيه خلاء ، منهم الخليف الممنوع ، ومنهم ذو العشيّة  
 التي تدافع عنه ، فلا ينبغي أحدٌ مثل ما بغانا به قومنا من التلف ، فهم من القتل بمكان <sup>(٣)</sup>  
 نجوة وأمن ، فكان ذلك ما شاء الله أن يكون . ثم أمر الله تعالى رسوله بالهجرة ،  
 وأذن له بعد ذلك في قتال المشركين ، فكان إذا احمرّ البأس ، ودعيت نزال <sup>(٤)</sup> أقام  
 أهل بيته ، فاستقدموا ، فوق أصحابه بهم حدّ الأستة والسيوف ، فقتل عبيدة يوم بدر ،  
 وحمزة يوم أُحد ، وجعفر وزيد يوم مؤتة ، وأراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي  
 أرادوا من الشهادة مع النبي صلى الله عليه وسلم غير مرّة ، إلّا أن آجالهم عجلت ، ومنيته  
 أخرت ، والله وليّ الإحسان إليهم ، والمنة عليهم ، بما أسلفوا من أمر الصالحات ، فما  
 سمعتُ بأحد ولا رأيته هو أنصح في طاعة رسوله ولا لنبيّه ، ولا أصبر على اللاؤاء <sup>(٥)</sup>  
 والسراء والضراء وحين البأس ، ومواطن المكروه مع النبي صلى الله عليه وسلم من هؤلاء  
 الثفر الذين سميتُ لك ، وفي المهاجرين خيرٌ كثير يعرف ، جزاهم الله خيرا بأحسن

(١) الميرة بالكسر : ما يجلب ؟ ويريد بالعذب الماء .

(٢) أحسُّونا الخوف ؟ أي ألزَمُوناه .

(٣) انظر صفين ١٠٠ ، ١١٠ .

(٤) دعيت نزال : الشدة .

(٥) دعيت نزال ، كقطام ؟ أي تنازلوا للحرب .



أعمالهم . وذكرت حسدى الخلفاء وإبطائى عنهم ، وبغى عليهم ؛ فأما البغى فعاذ الله أن يكون ، وأما الإبطاء عنهم والكرهية لأمرهم فلست أعتذر إلى الناس من ذلك ؛ إن الله تعالى ذكره لما قبض نبيه الله صلى الله عليه وسلم قالت قريش : منّا أميرٌ ، وقالت الأنصار : منّا أميرٌ ؛ فقالت قريش : منّا محمد ، نحن أحق بالأمر ، فعرفت ذلك الأنصار فسلمت لهم الولاية والسلطان ، فإذا استحقوها بمحمد صلى الله عليه وسلم دون الأنصار فإن أولى الناس بمحمد أحقُّ به منهم ، وإلا فإنّ الأنصار أعظمُ العرب فيها نصيباً ، فلا أدرى أصحابى سلموا من أن يكونوا حتى أخذوا ، أو الأنصار ظلموا ، بل عرفت أن حتى هو المأخوذ ، وقد تركته لهم مجاوزاً لله عنهم . وأما ما ذكرت من أمر عثمان ، وقطيعتى رحمه ، وتأليى عليه فإن عثمان عمل ما قد بلغك ، فصنع الناس به ما رأيت ، وإنك لتعلم أنى قد كنت فى عزلة عنه إلا أن تتجنى ؛ فتجنى<sup>(١)</sup> ما بدالك ؛ وأما ما ذكرت من أمر قتلة عثمان فأنى نظرت فى هذا الأمر وضربتُ أنفه وعينه فلم أر دفعهم إليك ولا إلى غيرك ، ولعمري لئن لم تنزع عن غيِّك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك لا يكلفونك أن تطلبهم فى برٍّ ولا بحر ولا سهل ولا جبل ، وقد أتانى أبوك حين ولّى الناس أبا بكر ، فقال : أنت أحقُّ بمقام محمد ، وأولى الناس بهذا الأمر ، وأنا زعيمٌ لك بذلك على من خالف ، أبسط يدك أبايعك ؛ فلم أفعل ، وأنت تعلم أن أباك قد قال ذلك وأراد به حتى كنتُ أنا الذى أبيتُ ؛ لقرب عهد الناس بالكفر مخافة الفرقة بين أهل الإسلام ، فأبوك كان أعرف بحق منك ، فإن تعرف من حتى ما كان أبوك يعرف تُصبُّ رُشدك ، وإن لم تفعل فسيفنى الله عنك ، والسلام<sup>(٢)</sup> .

(١) تجنى عليه : ادعى ذنباً لم يجنه .

(٢) صفين ٩٨ - ١٠٢ .

( ١٠ )

الأفضل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا :

وَكَيفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ  
تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا ، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا ؛ دَعَاكَ فَأَجَبْتَهَا ، وَقَادَتَكَ فَاتَّبَعْتَهَا . وَأَمَرَتْكَ  
فَأَطَعْتَهَا ، وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مُنْجٍ .

فَأَقْصِ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، وَخُذْ أَهْبَةَ الْحِسَابِ ، وَتَمَرِّ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ ،  
وَلَا تَمَكِّنِ الْغَوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ ، وَإِلَّا تَفْعَلْ أَغْلِبَكَ مَا أُغْفِلَتْ مِنْ نَفْسِكَ ،  
فَإِنَّكَ مُتَرَفٌّ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَا أَخَذَهُ ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلُهُ ، وَجَرَى مِنْكَ  
مَجْرَى الرُّوحِ وَالْدَّمِ .

وَمَتَى كُنْتُمْ بِأَمْعَاوِيَةَ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ ، وَوَلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ ، بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ ،  
وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ .

وَأَحْذَرُكَ أَنْ تَكُونَ مُمَاذِيًا فِي غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ ، مُخْتَلِفَ الْعِلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ .  
وَوَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ فَدَجَّ النَّاسَ جَانِبًا ، وَأَخْرَجَ إِلَيَّ ، وَأَغْفِ الْقَرِيبِينَ مِنْ  
الْقِتَالِ ، لَتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَالْمَغْطَى عَلَى بَصَرِهِ !

فَأَنَا أَبُو حَسَنِ ، قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخًا يَوْمَ بَدْرٍ ، وَذَلِكَ السَّيْفُ  
مَعِي ، وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي ؛ مَا اسْتَبَدَلْتُ دِينًا ، وَلَا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيًّا ، وَإِنِّي  
لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَ كُتُبُهُ طَائِعِينَ ؛ وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ .

وَرَزَعْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِرًا بِدِمِ عُثْمَانَ ! وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ ، فَأَطْلُبْهُ

مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا ، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ  
الْجَمَالِ بِالْأَنْقَالِ وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعًا مِنَ الضَّرْبِ الْمَتَابِعِ ، وَالْقَضَاءِ  
الْوَاقِعِ ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ ، إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ ، أَوْ مُبَايَعَةٌ حَائِدَةٌ .

\*\*\*

### الشَّيْرُجُ

الْجَلَالِيْب : جَمْعُ جَلْبَابٍ ، وَهِيَ الْمَاحِفَةُ فِي الْأَصْلِ ؛ وَاسْتُعِيرَ لغيرها مِنَ الثِّيَابِ ،  
وَتَجَلَّيَّبَ الرَّجُلُ جَلْبِيَّةً ، وَلَمْ تُدْغَمْ لِأَنَّهَا مُلْحَقَةٌ بِـ « لَمَخْرَجَةٍ » .

قوله : « وَتَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا » : صَارَتْ ذَاتَ بَهْجَةٍ ، أَيْ زِينَةٍ وَحُسْنٍ ، وَقَدْ بَهَّجَ  
الرَّجُلُ بِالضَّمِّ ، وَيُوشِكُ : يَسْرِعُ .  
وَيَقْفُكُ وَقَفٌ ، يَعْنِي الْمَوْتَ ؛ وَيُرْوَى : « وَلَا يَفْحِكُ بِحَنٍّ » ، وَهُوَ التُّرْسُ ،  
وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى أَصَحُّ .

قوله : « فَاقْعَسَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ » ، أَيْ تَأَخَّرَ عَنْهُ ، وَالْمَاضِي قَعَسَ بِالْفَتْحِ ، وَمِثْلُهُ  
تَقَاعَسَ وَاقْعَنَسَ .

وَأَهْبَةُ الْحِسَابِ : عُدَّتُهُ ، وَتَأَهَّبَ : « اسْتَعَدَّ » ، وَجَمْعُ الْأَهْبَةِ أَهْبٌ .  
وَشَمَّرْنَا قَدْ نَزَلَ بِكَ ، أَيْ جِدًّا وَاجْتِهَدَ وَخِفًّا ، وَمِنْهُ رَجُلٌ شَمَّرِيٌّ يَفْتَحُ  
الشَّيْنِ ، وَتُكْسَرُ .

وَالْفَوَاةُ : جَمْعُ غَاوٍ ، وَهُوَ الضَّالُّ .  
قوله : « وَإِلَّا تَفْعَلْ » يَقُولُ : وَإِنْ كُنْتَ لَا تَفْعَلُ مَا قَدْ أَمَرْتُكَ وَوَعظْتُكَ بِهِ فَإِنِّي  
أَعْرِفُكَ مِنْ نَفْسِكَ مَا أَغْفَلْتَ مَعْرِفَتَهُ .

إِنَّكَ مُتَرَفٌّ ، وَالْمُتَرَفُّ الَّذِي قَدْ أَتْرَفْتَهُ النِّعْمَةُ ، أَيْ أَطْفَقْتَهُ .

قد أخذ الشيطان منك مأخذه ؛ ويُروى « مأخذه » بالجمع ، أى تناول الشيطانُ منك لُبَّك وعقلك . ومأخذه مصدر ، أى تناولك الشيطان تناولَه المعروف ، وحذف مفعول « أخذ » لدلالة الكلام عليه ، ولأن اللفظة تجرى مجرى المثل .

قوله : « وجرى منك مجرى الروح والدم » ، هذه كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن الشيطان ليَجْرى من ابن آدم مجرى الدم » .

ثم خرج عليه السلام إلى أمر آخر ، فقال لمعاوية : « ومتى كنتم ساسة الرعية ، وولاة أمر الأمة ! » ينبى أن يحمل هذا الكلام على نقي كونهم سادة وولاة في الإسلام ، وإلا ففي الجاهلية لا يُنكر رئاسة بنى عبد شمس . ولست أقول برياستهم على بنى هاشم ، ولكنهم كانوا رؤساء على كثير من بطون قريش ، ألا ترى أن بنى نوفل ابن عبد مناف ما زالوا أتباعاً لهم ، وأن بنى عبد شمس كانوا في يوم بدر قادة الجيش ، كان رئيس الجيش عتبة بن ربيعة ، وكانوا في يوم أحد ويوم الخندق قادة الجيش ! كان الرئيس في هذين اليومين أباسُفيان بن حرب ؛ وأيضاً فإن في لفظة أمير المؤمنين عليه السلام ما يُشعر بما قلناه ، وهو قوله : « وولاة أمر الأمة » فإن الأمة في العرب هم المسلمون ، أمة محمد صلى الله عليه وآله .

قوله عليه السلام : « بغير قدمٍ سابق » ، يقال : لفلان قدمٌ صِدْق ، أى سابقة وأثرٌ حسن .

قوله عليه السلام : « ولا شرف باسق » ؛ أى عالٍ .  
وتَمَادَى : تفاعل ، من المدى ، وهو الغاية ، أى لم يقف بل مَضَى قُدماً .  
والغِرَّة : الغفلة ؛ والأمنية : طمع النفس . ومختلف السرية والعلانية : منافق .  
قوله عليه السلام : « فدع الناس جانباً » ، منصوب على الظرف .

والمرين على قلبه : المغلوبُ عليه ، من قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> . وقيل : المرين : الذنب على القريب .

وإنما قال أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية هذه الكلمة لأن معاوية قالها في رسالة كتبها ، ووقفتُ عليها من كتاب أبي العباس يعقوب بن أبي أحمد الصيمري الذي جمعه من كلام علي عليه السلام وخطبه ، وأولها :

أما بعد ، فإنك المطبوعُ على قلبك ، المنطى على بصرك؛ الشر من شيمتك ، والعنوة من خليقتك ، فشمّر للحرب ، واصبر للضرب ، فوالله ليرجعن الأمرُ إلى ما علمت ، والعاقبة للمتقين . هيهات هيهات ! أخطأك ما تمنى ، وهوى قلبك فيما هوى ، فاربّع على ظلمك ، وقس شبرك بفترك ، تعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حمله ، ويفصل بين أهل الشكِّ علمه ؛ والسلام .

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام : أما بعد ، يا ابن صخر ، يا ابن اللعين ؛ يزن الجبال فيما زعمت حملك ، ويفصل بين أهل الشكِّ علمك ؛ وأنت الجاهلُ القليلُ الفقه ، المتفاوتُ العقل ، الشاردُ عن الدين .

وقلت : « فشمّر للحرب ، واصبر » ، فإن كنت صادقاً فيما تزعم ، ويعينك عليه ابن النابغة ، فدع الناس جانبا ، وأعفِ الفريقين من القتال ، وابرز إلى لتعلم أين المرين على قلبه ، المنطى على بصره ، فأنا أبو الحسن حقا ، قاتل أخيك وخالك وجدك ؛ شدخاً يوم بدر ، وذلك السيف معي ، وبذلك القلب ألقى عدوى !

\*\*\*

قوله عليه السلام «شذخا»؛ الشذخ: كسر الشيء الأجوف، شذخت رأسه فأشذخ، وهؤلاء الثلاثة: حنظلة بن أبي سفيان، والوليد بن عتبة، وأبوه عتبة بن ربيعة، حنظلة أخوه، والوليد خاله؛ وعتبة جدّه، وقد تقدّم ذكر قتل إيتام في غزاة بدر، والثائر: طالب الثأر. وقوله: «قد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك»، يريد به إن كنت تطلب ثأرك من عند من أجلب وحاصر، فالذي قتل ذلك طلحة والزبير؛ فاطلب ثأرك من بني تميم ومن بني أسد بن عبد المزني، وإن كنت تطلبه من خذل، فاطلبه من نفسك فإنك خذلته، وكنت قادرا على أن ترفقه<sup>(١)</sup> وتحمّده بالرجال، فخذلته وقعدت عنه بعد أن استنجذك وأستغاث بك.

وتضج: تصوّت. والجاحدة: المنكرة، والحائدة: العادلة عن الحق. واعلم أن قوله: «وكأني بجماعتك يدعوني جزأ من السيف إلى كتاب الله تعالى»، إما أن يكون فِراسةً نبوية صادقة، وهذا عظيم، وإما أن يكون إخباراً عن غيب مفصل، وهو أعظم وأعجب، وعلى كلا الأمرين فهو غاية العجب. وقد رأيت له ذكر هذا المعنى في كتاب غير هذا، وهو: أما بعد، فما أعجب ما يأتيني منك، وما أعلمني بمنزلتك التي أنت إليها صائر، ونحوها سائر؛ وليس إبطائي عنك إلا لوقت أنا به مصدّق، وأنت به مكذّب؛ وكأني أراك وأنت تضج من الحرب، وإخوانك يدعوني خوفاً من السيف، إلى كتابهم به كافرون، وله جاحدون.

\*\*\*

ووقفت له عليه السلام على كتاب آخر إلى معاوية يذكر فيه هذا المعنى، أوله: أما بعد، فطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الحقّ أساطير، ونبدتموه وراء

(١) ترفقه: تعينه.

ظهوركم ، وحاولتم إطفاءه بأفواهكم ، ﴿ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا آتٌ يُنِيرُ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> . ولعمري لينفذن العلم فيك ، وليتمنّ النور بصغرك وبقاءك ، ولتخسان طريدا مذحورا ، أو قتيلا مشهورا <sup>(٢)</sup> ؛ ولتجزين بعملك حيث لا ناصر لك ، ولا مصرّخ <sup>(٣)</sup> عندك . وقد أسهبت في ذكر عثمان ، ولعمري ما قتله غيرك ، ولا خذله سواك ، ولقد تربّصت به الدوائر ، وتمنيت له الأمان ، طمعا فيما ظهر منك ، ودل عليه فعلك ، وإني لأرجو أن الحِقِّك به على أعظم من ذنبه ، وأكبر من خطيئته .

فأنا ابن عبد المطلب صاحب السيف ، وإن قائمه لفي يدي ، وقد علمت من قتل به من صناديد بني عبد شمس ، وفراعنة بني سهم وجميع وبني مخزوم ؛ وأيمنت أبناءهم ، وأيمنت نساءهم <sup>(٤)</sup> . وأذكرك ما لست له ناسيا ؛ يوم قتل أخاك حنظلة ، وجررت برجله إلى القليب <sup>(٥)</sup> ، وأسرت أخاك عمرا ؛ فجعلت عنقه بين ساقيه رباطا ، وطلبتك فقررت ولك حصاص <sup>(٦)</sup> ؛ فلولا أنني لأتبع فارّا ، لجعلتك ثالثهما ، وأنا أولى لك بالله أليّة برة غير فاجرة ؛ لأن جمعتني وإيتاك جوامع الأقدار ، لأتركك مثلاً يتمثل به الناس أبداً ، ولأجمعن بك في مناخك حتى يحكم الله بيني وبينك ، وهو خير الحاكمين .

ولئن أنسا <sup>(٧)</sup> الله في أجلى قليلا لأغريتك سرايا المسلمين ، ولأنهسدن إليك في جحفل من المهاجرين والأنصار ، ثم لأقبل لك معذرة ولا شفاعة ، ولا أجيبك إلى طلب وسؤال ، ولترجعن إلى تحيُّرك وتردُّدك وتلهُّدك ، فقد شاهدت وأبصرت ورأيت

(١) سورة التوبة ٣٢ .

(٢) مشهورا : هالكا ؛ أو مصروفا عن الخير .

(٣) المصرخ : المستغيث .

(٤) القليب : البئر .

(٥) أي تركتهن بلا أزواج .

(٦) الحصاص : شدة الندو .

(٧) أنسا الله في أجلى : أي أخره قليلا .



سُحِبَ الموتُ كيفَ هطلتْ عليكِ بصَّيِّبها <sup>(١)</sup> حتى أعتصمت بكتاب أنت وأبوك أول من  
كفر وكذب بزُوله . ولقد كنتُ تفرستُها ، وأذنتك أنك فاعلُها ، وقد مضى منها  
مأمُضى ، وانقضى من كَيْدِكَ فيها ما انقضى ، وأنا سائرٌ نحوكَ على أثر هذا الكتاب ،  
فاختَرْتُ لنفْسِكَ ، وانظرْ لها ، وتداركُها ، فإنَّك إن فطرت واستمرزت على غيِّكَ  
وغلوائِكَ <sup>(٢)</sup> حتى يهد إليك عبادُ الله ، أُرْتَجَّتْ عليكِ الأمور ، ومُنعتُ أمرًا هو اليوم  
منك مقبول .

يا بن حرب ، إنَّ لجأجك في منازعة الأمر أهله من سقاء الرأى ، فلا يطمعَنَّك  
أهل الضلال ، ولا يوبقَنَّك سفهُ رأى الجهال ، فوالَّذى نفسُ على ييده لئن برقتُ  
في وجهك بارقة من ذى الفقار لتصعقنَّ صفةً لا تُفِيقُ منها حتى يُنفخ في الصور النفخة  
التي يئست منها ﴿ كَمَا يئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

قلتُ : سألتُ النقيب أبا زيد عن معاوية : هل شهد بدرًا مع المشركين ؟ فقال :  
نعم شهدَها ثلاثة من أولاد أبي سفيان : حنظلة وعمر و معاوية ، قُتِلَ أحدهم ، وأسير الآخر ،  
وأُفلت معاوية هاربًا على رجلَيْه ، فقدم مكة ، وقد انتفخَ قَدَمَاهُ ، وَوَرَمَتِ ساقاهُ ، فعالج  
نفسه شهرين حتى برأ .

قال النقيب أبو زيد : ولا خلافَ عند أحدٍ أن عليًا عليه السلام قتل حنظلة  
وأمر عمرًا أخاه . ولقد شهد بدرًا ، وهربَ على رجلَيْه من هو أعظمُ منهما ومن أخيهما  
عمر بن عبد ود فارس يوم الأحزاب ، شهدَها ونجا هاربًا على قدميه ، وهو شيخ كبير ،

(٢) الغلواء : الكبر .

(١) الصَّيْب : المطر النصب .

(٣) المتحنة ١٢ .

وارث<sup>(١)</sup> جريحا ، فوصل إلى مكة وهو وقيد<sup>(٢)</sup> فلم يشهد أحداً ، فلما برأ شهد الخندق ، فقتله قاتل الأبطال ، والذي قاتله يوم بدر استدركه يوم الخندق .

ثم قال لي النقيب رحمه الله : أما سمعت نادرة الأعشى ومناظرة ؟ فقلت : ما أعلم ما تريد ؟ فقال : سألت رجلاً الأعشى - وكان قد ناظر أصحابه له : هل معاوية من أهل بدر أم لا ؟ فقال له : أصلحك الله ، هل شهد معاوية بدرًا ؟ فقال : نعم من ذلك الجانب .

\*\*\*

واعلم أن هذه الخطبة قد ذكرها نصر بن مزاحم في كتاب " صفيين " على وجه يقتضي أن ما ذكره الرضى - رحمه الله - منها قد ضم إليه بعض خطبة أخرى ، وهذه عادته ، لأن غرضه التيسار الفصيح والبليغ من كلامه ، والذي ذكره نصر بن مزاحم هذه صورته :

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، سلام على من اتبع الهدى فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنك قد رأيت مرور الدنيا وانقضاءها وتصرفها وتصرفها بأهلها ، وخير ما اكتسب من الدنيا ما أصابه العباد الصالحون منها من التقوى ، ومن يقس الدنيا بالآخرة يحد بينهما بعيدا . واعلم يا معاوية أنك قد ادعيت أمراً لست من أهله<sup>(٣)</sup> لافي القديم ولا في الحديث<sup>(٤)</sup> ، ولست تقول فيه بأمرين يعرف له أثر<sup>(٥)</sup> ، ولا عليك منه شاهد [ من كتاب الله ]<sup>(٥)</sup> ؛ ولست متعلقاً بأية من

(١) ارتث جريحا : حل من المعركة رثيثاً ؛ أي جريحا وبه رمق .

(٢) الوقيد : الشديد المرض ، الشرف على الهلاك .

(٣ - ٣) صفيين : لافي القدم ولا في الولاية . (٤) صفيين : أثره .

(٥) من صفيين .

كتاب الله ، ولا عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكيف أنت صانع<sup>(١)</sup> إذا  
تَشَمَّتُ عنك غيابة ما أنت فيه من دُنْيَا قد فُتِنْتَ بِزِينَتِهَا ، وَرَكَتَ إِلَى لَذَاتِهَا<sup>(٢)</sup> ،  
وَوَخَّلَى بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ فِيهَا ، وَهُوَ عَدُوٌّ وَكَلِبٌ مُضِلٌّ جَاهِدْ مُلِيح<sup>(٣)</sup> ، مَلِخٌ ، مَعَ  
مَا قَدْ ثَبَّتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ جَهَّتِهَا ، دَعْتِكَ فَأَحْبَبْتَهَا ، وَقَادَتِكَ فَاتَّبَعْتَهَا ، وَأَمَرْتِكَ فَاطَّعْتَهَا ،  
فَاقْصِرْ<sup>(٤)</sup> عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، وَخُذْ أَهْبَةَ الْحِسَابِ ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفًا عَلَى  
مَا لَا يَجْنُكَ<sup>(٥)</sup> بِحُجْنٍ .

ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية ، أو ولاة لأمر هذه الأمة ، بلا قدم حسن ،  
ولا شرف تليد على قومكم ، فاستيقظ من سِنَّتِكَ ، وَارْجِعْ إِلَى خَالِقِكَ ، وَشُمِّرْ لِمَا  
سَيُنْزَلُ بِكَ ، وَلَا تُتَمَكَّنْ عَدُوُّكَ الشَّيْطَانُ مِنْ بَغْيَتِهِ فِيكَ ؛ مَعَ أَنِّي أَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ صَادِقَانِ ، نَعُودُ<sup>(٦)</sup> بِاللَّهِ مِنْ كُزُومِ سَابِقِ الشَّقَاءِ وَإِلَّا تَفَعَّلْ فَإِنِّي أَعْلَمُكَ مَا أُغْفِلُكَ  
مِنْ نَفْسِكَ ، إِنَّكَ مُتَرَفٍّ ، قَدْ أَخَذَ مِنْكَ الشَّيْطَانُ مَا أَخَذَهُ ، فَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الدَّمِ فِي  
العُرُوقِ ، وَلَسْتَ مِنْ أُمَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا مِنْ رِعَايَتِهَا . وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَوْ كَانَ إِلَى  
النَّاسِ أَوْ بِأَيْدِيهِمْ لِحَسَدٍ وَنَاهٍ ، وَلَا مَتَنُوا عَلَيْنَا بِهِ ، وَلَكِنَّهُ قَضَاءٌ مِمَّنْ مَنَحْنَاهُ وَأَخْتَصَّاهُ بِهِ ،  
عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الصَّادِقِ الْمَصْدَقِ ، لَا أَفْلَحُ مِنْ شَكِّكَ بَعْدَ الْعِرْفَانِ وَالْبَيِّنَةِ ! رَبُّ أَحْكَمِ  
بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ<sup>(٧)</sup> .

\*\*\*

قال نصر : <sup>(٧)</sup> فكتب معاوية إليه الجواب<sup>(٧)</sup> : من معاوية بن أبي سفيان إلى علي  
ابن أبي طالب ، أمّا بعد ، فدع الحسد ، فإنك طالما لم تفتنع به ، ولا تُفْسِدَ سَابِقَةَ

(١-١) صفين : « إذا اتشمت عنك جلايب ما أنت فيه من دنيا أهيجت بزِينَتِهَا ، وركنت إلى لذاتها » .

(٢) المليخ : اللوح بالسيف ؛ يقال : ألح بالسيف ؛ ولوح : إذا حركه ولم به .

(٣) أقصر عن هذا الأمر ؛ أى تأخر .

(٤) كذا في صفين و ١ ، وفي ب : « ينجيك » .

(٥) صفين : « فنعود » . (٦) صفين ١٢١ ، ١٢٢ .

(٧-٧) صفين : « فكتب معاوية بسم الله الرحمن الرحيم » .

جهادك بشيرة تَخُونُكَ ، فَإِنَّ الْأَعْمَالِ بِخَوَاتِيمِهَا ، وَلَا تُمَحِّصْ سَابِقَتَكَ بِقِتَالٍ مِّنْ لَا حَقَّ  
لَكَ فِي حَقِّهِ <sup>(١)</sup> ، فَإِنَّكَ إِن تَفْعَلْ لَا تَضُرُّ بِذَلِكَ إِلَّا نَفْسَكَ ، وَلَا تَمَحِّقْ إِلَّا عَمَلَكَ ، وَلَا  
تُبْطِلْ إِلَّا حِجَّتَكَ ؛ وَلَعَمْرِي إِنْ مَا مَضَى لَكَ مِنَ السَّابِقَاتِ لَشَبِيهِه أَنْ يَكُونَ مَمْحُوقًا ، لَمَّا  
اجْتَرَأْتَ عَلَيْهِ مِنْ سَفْكَ الدِّمَاءِ ، وَخِلَافِ أَهْلِ الْحَقِّ ، فَاقْرَأِ السُّورَةَ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا الْفَلَقُ  
وَتَعَوَّذْ مِنْ نَفْسِكَ <sup>(٢)</sup> فَإِنَّكَ الْحَاسِدُ إِذَا حَسَدَ <sup>(٣)</sup> .



---

(١) حق الرجل وأحقه ؛ إذا غلبه على الحق .

(٢) صفيين : « وتعوذ بالله من شر نفسك » .

(٣) صفيين ١٢٣ .

(١١)

الأصل :

ومن وصية له عليه السلام وصى بها جيشا بعثه إلى العدو :

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بَعْدُوْا أَوْ نَزَلَ بِكُمْ ، فَلْيَكُنْ مُعْسَكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ ،  
أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ ، كَيْمَا يَكُوْنُ لَكُمْ رِذْعًا ، وَدُونَكُمْ مَرَدًّا .  
وَلْيَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ ائْتَيْنِ ، وَأَجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صِيَاصِ  
الْجِبَالِ ، وَمَنَاصِبِ الْهَضَابِ ، لِئَلَّا يَأْتِيَكُمْ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانٍ خَفَاءٍ أَوْ أَمْنٍ .  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَقْدَمَةَ الْقَوْمِ عُبُورُهُمْ ، وَعُبُورَ الْمَقْدَمَةِ طَلَائِعُهُمْ . وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ ،  
فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَأَنْزِلُوا جَمِيعًا ، وَإِذَا أَرْتَحِلْتُمْ فَأَرْتَحِلُوا جَمِيعًا ، وَإِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا  
الرَّمَاحَ كِفَّةً ، وَلَا تَذُقُوا الدَّوْمَ إِلَّا غَرَارًا أَوْ مَضْمَضَةً .

\*\*\*

الشرح :

المعسكر ؛ بفتح الكاف : موضعُ المعسكر ، وحيث ينزل .

الأشراف : الأماكن العالية ، وقبيلها : ما أَسْتَقْبَلْتُك مِنْهَا ، وضده الدبر .

وسفاح الجبال : أسافلها حيث يَسْفَحُ منها الماء .

وأثناء الأنهار : ما أنقطع منها ، واحدها ثني . والمعنى أنه أمرهم أن ينزلوا مسندين

ظهورهم إلى مكانٍ عالٍ كالهضاب العظيمة ، أو الجبال ، أو مُنْعَطَفِ الأنهار التي تجري

مجرى الخنادق على المعسكر ليأمنوا بذلك من البيات ، وليأمنوا أيضاً من إتيان العدو لهم

من خليفهم ، وقد فسر ذلك بقوله : كما يكون لكم ردءا ، والردء : العون ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي 》 <sup>(١)</sup> .

ودونكم مردءا ، أى حاجزا بينكم وبين العدو .

ثم أمرهم بأن يكون مقاتلتهم - بفتح التاء ، وهى مصدر « قاتل » - من وجه واحد أو اثنين ؛ أى لا تفرقوا ؛ ولا يكن قتالكم العدو فى جهات متشعبة ، فإن ذلك أدعى إلى الوهن ، واجتماعكم أدعى إلى الظفر ، ثم أمرهم أن يجعلوا رقباء فى صياصي الجبال . وصياصي الجبال : أعاليها وما جرى مجرى الحصون منها ، وأصل الصياصي القرون ، ثم استعير ذلك للحصون لأنه يمتنع بها كما يمتنع ذو القرن بقرنه . ومناكب الهضاب : أعاليها ؛ لثلا يأتىكم العدو إما من حيث تأمنون ، أو من حيث تخافون .

قوله عليه السلام : « مقدمة القوم غيوبهم » ، المقدمة ، بكسر الدال ، وهم الذين يتقدمون الجيش ، أصله مقدمة القوم ، أى الفرقة المقدمة . والطلائع : طائفة من الجيش تُبعث ليعلم منها أحوال العدو . وقال عليه السلام : المقدمة عيون الجيش . والطلائع عيون المقدمة ، فالطلائع إذا عيون الجيش .

ثم نهاهم عن التفرق ، وأمرهم أن ينزلوا جميعا ويرحلوا جميعا ، لئلا يفجأهم العدو بفتنة على غير تعبية واجتماع ، فيستأصلهم ؛ ثم أمرهم أن يجعلوا الرماح كفة إذا غشيهم الليل ، والكاف مكسورة ، أى أجعلوها مستديرة حولكم كالدائرة ، وكل ما استدار كفة بالكسر ، نحو كفة الميزان ، وكل ما استطال كفة بالضم نحو : كفة الثوب وهى حاشيته ، وكفة الرمل ، وهو ما كان منه كالحبل .

ثم نهاهم عن النوم إلا غاراً أو مضمضة ، وكلا اللفظتين ماقل من النوم .

وقال شبيب الخارجي : الليلُ يكفيك الجبان ، ويصف الشجاع .  
وكان إذا أمسى قال لأصحابه : آتاناكم المدد ، يعني الليل .

قيل لبعض الملوك بيتُ عدوك . قال : أكره أن أجعل غلبتي سرقة .

ولما فصل قحطبة من خراسان وفي مجلته خالد بن برمك ، بينا هو على سطح بيت  
في قرية نزلاها وهم يتغدّون نظر إلى الصحراء فرأى أقاطيعَ فلباء قد أقبلت من جهة  
الصحاري حتى كادت تخالط العسكر ، فقال خالد لقحطبة : أيها الأمير ، ناد في الناس :  
يا خيل الله أو كبي ! فإن العدو قد قرب منك ، وعامة أصحابك لن يسرجوا ويكجموا  
حتى يروا سرعان<sup>(١)</sup> الخيل . فقام قحطبة مذعورا فلم ير شيئا يروعه ، ولم يعاين غبارا ،  
فقال لخالد : ماهذا الرأي ؟ فقال : أيها الأمير ! لا تتشاغل بي ، وناد في الناس ، أما ترى  
أقاطيع الوحوش قد أقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس ! وإن وراها لجمع  
كثيفا . قال : فوالله ما أسرجوا ولا ألجوا حتى رأوا النقع<sup>(٢)</sup> وساطع الغبار ، فسلّوا ،  
ولولا ذلك لكان الجيش قد اضطلم<sup>(٣)</sup> .

(١) سرعان الخيل : أوائلها .

(٢) النقع : الغبار .

(٣) اضطلم : استؤصل وأيد .



(١٢)

الأصل :

ومن وصية له عليه السلام وصى بها معقل بن قيس الرياحي حين أنقذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له :

أَتَى اللَّهَ الَّذِي لَا بَدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ ، وَلَا تُفَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ ، وَسِرَّ الْبُرْدَيْنِ ، وَغَوَّزَ بِالنَّاسِ ، وَرَفَّقَ فِي السَّيْرِ ، وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَمَلُهُ سَكَنًا ، وَقَدَرُهُ مَقَامًا لَا ظُلْمًا ، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ ، فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ ، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ ، فَسِرْ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ . فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ قَفِيتَ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطًا ، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوًّا مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ . وَلَا تَبَاعِذْ عَنْهُمْ تَبَاعِذَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ ، حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي . وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَتَائُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ .

\*\*\*

البرزخ :

معقل بن قيس ، كان من رجال الكوفة وأبطالها ، وله رئاسة وقدم ، أوفده عمار ابن ياسر إلى عمر بن الخطاب مع الهرمزان لفتح نستر<sup>(١)</sup> وكان من شيعة علي عليه السلام ، وجهه إلى بني ساقه فقتل منهم وسبي ، وحارب المستورد بن علفه الخارجي

(١) نستر ، بضم أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه : أعظم مدينة بخوارستان .

من تميم الرهباب ، فقتل كل واحد منهما صاحبه بدرجة ، وقد ذكرنا خبرها فيما سبق ،  
ومعقل بن قيس رياحى من ولد رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة  
ابن تميم .

قوله عليه السلام : « ولا تُقاتلن إلا من قاتلك » ، نهى عن البغى .

وسر البرذين : هما الغداة والعشي ، وهما الأبردان أيضا .

ووصاه أن يرفق بالناس ولا يكلفهم السير في الحر .

قوله عليه السلام : « وغور بالناس » : انزل بهم القائلة ، والمصدر التغوير ، ويقال

للقائلة : الفائرة .

قوله عليه السلام : « ورفه في السير » ، أى دعه الإبل ترد رِفْهاً<sup>(١)</sup> ، وهو أن ترد الماء

كل يوم متى شاءت ولا ترهقها وتجشمها السير . ويجوز أن يكون قوله : « ورفه في السير » ،  
من قولك : رفقت عن الغريم ، أى نفست عنه .

قوله عليه السلام : « ولا تسر أول الليل » : قد ورد في ذلك خبر صرفع ، وفي الخبر أنه

حين تنشر الشياطين . وقد علل أمير المؤمنين عليه السلام النهى بقوله : « فإن الله تعالى

جعله سكنا ، وقدره مقام لا ظمنا » ، يقول : لما امتن الله تعالى على عباده بأن جعل لهم الليل

ليسكنوا فيه<sup>(٢)</sup> كره أن يخالفوا ذلك . ولكن لقائل أن يقول : فكيف لم يكره السير

والحركة في آخره وهو من جملة الليل أيضا ! ويمكن أن يكون فهم من رسول الله

صلى الله عليه وآله أن الليل الذى جعل سكنا للبشر إنما هو من أوله إلى

وقت السحر .

(١) أى ترد الماء كما شاءت .

(٢) وهو قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا ﴾ .

سورة يونس ٦٧ .

ثم أمره عليه السلام بأن يريح في الليل بدنه وظهره ، وهي الإبل ، وبنو فلان مظهرون ، أي لم ظهر بنقلون عليه ، كما تقول : منجبون ، أي لم نجائب .

قال الراوندي : الظهر . الخيول ، وليس بصحيح ، والصحيح ما ذكرناه .  
قوله عليه السلام : « فإذا وقفت » أي فإذا وقفت ثقلك ورحلك لتسير ، فليكن ذلك حين ينبطح السحر .

قال الراوندي : « فإذا وقفت » ثم قال وقد روي : « فإذا واقفت » ، قال : يعني إذا وقفت تحارب العدو وإذا واقفته ، وما ذكره ليس بصحيح ولا روي ، وإنما هو تصحيف ، ألا تراه كيف قال بعده بقليل : « فإذا لقيت العدو » ! وإنما مراده هاهنا الوصاة بأن يكون السير وقت السحر ووقت الفجر .

قوله عليه السلام : « حين ينبطح السحر » ، أي حين يتسع ويمتد ، أي لا يكون السحر الأول ، أي ما بين السحر الأول وبين الفجر الأول ، وأصل الانبطاح السعة ، ومنه الأبطح بمكة ، ومنه البطيحة ، وتبطح السيل ، أي اتسع في البطحاء ، والفجر انفجر انشق .

ثم أمره عليه السلام إذا لقي العدو أن يقف بين أصحابه وسطاً لأنه الرئيس ، والواجب أن يكون الرئيس في قلب الجيش ، كما أن قلب الإنسان في وسط جسده ، ولأنه إذا كان وسطاً كانت نسبته إلى كل الجوانب واحدة ، وإذا كان في أحد الطرفين بعد من الطرف الآخر ، فربما يختل نظامه ويضطرب .

ثم نهاه عليه السلام أن يدنو من العدو دنواً من يريد أن ينشب الحرب ، ونهاه أن يبعد منهم بعداً من يهاب الحرب ، وهي البأس ، قال الله تعالى : ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ <sup>(١)</sup> ،

أى حين الحرب ، بل يكون على حال متوسطة بين هذين حتى يأتيه الأمر من أمير المؤمنين عليه السلام لأنه أعرف بما تقتضيه المصلحة .

ثم قال له : لا يحملنكم بغضكم لهم على أن تبتدوهم بالقتال قبل أن تدعوهم إلى الطاعة وتُعذروا إليهم أى تصيروا ذوى عذر في حربهم .

والشئان : البغض ، بسكون النون وتحريكها .

\*\*\*

### [ نبذ من الأقوال الحكيمة في الحروب ]

وفي الحديث المرفوع : « لا تتمنوا العدو فحسى أن تبتلوا بهم ، ولكن قولوا : اللهم أكفنا شرهم ؛ وكف عنا بأسهم ، وإذا جاءوك يعرفون أو يضجون فعليكم الأرض جلوساً ، وقولوا : اللهم أنت ربنا وربهم ، وبيدك نواصينا ونواصيهم ، فإذا غشوك فتوروا في وجوههم » .

وكان أبو الدرداء يقول : أيها الناس ، اعملوا عملاً صالحاً قبل الفزوة ؛ فإنما تقاتلون بأعمالكم .

وأوصى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان حين استعمله فقال : سير على بركة الله ، فإذا دخلت بلاد العدو فكن بعيداً من الحملة ، فإنى لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد ، وسر بالأدلاء ولا تقاتل بمجروح ، فإن بعضه ليس منه ، واحترس من البيات ، فإن في العرب غيرة ، وأقلل من الكلام ، فإن ما وصى عنك هو عليك ؛ وإذا أتاك كتابى فأمضه ، فإنما أعمل على حسب إشارته ، وإذا قدم عليك وفود العجم فأنزلهم معظم عسكرك ، وأسبغ عليهم من النفقة ، وامنع الناس من محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين ، ولا

تَلَحَّنَ فِي عَقُوبَةٍ فَإِنْ أَدْنَاهَا وَجِيعَةٌ ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَيْهَا وَأَنْتَ تَسْكُنُنِي بِغَيْرِهَا ، وَأَقْبَلَ مِنَ النَّاسِ عَلَانِيَتِهِمْ ، وَكَلَّمَهُمْ إِلَى اللَّهِ فِي سَرِيرَتِهِمْ ، وَلَا تَعْرِضْ عَسْكَرَكَ فَتَفْضَحَهُ ، وَأَسْتَوْدِعَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ .

\*\*\*

وَأَوْصَى أَبُو بَكْرٍ أَيْضًا عِكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ حِينَ وَجَّهَهُ إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ : سِرْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ ، وَلَا تَنْزِلَنَّ عَلَى مُسْتَأْمِنٍ ، وَقَدِّمُ النَّذِيرِينَ بِدِيكَ ، وَمِمَّا قُلْتَ : إِنِّي فَاعِلٌ فَأَقْمِلْهُ ، وَلَا يَجْعَلَنَّ قَوْلُكَ لِفِرْعَوْنَ فِي عَقُوبَةٍ وَلَا عَفْوٍ ، فَلَا تُرْجَى إِذَا أُمِّتَ ، وَلَا تُخَافُ إِذَا خُوفْتَ . وَانْظُرْ مَتَى تَقُولُ وَمَتَى تَفْعَلُ ، وَمَا تَقُولُ وَمَا تَفْعَلُ ، وَلَا تَتَوَعَّدَنَّ فِي مَعْصِيَةٍ بِأَكْثَرِ مِنْ عَقُوبَتِهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أَثِمْتَ ، وَإِنْ تَرَكْتَ كَذَبْتَ ، وَاتَّقِ اللَّهَ ، وَإِذَا لَقِيتَ فَاصْبِرْ .



وَلَمَّا وَلَّى يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ سَلَّمَ بِنُزِيَادٍ خُرَاسَانَ قَالَ لَهُ : إِنْ أَبَاكَ كُنِيَ أَخَاهُ عَظِيمًا ، وَقَدْ اسْتَكْفَيْتُكَ صَغِيرًا ، فَلَا تَتَّكِلَنَّ عَلَى عَذْرِ مَتَى ، فَقَدْ اتَّكَلْتَ عَلَى كِفَايَةِ مَنْكَ ، وَإِيَّاكَ مَتَى مِنْ قَبْلِ أَنْ أَقُولَ : إِيَّاكَ مَنْكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الظَّنَّ إِذَا أَخْلَفَ مِنْكَ أَخْلَفَ فِيكَ ، وَأَنْتَ فِي أَدْنَى حَظِّكَ ، فَاطْلُبْ أَقْصَاهُ ، وَقَدْ تَبِعَكَ أَبُوكَ ، فَلَا تَرِجَحَنَّ نَفْسُكَ ، وَإِذَا كَرَفَ يَوْمُكَ أَحَادِيثَ عَدِّكَ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : يَنْبَغِي لِلْأَمِيرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ سِتَّةُ أَشْيَاءَ : وَزِيرٌ يَشُقُّ بِهِ ، وَيُفْشِي إِلَيْهِ سِرَّهُ ، وَحِصْنٌ إِذَا لَجَأَ إِلَيْهِ عَصَمَهُ - يَعْنِي فِرْسًا - وَسَيْفٌ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْأَقْرَانُ لَمْ يَخَفْ نَبَوَّتَهُ ، وَذَخِيرَةٌ خَفِيفَةُ الْحَمْلِ إِذَا نَابَتْهُ نَائِبَةٌ وَجَدَهَا - يَعْنِي جَوْهَرًا - وَطَبَاخٌ إِذَا أَقْرَى مِنَ الطَّعَامِ صَنَعَ لَهُ مَا يَهْبِجُ شَهْوَتَهُ ، وَامْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ إِذَا دَخَلَ أَذْهَبَتْ هَمَّهُ . فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ ؛ وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمِائَةٍ ، وَخَيْرُ الْجِيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ،

ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قله إذا اجتمعت كلفتهم .

كان يقال : ثلاثة من كن فيه لم يفلح في الحرب ؛ البغي ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْفَعُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، والمكر السيئ ، قال سبحانه : ﴿ وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> والنكت ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

يقال : خرجت خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم ، فأهله ذلك ، فقبل ما يهملك منهم ! وجه إليهم وكيع بن أبي أسود يكفيك أمرهم ، فقال : لا أوجه ، وإن وكيعاً رجل فيه كبر ، وعنده بغي ، يحقر أعداءه ، ومن كان هكذا قلت مبالاة بحصمه فلم يحترس ، فوجد عدوه فيه غرة ، فأوقع به .

وفي بعض كتب القُرْس : إن بعض ملوكهم سأل : أي مكايد الحرب أحزم ؟ فقال : إذكاء العيون ، واستطلاع الأخبار ، وإظهار القوة والسرور والغلبة ، وإمانة الفرق ، والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمن ينصح ، ولا انتصاح لمن ينش ، وكتبان السر ، وإعطاء المبلغين على الصدق ، ومعاينة المتوصلين بالكذب ، وألا تُخرج هارباً فتخوجه إلى القتال ، ولا تُضيّق أماناً على مستأمن ، ولا تُدهشك الغنيمة عن المجاوزة .

وفي بعض كتب الهند : ينبغى للعاقل أن يحذر عدوه المحارب له على كل حال ؛ يرهّب منه الموائبة إن قُرب ، والغارة إن بُعد ، والسكّين إن انكشف ، والاستطراد إن ولى ، والمكر إن رآه وحيداً . وينبغى أن يؤخر القتال ما وجد بُدّاً ، فإن النّفقة عليه من الأنفس ، وعلى غيره من المال .

(٢) سورة فاطر ٤٣ .

(١) سورة يونس ٢٣ .

(٣) سورة الفتح ١٠ .

( ١٣ )

الأفضل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أميرين من أمراء جيشه :

وَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيْزِكُمَا مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرُ ، فَاسْتَمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا ، وَأَجْعَلَاهُ دِرْعًا وَحِجَّتًا ، فَإِنَّهُ يَمْنُنُ لَا يُخَافُ وَهُنُءٌ وَلَا سَقَطَةٌ ، وَلَا يُطَوُّهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمٌ ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبَطْلُ عَنْهُ أَمْثَلُ .

\*\*\*

[ فصل في نسب الأشتر وذكر بعض فضائله ]

الشرح :

هو مالك بن الحارث بن عبد يفيث بن مسلمة بن ربيعة بن خزيمة بن سعد بن مالك ابن النخع بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد . وكان فارسا شجاعا رئيسا من أكابر الشيعة وعظمائها ، شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام وانصره ، وقال فيه بعد موته : رحم الله ماليسكا ، فلقد كان لي كما كنتُ لرسول الله صلى الله عليه وآله ! ولما قُتِلَ عليٌّ عليه السلام على خمسة وأتمهم وهم : معاوية ، وعمرو بن العاص ، وأبو الأعور السلمي ، وحبيب بن مسلمة ، وبُسرُ بن أرطاة ، قُتِلَ معاوية على خمسة ، وهم : علي ، والحسن ، والحسين - عليهم السلام - وعبد الله بن العباس ، والأشتر ، ولعنهم . وقد روى أنه قال لما ولى علي عليه السلام بني العباس على الحجاز واليمن والمراق : فلماذا قتلنا الشيخ بالأمس ! وإنّ عليا عليه السلام لما بلغته هذه الكلمة أحضره ولاطفه واعتذر إليه وقال له : فهل وليتُ حسنا أو حسينا أو أحدا من ولَدِ جعفر أخي ، أو عقila



أو واحدا من ولده ! وإنما وليت ولد عمي العباس ، لأنني سمعت العباس يطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله الإمارة مرارا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عم ، إن الإمارة إن طلبتها وكلت<sup>(١)</sup> إليها ، وإن طلبتك أعنت عليها . ورأيتُ بنيه في أيام عمر و عثمان يحدون في أنفسهم إذ ولي غيرهم من أبناء الطلقاء ولم يول أحدًا منهم ، فأحييتُ أن أصل رَحِمَهُمْ ، وأزيل ما كان في أنفسهم ؛ وبعد فإن علمتُ أحدًا من أبناء الطلقاء هو خير منهم فأتيتُ به . فخرج الأشر وقد زال ما في نفسه .

وقد روى المحدثون حديثا يدل على فضيلة عظيمة للأشتر رحمه الله ، وهي شهادة قاطعة من النبي صلى الله عليه وآله بأنه مؤمن ، روى هذا الحديث أبو هرير بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " في حرف الجيم ، في باب « جُنْدَب » قال أبو هرير<sup>(٢)</sup> :

لما حضرت أبا ذر الوفاة وهو بالرَّبَذَةِ<sup>(٣)</sup> بكنت زوجته أم ذر ، فقال لها : ما يسْكِيك ؟ فقالت : مالي لأبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض ، وليس عندي ثوب يسُكِّكُ كفنا ، ولا بد لي من<sup>(٤)</sup> القيام بمجهازك ! فقال : أبشري ولا تبكي ، فإنني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « لا يموت بين امرأتين مسلمين ولدان أو ثلاثة ، فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا » ؛ وقد مات لنا ثلاثة من الولد . وسمعتُ أيضا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لنفري أنا فيهم : « ليموتن أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين » ، وليس من أولئك النفرا أحدٌ إلا وقد مات في قرية وجماعة فأنا - لأشك - ذلك الرجل ، والله ما كذبت ولا كُذِّبت ، فانظري الطريق . قالت أم ذر : فقلتُ : أتني وقد ذهب الحاج وتقطعت الطرق ! فقال : اذهبي فتبصري . قالت : فكنت

(١) وكلت إليها ، أي احتجت إليها وعجزت .

(٢) بسنده عن علي بن المديني ، عن يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن عمار بن إبراهيم بن الأشتر . عن أبيه .

(٣) الرَبَذَةُ : قرية على ثلاثة أميال من المدينة المنورة قريبة من ذات عرق .

(٤) الاستيعاب : « للقيام » .

أَشْتَدَّ (١) إِلَى السَّكِينِيبِ ، فَأَصْعَدَ فَأَنْظَرَ ، ثُمَّ أَرْجَعَ إِلَيْهِ فَأَمَرَّضَهُ ، فَبَيْنَا أَنَا وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ إِذَا أَنَا بِرِجَالٍ عَلَى رِكَابِهِمْ (٢) كَانَتْهُمْ الرِّخْمُ (٣) تَخَبُّ بِهِمْ رَوَاحِلُهُمْ ، فَأَسْرَعُوا إِلَى حَقِي وَقَفُّوا عَلَى وَقَالُوا : يَا أَمَّةَ اللَّهِ ، مَا لَكَ ؟ قُلْتُ : أَمْرٌ مِنَ الْمَسْلُومِينَ يَمُوتُ ، تَكْفَنُونَهُ ؟ قَالُوا : وَمَنْ هُوَ ؟ قُلْتُ : أَبُو ذَرٍّ ، قَالُوا : صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَذَّوْهُ بِأَبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ ، وَأَسْرَعُوا إِلَيْهِ حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَبْشُرُوا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِنَفَرٍ أَنَا فِيهِمْ : « لَيَمُوتَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ بِقَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ تَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » ، وَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيكَ النَّفَرِ إِلَّا وَقَدْ هَلَكَ فِي قَرْيَةٍ وَجَمَاعَةٍ ، وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كَذَّبْتُ ، وَلَوْ كَانَ عِنْدِي ثَوْبٌ يَسْعُنِي كَفَّنَا لِي أَوْ لَا مَرَأَتِي لَمْ أَكْفَنْ إِلَّا فِي ثَوْبٍ لِي أَوْ لَهَا ؛ وَإِنِّي أَنْشُدُكُمْ اللَّهَ إِلَّا يَكْفِنُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ كَانَ أَمِيرًا أَوْ عَرِيفًا أَوْ بَرِيدًا أَوْ نَقِيبًا ! قَالَتْ : وَلَيْسَ فِي أَوْلِيكَ النَّفَرِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَدْ قَارَفَ بِمَضَى مَا قَالَتْ ، إِلَّا فَتَنِي مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ لَهُ : أَنَا أَكْفَنُكَ بِأَعْمٍ فِي رِدَائِي هَذَا ، وَفِي ثَوْبَيْنِ مَعِي فِي عَيْبَتِي مِنْ غَزَلٍ أُتِي ؛ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : أَنْتَ تَكْفِنُنِي ، فَهَاتِ فَكَفَّنَهُ الْأَنْصَارِيُّ وَغَسَلَهُ النَّفَرُ الَّذِينَ حَضَرُوهُ وَقَامُوا عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ ؛ فِي نَفَرِ كُلِّهِمْ يَمَانُ (٤) .

رَوَى أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ قَبْلَ أَنْ يَرَوِيَ هَذَا الْحَدِيثَ فِي أَوَّلِ بَابِ جُنْدَبَ : كَانَ النَّفَرُ الَّذِينَ حَضَرُوا مَوْتَ أَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ مَصَادَقَةَ جَمَاعَةٍ ؛ مِنْهُمْ حُجْرُ بْنُ الْأَدْبَرِ ، وَمَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرُ (٥) .

قُلْتُ : حُجْرُ بْنُ الْأَدْبَرِ هُوَ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ الَّذِي قَتَلَهُ مُعَاوِيَةُ ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ وَعِظَمَائِهَا ، وَأَمَّا الْأَشْتَرُ فَهُوَ أَشْهَرُ فِي الشَّيْعَةِ مِنْ أَبِي الْهَذِيلِ فِي الْمَعْتَزَةِ .

(١) أَشْتَدَّ : أَعْدُو . (٢) الاستيعاب : « رَحَلَهُمْ » .

(٣) الرِّخْمُ : جَمْعُ رِخَةٍ ، الطَّائِرُ الْمَعْرُوفُ .

(٤) الاستيعاب : ٨٣ .

(٥) الاستيعاب : « وَلَقِيَ مِنَ الْأَنْصَارِ دَعْتَهُمْ امْرَأَتَهُ إِلَيْهِ فَشَهِدُوا مَوْتَهُ ، وَغَضَرُوا عَيْنِيهِ ، وَغَسَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ فِي ثِيَابِ الْأَنْصَارِيِّ ، فِي خَبَرٍ يَجِبُ حَسَنُ فِيهِ طَوْلٌ » .

قوى كتاب " الاستيعاب " على شيخنا عبد الوهاب بن سُكنية المحدث وأنا حاضر ، فلما انتهى القارئ إلى هذا الخبر قال أستاذي عمر بن عبد الله الدباس - وكنت أحضر معه سماع الحديث - : لتقل الشيعة بعد هذا ما شئت ، فما قال المرتضى والمفيد إلا بعض ما كان حُجْر والأشتر يعتقدانه في عثمان ومن تقدمه ، فأشار الشيخ إليه بالسكوت ، فسكت .

ودكرنا آثار الأشتر ومقاماته بصفين فيما سبق .

والأشتر هو الذي عانق عبد الله بن الزبير يوم الجمل فاصطّرعا على ظهر فرسَيْهما حتى وقعا في الأرض ، فجعل عبد الله يصرخ من تحت : اقتلوني ومالك ! فلم يعلم من الذي يعنيه لشدة الاختلاط ونوران النقع <sup>(١)</sup> ؛ فلو قال : اقتلوني والأشتر لقتلا جميعا ؛ فلما افترقا قال الأشتر :

أعائش لولا أنني كنت طاوياً ثلاثاً لألقت ابن أختك هالكا <sup>(٢)</sup>  
غداة يُنادي والرماح تنوشه <sup>(٣)</sup> كوقع الصيامي : اقتلوني ومالك <sup>(٢)</sup>  
فنجاه مني شيعه وشبابه وأنى شيخ لم أكن متماسكا  
ويقال : إن عائشة فقدت عبد الله فسألت عنه ، فقيل لها : عهدنا به وهو معانق للأشتر ، فقالت : وأكل أسماء !

ومات الأشتر في سنة تسع وثلاثين متوجّها إلى مصر والياً عليها لعلى عليه السلام . قيل : متى سما ، وقيل : إنه لم يصب ذلك ، وإنما مات حتف أنفه .

\*\*\*

فأما ثناء أمير المؤمنين عليه السلام عليه في هذا الفصل فقد بلغ مع اختصاره ما لا يبلغ بالكلام الطويل ، ولعمري لقد كان الأشتر أهلاً لذلك ، كان شديد البأس ، جواداً

(٢) الطاووى : الجائع .

(١) النقع : الغبار .

(٣) تنوشه : تناوله .

رئيساً حليماً فصيحاً شاعراً ، وكان يجمع بين اللين والعنف ، فيسطو في موضع السطوة ، ويرفق في موضع الرفق .

### [ نبد من الأقوال الحكيمة ]

ومن كلام عمر : إن هذا الأمر لا يصلح إلا لقوي في غير عنف ، ولين في غير ضعف .

وكان أنوشروان إذا ولي رجلاً أمر الكاتب أن يدع في العهد موضع ثلاثة أسطر ليوقع فيها بخطه ، فإذا أتى بالعهد وقع فيه : سئ خيار الناس بالمودة ، وسيفلتهم بالإخافة ، وامزج العامة رهبة برغبة .

وقال عمر بن عبد العزيز : إني لأهم أن أخرج للناس أمراً من العدل ، فأخاف ألا تحمله قلوبهم ، فأخرج معه طمعا من طمع الدنيا ، فإن نفرت القلوب من ذلك سكنت إلى هذا .

وقال معاوية : إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ؛ ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت . فقيل له : كيف ؟ قال : إذا مدوها خلّيتها ، وإذا خلّوها مدّتها .

وقال الشعبي في معاوية : كان كالجمل الطيب . إذا سكّت عنه تقدّم ، وإذا ردّ تأخر .

وقال يزيد ابنه : قد تبلغ بالوعيد ما لا تبلغ بالإيقاع ، وإياك والقتل ، فإن الله قاتل القتالين .

وأغلظ له رجل فحلم عنه ، فقيل له : أحلم عن هذا ؟ قال : إنا لا نحول بين الناس والسننهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا .

ونفّر سليم مولّى زياد عند معاوية بن زياد ، فقال معاوية : اسكت ونمك فما أدرك  
صاحبك بسيفه شيئاً قطّ إلا وقد أدركتُ أكثر منه بلساني .

وقال الوليد بن عبد الملك لأبيه : ما السياسة يا أبت ؟ قال : هيبة الخاصة لك ، مع  
صدق مودّتها ، واقتيادك قلوب العامة بالإنصاف لها ، واحتمال هفوات الصنائع .

\*\*\*

وقد جمع أمير المؤمنين عليه السلام من أصناف الثناء والمدح ما فرّقه هؤلاء في كلماتهم  
بكلمة واحدة قالها في الأشر ، وهي قوله : « لا يخاف بطنه عما الأسراعُ إليه أحزم ،  
ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل .

\*\*\*

قوله عليه السلام : « وعلى من في حيزٍ كما » أى في ناحيتكما .

والمجنّ : الثرس .

والوهن : الضعف .

والنقطة : الغلطة والخطأ .

وهذا الرأي أحزم من هذا ، أى أدخل في باب الحزم والاحتياط ، وهذا أمثل من

هذا أى أفضل .

(١٤)

الأصل :

ومن وصية له عليه السلام امسكوه بصفين قبل لقاء العدو :

لَا تَقَاتِلُونَهُمْ حَتَّى يَبْذُوهَكُمْ ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ ، وَتَرَكُكُمْ إِيَّاهُمْ  
حَتَّى يَبْذُوهَكُمْ حُجَّةً أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا كَانَتِ الْهَرِيعَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا  
مَذْبِرًا ؛ وَلَا تَصِيبُوا مَعُورًا ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى  
وَإِنْ شِئْتُمْ أَغْرَضَكُمْ ، وَسَبَّيْنِ أَمْرَاءَكُمْ ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ ؛  
إِنْ كُنَّا لَنُؤَمِّرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ أَمْسِرَكُنَّ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ  
فِي أَجَاهِلِيَّةٍ بِالْفِهْرِ أَوْ الْهَرَاوَةِ ، فَيَعْبُرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ .

\*\*\*

الشرح :

نهى أصحابه عن البنى والابتداء بالحرب ، وقد روى عنه أنه قال : ما نصرت على  
الأقران الذين قتلهم إلا لأثني ما ابتدأت بالمبارزة . ونهى - إذا وقعت الهزيمة - عن  
قتل المدبر ، والإجهاز على الجريح ، وهو إتمام قتله .

قوله عليه السلام : « وَلَا تَصِيبُوا مَعُورًا » هو من يعتصم منك في الحرب بإظهار  
عورته لتكف عنه ، ويجوز أن يكون المعور هاهنا المريب الذي يظن أنه من القوم وأنه  
حضر للحرب وليس منهم ، لأنه حضر لأمر آخر .

قوله عليه السلام : « وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى » ، أى لا تحركوهن .

والفهر : الحجير : والهرأوة : العصا .

وعطف « وعقبه » على الضمير المستكن الرفوع في « فيمير » ولم يؤكد للفصل بقوله : بها ، كقوله تعالى : ﴿ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ <sup>(١)</sup> ، لما فصل بلا عطف ولم يحتاج إلى تأكيد .

\*\*\*

### [ نبذ من الأقوال الحكيمة ]

ومما ورد في الشعر في هذا المعنى قول الشاعر <sup>(٢)</sup> .

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْكِبَائِرِ عِنْدِي قَتْلُ بِيضَاءِ حُرَّةٍ عَطْبُولٍ <sup>(٣)</sup>

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُحَصَّنَاتِ جَزُؤُ الدَّيُولِ

وقالت امرأة عبد الله بن خلف الخزاعي بالبصرة لعل عليه السلام بعد ظفروه - وقد

مرت ببابها : يا لعل ، يا قاتل الأحيّة ، لا مرحباً بك ! أَيْتَمَ اللهُ مِنْكَ وَلَدَكَ كَمَا أَيْتَمَ بَنِي

عبد الله بن خلف ! فلم يرد عليها ، ولكنه وقف وأشار إلى ناحية من دارها ، ففهمت

إشارته ، فسكت وأنصرفت . وكانت قد سترت عندها عبد الله بن الزبير ومروان بن

الحكم ، فأشار إلى الموضع الذي كانا فيه ، أي لو شئتُ أخرجتهما ! فلما فهمت أنصرفت ،

وكان عليه السلام حليماً كريماً .

وكان عمر بن الخطاب إذا بعث أمراء الجيوش يقول : بسم الله ، وعلى عون الله ،

(١) سورة الأنعام ١٤٨ .

(٢) من أبيات تنسب لعمر بن أبي ربيعة ، ملحق ديوانه : ٤٩٨ .

(٣) العطبول : الشابة الفتية المبتلة ؛ وبعده :

قَتَلْتُ بَاطِلًا عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ إِنَّ اللَّهَ دَرُّهَا مِنْ قَتِيلٍ



وبركته ، فامضوا بتأييد الله ونصره . أوصيكم بتقوى الله ، ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . ولا تجهنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند الغارة ، ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرما . ولا امرأة ، ولا ولدا ، وتوقوا أن تطئوا هؤلاء عند التقاء الرّحّفين وعند حمة النّهضات وفي شنّ الغارات ، ولا تغلّوا عند الغنائم ، ونزّهوا الجهاد عن غرض الدنيا ، وأبشروا بالأرباح في البيع الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم .

واستشار قوم أكرمهم بنّ صفيّ في حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم ، فقال : أقبلوا الخلاف على أسرائكم ، واثبتوا ، فإن أحزم الفريقين الرّكين<sup>(١)</sup> ، وربّ عجلة تهب<sup>(٢)</sup> ريثا .

وكان قيس بن عاصم المنقري إذا غزا شهد معه الحرب ثلاثون من ولده يقول لهم : إياكم والبنى ، فإنه ما بنى قوم قط إلا ذلّوا ؛ قالوا : فكان الرجل من ولده يُظلم فلا ينتصف مخافة اللّيل .

قال أبو بكر يوم حنين : لن نغلب اليوم من قلة - وكانوا اثني عشر ألفا - فهزموا يومئذ هزيمة قبيحة ، وأنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ﴾<sup>(٣)</sup> .

وكان يقال : لا ظفر مع بنى ، ولا صخرة مع نهم ، ولا ثناء مع كبر ، ولا سودد مع شح .

\*\*\*

(٢) الرّيث : الإبطاء ؛ وهو مثل .

(١) الرّكين : العزيز الممنع .

(٣) سورة التوبة : ٢٥ .

## [ قصة فيروز بن يزدجرد حين غزا ملك الهياطلة ]

ومن الكلمات المستحسنة في سوء عاقبة البغي ما ذكره ابن قتيبة في كتاب "عيون الأخبار" : أن فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك ساربخنده نحو بلاد الهياطلة ، فلما انتهى إليهم اشتد رعب ملكهم أخشنوار منه وحذره ، فناظر أصحابه ووزراءه في أمره فقال رجل منهم : أعطني مؤثقا من الله وعهدا تطمئن إليه نفسي أن تكفيني الغم بأمر<sup>(١)</sup> أهلي وولدي ، وأن تحسن إليهم ، وتخلفني فيهم ، ثم اقطع يدي ورجلي والقي في طريق فيروز حتى يمر بي هو وأصحابه ، وأنا أكفيك أمرهم<sup>(٢)</sup> ، وأورطهم مؤرطا تكون فيه هلكتهم . فقال له أخشنوار : وما الذي تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت هلكت ولم تتركنا في ذلك ! فقال : إني قد بلغت ما كنت أحب أن أبلغ من الدنيا ، وأنا موقن أن الموت لا بد منه ، وإن تأخر أيتاما قليلة ، فأحب أن أختم على بأفضل ما ينجم به الأعمال من النصيحة بسلطاني ، والنسكاية في عدوي ، فيشرف بذلك عقي ، وأصيب سعادة وحظوة فيما أُمي .

ف فعل أخشنوار به ذلك ، وحمله فلقاه في الموضع الذي أشار إليه ، فمر به فيروز في جنوده ، فسأله عن حاله ، فأخبره أن أخشنوار فعل به ما يراه وأنه شديد الأسف ، كيف لا يستطيع أن يكون أمام الجيش في غزو بلاده وتخريب مدينته ، ولكنه سيدل الملك على طريق هو أقرب من هذا الطريق الذي يريدون سلوكه وأخفى ، فلا يشعر أخشنوار حتى يهجم عليه فينتقم الله منه بكم ، وليس في هذا الطريق من المكروه إلا تفور<sup>(٣)</sup> يومين ، ثم تفضون إلى كل ما تحبون .

(١) العيون : « أن تكفيني أهلي وولدي » . (٢) العيون : « أكفيك مؤثقتهم وأمرهم » .

(٣) التفور : إنبان النور . وفي عيون الأخبار : تفور يومين : أي السير في المفازة .

فقبل فيروز قوله بعد أن أشار إليه وزراؤه بالانتقام له ، والحذر منه ، [ وبغير ذلك ]<sup>(١)</sup> . فخالفهم وسلك تلك الطريق ، فأتهموا بعد يومين إلى موضع من المفازة لأصدر لهم عنه ، ولا ماء معهم ، ولا بين أيديهم ، وتبين لهم أنهم قد خدعوا ، فتفرقوا في تلك المفازة يمينا وشمالا يلتمسون الماء ، فقتل العطش أكثرهم ، ولم يسلم مع فيروز إلا عدة يسيرة ، فأنهى إليهم أخشنوار بجيشه ، فواقمهم في تلك الحال التي هم فيها من القلة والضرة والجهد ، فاستمكثوا منهم ، بعد أن أعظموا<sup>(٢)</sup> النكابة فيهم .

وأسير فيروز ، فرغب أخشنوار أن يمن عليه وعلى من بقي من أصحابه على أن يجعل له عهد الله وميثاقه ؛ ألا يغزوهم أبدا ما بقي ، وعلى أن يحدد فيما بينه وبين ملكهم حدا لا يتجاوزه جنوده . فرضى أخشنوار بذلك ، فخلّى سبيله ، وجعل بين الملكتين حجرا<sup>(٣)</sup> لا يتجاوزه كل واحد منهما .

فكث فيروز برهته من دهره ، ثم حمّله الأنف على أن يعود لغزو الهياطلة ، ودعا أصحابه إلى ذلك ، فهو عنه ، وقالوا : إنك قد عاهدته ، ونحن نتخوف عليك عاقبة البغي والغدر ، مع ما في ذلك من العار وسوء القالة<sup>(٤)</sup> .

فقال لهم : إنما اشترطت له ألا أجوز الحجر الذي جعلناه بيننا ، وأنا أمر بالحجر فيحمل أماننا على عجل .

فقالوا : أيها الملك ، إن اليهود واللواتيق التي يتعاطاها الناس بينهم لا تحمل على ما يسره المعطى لها ، ولكن على ما يعلن به المعطى إياها ، وإنما جعلت عهد الله وميثاقه على الأمر الذي عرفه ، لا على الأمر الذي لم يخطر له ببال . فأبى فيروز ومضى في غزواته حتى انتهى إلى الهياطلة ، وتصاف الفريقان للقتال .

(١) من عيون الأخبار . (٢) عيون الأخبار : « وأعظموا النكابة » .

(٣) عيون الأخبار : « حدا لا يتجاوزه » :

(٤) القول في الخير ، والقالة في الشر ، وفي عيون الأخبار : « القالة » .

فأرسل أخشنوار إلى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيتهم ، فخرج إليه ، فقال له أخشنوار : إني قد ظننت أنه لم يدعك إلى مقامك هذا إلا الأتف مما أصابك ، ولعمري إن كنا قد احتلنا لك بما رأيت لقد كنت التمت منا أعظم منه ، وما ابتدأناك بئى ولا ظلم ، وما أردنا إلا دفعك عن أنفسنا وحرماننا ، ولقد كنت جديرا أن تكون من سوء مكافأتنا بمننا عليك وعلى من معك ، ومن نقض العهد والميثاق الذى أكدته على نفسك أعظم أنقا ، وأشد امتعاضا مما نالك منا ، فإننا أطلقناكم وأنتم أسارى ، ومننا عليكم وأنتم على الهلكة مشرفون ، وحقنا دماءكم ولنا على سفكها قدرة . وإننا لم نجبرك على ما شرطت لنا ، بل كنت أنت الراغب إلينا فيه ، والمريد لنا عليه ، ففكر في ذلك ، وميز بين هذين الأمرين فانظر أيهما أشد عارا ، وأقبح سمعا ، إن طلب رجل أمرا فلم يقدر له ولم ينجح في طلبه وسلك سبيلا فلم يظفر فيه ببغيته ، واستمكن منه عدوه على حال جهد وضبعة منه وتمن هم معه .

فمن عاينهم وأطلقهم على شرط ، شرطوه وأمر اصطلحوا عليه ، فاضطرب<sup>(١)</sup> بمكروه القضاء ، واستحيا من الغدر والنكث ، أن يقال : نقض العهد وأخفر<sup>(٢)</sup> الميثاق ، مع أنى قد ظننت أنه يزيدك الحاجة<sup>(٣)</sup> ما تنق به من كثرة جنودك ، وما ترى من حسن عدتهم ، وما أجدي أشك أنهم أو أكثرهم كارهون لما كان من شخصيك بهم ، عارفون بأنك قد حملتهم على غير الحق ، ودعوتهم إلى ما يسخط الله ، وأنهم في حربنا غير مستبصرين ، ونبأتهم على مناصحتك مدخولة .

فانظر ما قدر غناء من يقاتل على هذه الحال ، وما عسى أن يبلغ تكابته في عدوه ، إذا كان عارفا بأنه إن ظفر فمع عار ، وإن قتل فإلى النار ! وأنا أذكرك الله الذى جعلته

(١) عيون الأخبار : « فاضطرب » .

(٢) أخفر ميثاقه : نقض عهده ؛ وى عيون الأخبار : « خفر الميثاق » .

(٣) عيون الأخبار : « نجاها » .

على نفسك كفيلاً ، وأذكرك نعمتي عليك وعلى مَنْ معك ، بعد يأسكم من الحياة ، وإشفاقكم على الممات ، وأدعوك إلى ما فيه حظك ورشدك من الوفاء بالعهد ، والافتداء بآبائك وأسلافك الذين مضوا على ذلك في كل ما أحبوه وكرهوه ، فأحمدوا عواقبه وحسن عليهم أثره .

ومع ذلك فإنك لست على ثقة من الظفر بنا ، وبلوغ شهمتك<sup>(١)</sup> فينا ، وإنما تلتبس أسراً يلتبس منك مثله ؛ وتنادى عدواً لعله يمنح النصر عليك ، فأقبل هذه النصيحة فقد بالفت في الاحتجاج عليك ، وتقدمت بالإعذار إليك ، ونحن نستظهر بالله الذي اعتذرنا إليه ، ووثقنا بما جعلت لنا من عهده ، إذا استظهرت بكثرة جنودك ، وازدهتكم عدة أصحابك ، فدونك هذه النصيحة ، فبالله ما كان أحد من أصحابك يبالغ لك أكثر منها ، ولا يزيدك عليها ، ولا يحرمك منفعتها مخرجها مني ، فإنه ليس يورى بالمنافع والمصالح عند ذوى الآراء صدورها عن الأعداء ، كما لا تحسن المضار أن تكون على أيدي الأصدقاء .

واعلم أنه ليس يدعوني إلى ما تسمع من مخاطبتي إياك ضعف من نفسي ، ولا من قلة جنودي ، ولكني أحيت أن أزداد بذلك حجة واستظهاراً ، فأزداد به للنصر والمعونة من الله استيجاباً ، ولا أؤثر على العافية والسلامة شيئاً ما وجدت إليهما سبيلاً<sup>(٢)</sup> .

فقال فيروز : لست ممن يردعه عن الأمر يهيم به الوعيد ، ولا يصدده التهديد والترهيب ، ولو كنت أرى ما أطلب غذراً مني ، إذا ما كان أحد أنظر ولا أشد إبقاء مني على نفسي ، وقد يعلم الله أني لم أجعل لك العهد والميثاق إلا بما أضمرت في نفسي ، فلا يفرئك الحال التي كنت صادفتنا عليها من القلة والجهد والضعف .

(١) التهمة : الحاجة والصهوة .

(٢) في عيون الأخبار بعدها : « فأبى فيروز إلا تطلقا لحجته في الحجر الذي جعله حداً بينه وبينه » .

فقال أخشنوار : لا يفرئك ما تخدم به نفسك من حهلك الحجر أمامك ، فإن الناس لو كانوا يمطون اليهود على ما تصيف من إسرارٍ وأسرارٍ وإعلانٍ آخر ، إذا ما كان ينبغي لأحد أن يغتر بأمان ، أو يثق بعهده ، وإذا ما قبل الناس شيئاً مما كانوا يمطون من ذلك ، ولكنه وضع على العلانية ، وعلى نية من تعقد له العهد والشروط . ثم انصرف . فقال فيروز لأصحابه : لقد كان أخشنوار حسن المحاورة ، وما رأيت للفرس الذي كان تحته نظيراً في الدواب ، فإنه لم يزل قوائمه ، ولم يرفع حوافره عن مواضعها ، ولا سهل ، ولا أحدث شيئاً يقطع به المحاورة في طولٍ مانواققنا .

وقال أخشنوار لأصحابه : لقد وافقت فيروز كما رأيتم وعليه السلاح كله ، فلم يتحرك ، ولم ينزع رجله من ركابه ، ولا حتى ظهره ، ولا التفت يميناً ولا شمالاً ، ولقد توركت أنا مراراً ، وتمطيت على فرسي ، والتفت إلى من خلفي ، ومددت بصرى فيما أمامي ، وهو منتصب ساكن على حاله ، ولولا محاورته إيتاني لظننت أنه لا يبصرني . وإنما أراد بما وصفنا من ذلك أن ينشر هذان الحديثان في أهل عسكرهما فيشتغوا بالإفاضة فيهما ، عن النظر فيما تذاكرا . فلما كان في اليوم الثاني أخرج أخشنوار الصحيفة التي كتبها لم فيروز ، ونصبها على رُمح ليراها أهل عسكر فيروز فيعرفوا غدره وبغيه ، ويخرجوا من متابته على هواه ، فما هو إلا أن رأوها ، حتى انتفض عسكرهم واختلفوا ، وما تلبثوا إلا يسيراً حتى انهزموا ، وقتل منهم خلقٌ كثير ، وهلك فيروز ، فقال أخشنوار : لقد صدق الذي قال : لا مرد لما قدر ولا شيء أشد إحالة لمنافع الرأي من الهوى واللجاج ، ولا أضيع من نصيحة يمتنحها من لا يوطن نفسه على قبولها ، والصبر على مكروهاها ، ولا أسرع عقوبة وأسوأ عاقبة من البغي والقدر ، ولا أجلب لعظيم المار والفُضوح من الأنف وإفراط العجب <sup>(١)</sup> .



( ١٥ )

### الأصل

وكان عليه السلام يقول إذا لقي العدو محارباً :

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ ، وَمَدَّتِ الْأَعْنَاقُ ، وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ ، وَثَقُلَتِ  
الْأَقْدَامُ ، وَأَنْصَبَتِ الْأَبْدَانُ .

اللَّهُمَّ قَدْ صَرَخَ مَكُونُ الشَّنَانِ ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ .  
اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا ، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا ، وَتَشَتُّتَ أَهْوَانِنَا .  
رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ .

\*\*\*  
مركز تحقيقات كليات علوم اسلامی

### الشرح :

أفضت القلوب : أى دنت وقرّبت ، ومنه أفضى الرجلُ إلى امرأته أى غشيها ،  
ويحوز أن يكون « أفضت » أى بسرّها ، فحذف المفعول .

وأنصبت الأبدان : هزلت ، ومنه النضو ، وهو البعير المهزول .

وصرّح : انكشف . والشنان : البغضة .

وجاشت : تحرّكت واضطربت .

والمراجل : جمع مرّجل ، وهى القِدر .

والأضغان : الأحقاد ، واحداً ضغن .

وأخذ سديف مولى المنصور هذه اللفظة فكان يقول فى دعائه : اللهم إنا نشكو



إليك غيبة نبينا وتشتت أهوائنا، وما شملنا من زبغ الفتن، واستولى علينا من غشوة الخيرة  
حتى عاد فينا دولة بعد القسمة، وأمارتنا غلبة بعد للشورة، ووعدنا ميراثا بعد الاختيار للأمة؛  
واشتريت الملاحى والمعارف بمال اليتيم والأرملة، ورعى في مال الله من لا يرعى له حرمة،  
وحكم في أبشار المؤمنين أهل الذمة، وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة، فلا ذائد يذودهم  
عن هلكة، ولا رايح ينظر إليهم بعين رحمة، ولا ذو شفقة يشيع الكبد الحرى من  
مسغبة، فهم أولو ضرع وفاقة، وأسراء فقر ومسكنة، وخلفاء كآبة وذلة. اللهم وقد  
استحصد زرع الباطل وبلغ نهايته، واستحكم عموده، واستجمع طرئده، وحذف  
وليدته، وضرب بجرانه، فأتمح له من الحق يدا حاصدة، تجذ سنانه، وتهشم سوقه،  
وتصرع قائمه، ليستخفى الباطل بقبح جليلة، ويظهر الحق بحسن صورته.

ووجدت هذه الألفاظ في دعاء منسوب إلى علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام،

ولعله من كلامه، وقد كان سديف يدعو به.

(١٦)

الأصل :

وكان يقول عليه السلام لأصحابه عند الحرب :

لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَمَدَّهَا كَرَّةٌ ، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمَلَةٌ ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا ، وَوَطَّنُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا ، وَادْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ ، وَالضَّرْبِ الطَّلْحِيِّ ، وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشْلِ .  
وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنْ أَسْتَسْلَمُوا ، وَأَمَرُوا الْكُفْرَ ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ .

\*\*\*

الشرح :

قال : لا تستصعبوا فَرَّةً تَفِرُّونَهَا بِمَدَّهَا كَرَّةً ، تجبرون بها ما تكسر من حالكم ، وإنما الذي ينبغى لكم أن تستصعبوه فَرَّةً لا كَرَّةً بِعَدَّهَا ؛ وهذا حصص لم على أن يكرروا ويعودوا إلى الحرب إن وقعت عليهم كسرة .

ومثله قوله : « وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمَلَةٌ » ، والجولة : هزيمة قريبة ليست بالمعنة <sup>(١)</sup> .  
وادمروا أنفسكم ، من ذممه على كذا أى حصه عليه . والطعن الدعسي : الذي يُحْسَى به أجواف الأعداء ، وأصل الدعس الحشو ، دَعَسْتُ الوعاء : حشوته .  
وضرب طلحني ، بكسر الطاء وفتح اللام ، أى شديد ، واللام زائدة .

(١) المعنة : من الإبطان ؛ ولى ب : « بمنعة » تحريف .

ثم أمرهم بإماتة الأصوات ، لأن شدة الضوضاء في الحرب أمارة الخوف والوجل .  
ثم أقسم أن معاوية وعمرأ ومن والاهما من قريش ما أسلموا ولكن استسلموا خوفا  
من السيف وناقضوا ؛ فلما قدروا على إظهار مافي أنفسهم أظهروه ؛ وهذا يدل على أنه  
عليه السلام جعل محاربتهم له كفرا .

وقد تقدم في شرح حال معاوية وما يذكركه كثير من أصحابنا من فساد عقيدته  
مافي كفاية .

\*\*\*

### [ نبذ من الأقوال المتشابهة في الحرب ]

وأوصى أكرم بن صفيق قوما نهضوا إلى الحرب فقال : ابرزوا للحرب ، وادرعوا  
اللبل ، فإنه أخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف ، واعلموا أن كثرة الصياع من الفشل ،  
والمرء يمجز لا محالة .

وسمعت عائشة يوم الجمل أصحابها يكبرون ، فقالت : لا تكبروا هاهنا ، فإن  
كثرة التكبير عند القتال من الفشل .

وقال بعض السلف : قد جمع الله أدب الحرب في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ... ﴾ <sup>(١)</sup> الآيتين .

وقال عتبة بن ربيعة لقريش يوم بدر : ألا ترؤسهم - يعني أصحاب النبي صلى الله  
عليه وآله - جثيا على الركب ، يلمظون تلمظ الحيات !

وأوصى عبد الملك بن صالح أمير سرية بعثها ، فقال : أنت تاجر الله لعباده ، فكُن  
كالضارب الكيس الذي إن وجد ربحا تبحر ، وإلا احتفظ برأس المال ؛ ولا تطلب

الغنيمة حتى تحوز السلامة ، وكن من احتيالك على عدوك أشد حذراً من احتيال  
عدوك عليك .

وفي الحديث المرفوع أنه صلى الله عليه وآله قال لزيد بن حارثة : لا تُشقي جيشك ؛  
فإن الله تعالى ينصر القوم بأضعفهم .

وقال ابن عباس - وذكر علياً عليه السلام : ما رأيت رئيساً يؤزن به ، لقد رأيت يوم  
صِفِّين وكان عينيه سراجاً سليطاً<sup>(١)</sup> وهو يحبس أصحابه إلى أن انتهى إلى وأنا في كنف  
فقال : يا معشر المسلمين ، استشعروا الخشية ، وتجليبوا السكينة ، وأكملوا الأمة... الفصل  
الذكر فيما تقدم .



---

(١) السليط : زيت به يقاء .

(١٧)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه :

وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَى الشَّامِ ، فَإِنَّ لَمْ أَكُنْ لِإِعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسٍ .  
وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتْ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ ؛ أَلَا وَمَنْ  
أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ .  
وَأَمَّا أَسْتَوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرُّجَالِ ، فَلَسْتُ بِأَمْضَى عَلَى الشُّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ ،  
وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ .  
وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ ؛ فَكَذَلِكَ نَحْنُ ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةٌ كَهَاشِمٍ ،  
وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ ، وَلَا  
الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ ، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُذْغِلِ . وَلَيْسَ أَخْلَفُ  
خَلْفٍ يَنْتَبِعُ سَلَفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ .

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ ، وَنَعَمْنَا بِهَا الدَّلِيلَ . وَلَمَّا  
أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا ، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا ، كُنْتُمْ مِمَّنْ  
دَخَلَ فِي الدِّينِ ؛ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً ، عَلَى حِينٍ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وَذَهَبَ  
الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ ؛ فَلَا تَجْمَعَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيبًا ، وَلَا عَلَى  
نَفْسِكَ سَبِيلًا . وَالسَّلَامُ .

## التبني :

يقال : طلبتُ إلى فلان كذا ، والتقدير طلبتُ كذا راغباً إلى فلان ، كما قال تعالى : ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ <sup>(١)</sup> أي مُرسلاً .

ويُروى « إِلَّا حُشَاةَ نَفْسٍ » ، بالإنفراد ، وهو بقية الروح في بدن المريض .  
وروي : « أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى النَّارِ » ، وهذه الرواية أليق من الرواية المذكورة في أكثر الكتب ، لأن الحق يأكل أهل الباطل ، ومن روى تلك الرواية أضمر مضافاً تقديره « أعداء الحق » ، ومضافاً آخر تقديره « أعداء الباطل » . ويجوز أن يكون مَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ ، أي من أفضى به الحق ونصرتُه والقيامُ دونه إلى القتل ؛ فإن مصيره إلى الجنة ، فيسمى الحق لما كانت نصرتُه كالسبب إلى القتل أكلاً لذلك المقتول ، وكذلك القول في الجانب الآخر .

وكان الترتيب يقتضي أن يجعل هاشماً بإزاء عبد شمس ، لأنه أخوه في قُعد <sup>(٢)</sup> ، وكلاهما ولدُ عبد مناف لصلبه ، وأن يكون أمية بإزاء عبد المطلب ، وأن يكون حربٌ بإزاء أبي طالب ، وأن يكون أبو سفيان بإزاء أمير المؤمنين عليه السلام ، لأن كل واحد من هؤلاء في قُعد صاحبه ، إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام لما كان في صقيين بإزاء معاوية اضطرَّ إلى أن جعل هاشماً بإزاء أمية بن عبد شمس .

فإن قلت : فهلاً قال : « ولا أنا كُنت » ؟ قلت : قبيحٌ أن يقال ذلك ، كما لا يقال : السيفُ أمضى من العصا ، بل قبيحٌ به أن يقولها مع أحدٍ من المسلمين كافةً ، نعم قد يقولها لا تصرحاً ، بل تعريضاً ، لأنه يرفع نفسه على أن يقيسها بأحد .

وها هنا قد عرّض بذلك في قوله : « ولا المهاجرُ كالطليق » . فإن قلت : فهل معاوية

(١) سورة التمل ١٢ .

(٢) قُعد : أي قريب الآباء من الجدة الأكبر .

من الطلقاء؟ قلت: نعم، كل من دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله مَكَّةَ عَتُوًّا بالسيف فملكه ثم مَنَّ عايه عن إسلام أو غير إسلام فهو من الطلقاء ممن لم يُسَلِّمْ كَصَفْوَانَ ابن أمية، ومَن أسلم معاوية بن أبي سفيان، وكذلك كل من أَسْرَ في حَرْبِ رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أَمَّنَ عليه بِفِداء أو بغير فِداء فهو طَلِيقٌ، فَمَن أَمَّنَ عليه بِفِداء كَسَهيل بن عمرو، ومَن أَمَّنَ عليه بغير فِداء أبو عَزَّةَ الْجَمَحِيُّ، ومَن أَمَّنَ عليه مُعَاوِضَةُ أَى أَطْلُقَ لِأَنَّهُ يَأْزِأُ أَسِيرٍ مِنَ الْمَسْلُومِينَ مَحْرُومٍ أَى سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، كُلُّ هَؤُلَاءِ مَعْدُودُونَ مِنَ الطَّلَاقِ.

فإن قلت: فما معنى قوله: «ولا الصريح كاللصيق»، وهل كان في نسب معاوية شبهة ليقول له هذا؟

قلت: كلاً إنه لم يقصد ذلك، وإنما أراد الصريح بالإسلام واللصيق في الإسلام، فالصريح فيه هو من أسلم اعتقاداً وإخلاصاً، واللصيق فيه من أسلم تحت السيف أو رغبة في الدنيا، وقد صرح بذلك فقال: «كنتم ممن دخل في هذا الدين إما رغبة وإما رهبة».

فإن قلت: فما معنى قوله: «ولبئس الخلف خلفاً يتبع سلفاً هوى في نار جهنم»؟ وهل يُعَابُ المسلم بأن سلفه كانوا كفاراً؟

قلت: نعم، إذا تبع آثار سلفه واحتذى حذوهم، وأمير المؤمنين عليه السلام ما عاب معاوية بأن سلفه كفار فقط، بل بكونه متبعاً لهم.

قوله عليه السلام: «وفي أيدينا بعد فضل النبوة» أي إذا قرَضْنَا تَسَاوَى الأقدام في مآثر أسلافكم كان في أيدينا بعد الفضل عليكم بالنبوة التي نَعَشْنَا بِهَا الْخَاطِلَ، وَأَخْلَلْنَا بِهَا النَّبِيَّه.

قوله عليه السلام: «على حين فاز أهل السبق»، قال قوم من النحاة:



« حين » مبنًى هاهنا على الفتح. وقال قوم : بل منصوب لإضافته إلى الفعل .

قوله عليه السلام : « فلا تجعلنّ للشيطان فيك نصيبا » ، أى لا تستلزم من أفعالك ما يدوم به كونُ الشيطان ضارِباً فيك بنصيب ، لأنّه ما كتب إليه هذه الرسالة إلّا بعد أن صار للشيطان فيه أوفر نصيب ، وإلّا المراد نهيه عن دوام ذلك واستمراره .

\*\*\*

[ ذكر بعض ما كان بين عليّ ومعاوية يوم صفين ]

وَدَّ كُوَيْنُ بْنُ مُزَاحِمٍ بْنُ بَشَّارِ الْعُقَيْلِيِّ فِي كِتَابِ "صِفَيْنَ" أَنْ هَذَا الْكِتَابُ كَتَبَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُعَاوِيَةَ قَبْلَ لَيْلَةِ الْهَرِيرِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ . قَالَ نَصْرٌ : أَظْهَرَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ مُصَبِّحُ مُعَاوِيَةَ وَمُنَاجِزُهُ لَهُ ، وَشَاعَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ . فَفَزَعَ أَهْلُ الشَّامِ لِذَلِكَ ، وَانْكَسَرُوا لِقَوْلِهِ . وَكَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ الصَّخَّالِ بْنِ سُفْيَانَ صَاحِبَ رَايَةِ بَنِي سُلَيْمٍ مَعَ مُعَاوِيَةَ مُبَغِضًا لِمُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ ، وَلَهُ هَوًى مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ يَكْتُبُ بِأَخْبَارِ مُعَاوِيَةَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطَّفِيلِ الْعَاسِرِيِّ ، وَهُوَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَيُخْبِرُ بِهَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا شَاعَتْ كَلِمَةُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجِلَّ لَهَا أَهْلُ الشَّامِ ، وَبِمَثِ بْنِ الصَّخَّالِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطَّفِيلِ : إِنِّي قَاتِلُ شِعْرًا أَذْعَرُ بِهِ أَهْلَ الشَّامِ وَأَرْغِمُ بِهِ مُعَاوِيَةَ ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ لَا يَتَّهَمُهُ ، وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ وَتَجَدَّةٌ وَلِسَانٌ ، فَقَالَ ثِيلاً لِيَسْتَمَعَ أَصْحَابُهُ :

أَلَا لَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ أَطْبِقُ سَرْمَدًا	عَلَيْنَا وَأَنَا لَا نَرَى بَعْدَهُ غَدًا
وَبَالَيْتَهُ إِنْ جَاءَنَا بِصَبَاحِهِ	وَجَدْنَا إِلَى مَجْرَى الْكُؤَاكِبِ مَضْعَدًا
حِذَارَ عَلِيٍّ إِنَّهُ غَيْرُ مُخْلَفٍ	مَدَى الدَّهْرِ مَالِبٌ الْمَلْبُوثُونَ مَوْعِدًا
وَأَمَّا قَرَارِي فِي الْبِلَادِ فُلَيْسَ لِي	مُقَامٌ وَإِنْ جَاوَزْتُ جَابِلَقَ مُصْعِدًا

كأنني به في الناس كاشفُ رأسه  
 يخوض غمار الموت في مرجئة  
 فوارس بدر والنضير وخير  
 ويوم حنين جالدوا عن نبيهم  
 هنالك لا تلوي مجوز على أبنها  
 قتل لابن حرب ما الذي أنت صانع  
 فلا رأي إلا تركنا الشام جرة  
 على ظهر خوار الرحالة أجردا  
 ينادون في نفع المعجاج محمدا<sup>(١)</sup>  
 وأحد يهزون الصفيح المهندا  
 فريقا من الأحزاب حتى تبددا<sup>(٢)</sup>  
 وإن أكرت من قول: نفسي لك الفدا  
 أنبت أم ندعوك في الحرب قعدا<sup>(٣)</sup>  
 وإن أبرق الفجفاج فيها وأرعدا<sup>(٤)</sup>

فلما سمع أهل الشام شعره أتوا به معاوية ، فهم يقتله ، ثم راقب فيه قومه ، فطرده  
 من الشام ، فلحق بمصر وندم معاوية على تسيره إياه . وقال معاوية : لشعر السلمي<sup>(٥)</sup> أشد  
 على أهل الشام من لقاء علي ، ماله قاتله الله ، لو صار خلف جابلق مصعدا  
 لم يأمن عليا ! ألا تعلمون ما جابلق ؟ يقوله لأهل الشام ، قالوا : لا ، قال : مدينة في أقصى  
 المشرق ليس بعدها شيء .

\*\*\*

قال نصر : وتناقل الناس كلمة علي عليه السلام : «لأنا جزئهم مصبعا<sup>(٦)</sup>» ، فقال الأشتر :  
 قد دنا الفضل في الصباح وللسلم رجال وللحروب رجال

(١) المرجئة : الأمر العظيم .

(٢) جالدوا : دافعوا .

(٣) القعد : الجبان القاعد عن الحرب ؛ وبعدة في صفين :

وغلني بالآلا يصبر القوم موقفا يقفه وإن لم يجر في الدهر لعدى

(٤) الفجفاج : كثير الكلام المتشعب بما ليس عنده .

(٥) صفين : « لقول السلمي » .

(٦) صفين : « إني مناجز القول إن أصبحت » .

فرجال الحروب كلٌ خَدَبٌ<sup>(١)</sup> مقمّر لآهذه الأهوال<sup>(٢)</sup>  
 يضرب الفارس المدجج بالسيف إذا قرّ في الوغى الأكفال<sup>(٣)</sup>  
 يابن هند شدّ الحيازيم للمو ت ولا تذهبن بك الآمال<sup>(٤)</sup>  
 إن في الصبح إن بقيت لأمرأ تقفادي من هوله الأبطال<sup>(٥)</sup>  
 فيه عزّ العراق أو ظفر الشا مر بأهل العراق والزوال<sup>(٦)</sup>  
 فاصبروا للطعان بالأسل السّم ر وضرب تجري به الأمثال<sup>(٧)</sup>  
 إن تكونوا قتلتم النفر اليه ض وغالت أولئك الآجال<sup>(٨)</sup>  
 قلنا مثاهم غداة التلاقي وقليل من مثلهم أبدال<sup>(٩)</sup>  
 يخضبون الوشيج طعنا إذا جرت من الموت بينهم أذيال<sup>(١٠)</sup>  
 طلب القوز في المعاد وفيه تُسهبان النفوس والأموال<sup>(١١)</sup>

قال : فلما انتهى إلى معاوية شعر الأشتر قال : شعر منكر ، من شاعر منكر ،  
 رأس أهل العراق وعظيمهم ، ومسرّحهم ، وأول الفتن وأخرها ، قد رأيت أن أعاود عليا  
 وأسأله إقرارى على الشام ، فقد كنت كتبت إليه ذلك فلم يجب إليه ، ولأكتب  
 ثانية فألقى في نفسه الشك والركة . فقال له عمرو بن العاص وضحك : أين أنت يا معاوية  
 من خدعة علي ! قال : ألسنا بنى عبد مناف ! قال : بلى ، ولكن لم النبوة دونك ،  
 وإن شئت أن تكتب فاكذب ؛ فكتب معاوية إلى علي عليه السلام مع رجل من  
 السكاسك يقال له عبد الله بن عتبة ، وكان من نافلة أهل العراق :

أما بعد فإنك لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يحنها بعضنا على

(١) الخدب : الشديد الصلب ، والمقمّر : من فعم في الأمر كنصر قحوما ؛ إذا رمى بنفسه فيه  
 فجأة بلا روية .  
 (٢) الأسل : الرماح . والنم : العوالي .  
 (٣) يقال : غاله غول ؛ إذا أهلكه .  
 (٤) الوشيج : شجر الرماح .  
 (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١)

بعض ، ولئن كنا قد غلبنا على عقولنا لقد بقي لنا منها ما نندم به على ماضى ، ونصلح به ما بقى ، وقد كنت سألتك الشام على أن تزمى لك بيعة وطاعة ، فأبيت ذلك على ، فأعطاني الله ما منعت ، وأنا أدعوك اليوم إلى مادعوتك إليه أمس ، فإنى لا أرجو من البقاء إلا ما أرجو ، ولا أخاف من الموت إلا ما تخاف ، وقد والله فارت الأجناد ، وذهبت الرجال ، ونحن بنو عبد مناف ؛ ليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستدل به عزيز ، ولا يشرق به حرٌّ ، والسلام .

فلما انتهى كتاب معاوية إلى علي عليه السلام قرأه ، ثم قال : العجب لمعاوية وكتابه !<sup>(١)</sup> ودعا عبيد بن أبى رافع كاتبه ، فقال : اكتب جوابه .

أما بعد ، فقد جاءنى كتابك تذكر أنك لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم ينجها بعضنا على بعض ، فإنى لو قتلت فى ذات الله ، وحييت ؛ ثم قُتِلْتُ ثم حييت سبعين مرة لم أرجع عن الشدة فى ذات الله والجهاد لأعداء الله ، وأما قولك : إنه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ماضى ، فإنى ما نقصت عقلى ، ولا ندمت على فعلى . وأما طيليك الشام فإنى لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس ، وأما استواؤنا فى الخوف والرجاء فلست أَمْضِ على الشك متى على اليقين ، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة . وأما قولك : إنا بنو عبد مناف ليس لبعضنا فضل على بعض ! فلعمرى إنا بنو أب واحد ، ولكن ليس أمية كهاشم ، ولا حرب كعبد المطلب ، ولا المهاجر كالطليق ، ولا الحق كالباطل ، وفى أيدينا بعد فضل النبوة التى أذللنا بها العزيز وأعزنا بها الذليل . والسلام .

فلما أتى معاوية كتابُ علي عليه السلام كتبه عن عمرو بن العاص أياما ، ثم دعاه

(١-١) صفين : « ثم دعا عبيد الله بن أبى رافع كاتبه ، فقال : اكتب إلى معاوية » .



(١٨)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة :

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْيَطُ إِبْلِيسَ ، وَمَغْرَسُ الْفِتَنِ ، فَحَادِثُ أَهْلِهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَأَحْلَلُ عُمْدَةَ أَخْلَافٍ عَنْ قُلُوبِهِمْ .

وَقَدْ بَلَغَنِي تَسْرُّكَ لِبَنِي تَمِيمٍ ، وَغِلَظَتُكَ عَلَيْهِمْ ؛ وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِيبْ لَهُمْ تَحْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسَبِّقُوا يَوْغَمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ ، وَإِنَّ لَهُمْ بَنًا رَجَا مِائَةً ، وَقَرَابَةً خَاصَّةً ، تَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا ، وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا .

فَارْزُقْ أَبَا الْعَبَّاسِ رَحِمَكَ اللَّهُ فِيمَا جَرَى عَلَى يَدِكَ وَلِسَانِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحٍ ظَفَى بِكَ ، وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ ، وَالسَّلَامُ .

\*\*\*

الشرح :

قوله عليه السلام : مَهْيَطُ إِبْلِيسَ : موضع هبوطه .

ومَغْرَسُ الْفِتَنِ : موضع غرسها ، ويروي « وَمَغْرَسُ الْفِتَنِ » ، وهو للموضع الذي

ينزل فيه القوم آخر الليل للاستراحة ، يقال غَرَسُوا وَأَغْرَسُوا .

وقوله عليه السلام : « فَحَادِثُ أَهْلِهَا » ، أي تمهذهم بالإحسان ، من قولك :

حَادِثْتُ السِّيفَ بِالصُّقَالِ .

والتنمر للقوم : الغلظة عليهم ، والمعاملة لهم بأخلاق التنمر ، من الجرأة والوثوب ،  
وسند كرتصديق قوله عليه السلام : « لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر » .  
والوغم : الثرة ، والأوغام : الثرات ، أى لم يهدر لهم دم فى جاهلية ولا إسلام ،  
يصفهم بالشجاعة والحياة .

ومازورون ، كان أصله « موزورون » ، ولكنه جاء بالالف ليحاذى به ألف  
« ماجورون » وقد قال النبى صلى الله عليه وآله مثل ذلك .

قوله عليه السلام : « فاربع أبا العباس » ، أى قف وثبت فى جميع ما تعتمد فيه  
وقولا من خير وشر ، ولا تعجل به فإنى شريكك فيه إذا أنت عاملى والنائب عني .  
ويعنى بالشر هاهنا الضرر فقط ، لا الظلم والفعل القبيح .

قوله عليه السلام : « وكن عند صالح ظنى فيك » ، أى كن واقفا عنده كأنك  
تشاهده فتمنعك مشاهدته عن فعل مالا يجوز .  
قال الراى يفيل ، أى ضعف وأخطأ .

\*\*\*

### [ فصل فى بنى تميم وذكر بعض فضائلهم ]

وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتاب " التاج " أن لبنى تميم مآثر لم  
يشر كهم فيها غيرهم . أما بنو سعد بن زيد مناة فلها ثلاث خصال يعرفها العرب :  
إحداها : كثرة العدد فإنه أضعف عددها على بنى تميم حتى ملأت السهل والجبل  
عدلت مضر كثرة ، وعامة العدد منها فى كعب بن سعد بن زيد مناة ، ولذلك قال أوس  
ابن مفرأه :



كَعْبِي مِنْ خَيْرِ الْكَعَابِ كَعْبًا مِنْ خَيْرِهَا فَوَارِسًا وَعَقْبًا  
\* تَعْدِلُ جَنْبًا وَتَمِيمُ جَنْبًا \*

وقال الفرزدق أيضا فيهم هذه الأبيات :

لو كنت تعلم ما يرمل مؤنيل فكري عُمان إلى ذوات حُجُورٍ  
لعلت أن قبائلا وقبائلا من آلِ سعدٍ لم تدنْ لأَمِيرٍ  
وقال أيضا :

تبكَّى على سعدٍ وسعدٌ مقيمةٌ بيثرين قد كادت على الناس تضعف<sup>(١)</sup>  
ولذلك كانت تسمى سعد الأكرين . وفي المثل : « في كل واد بنو سعد »<sup>(٢)</sup> .  
والثانية : الإفاضة في الجاهلية ، كان ذلك في بني عطارِد ، وهم يتوارثون ذلك كابراً  
عن كابر ، حتى قام الإسلام ، وكانوا إذا اجتمع الناس أيتام الحج بمنى لم يبرح أحدٌ  
من الناس ديناً وسنة حتى يحوز القائم بذلك من آلِ كُرب بنِ صفوان ، وقال أوسُ  
ابن مفرّاء :

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال : أجزوا آل صفوانا  
وقال الفرزدق :

إذا ما التقينا بالحصب من منى صبيحة يوم النحر من حيث عرفوا<sup>(٣)</sup>  
ترى الناس ما سیرنا يسرون حولنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا  
والثالثة : أن منهم أشرف بيت في العرب الذي شرفته ملوكُ نَلم . قال المنذر بن  
المنذر بن ماء السماء ذات يوم وعنده وفودُ العرب ودعا يزدني أبيه محرق بن المنذر  
فقال : ليلبس هذين أعزُّ العرب وأكرمهم حسبا . فأحجم الناس ، فقال أحيمر بن

(١) ديوانه ٥٦٩ .

(٢) مجمع الأمثال ٢ : ٨٣ ؛ ولفظه فيه : « في كل أرض سعد بن زيد » ؛ قاله الأصبط بن قريع .

(٣) عرفوا ؛ أي وقفوا يعرفات .

خَلَفَ بْنِ بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ : أَنَا لَهَا ، قَالَ لِلْمَلِكِ :  
بِمَاذَا ؟ قَالَ : بَأَنَّ مُضَرَ أَكْرَمَ الْعَرَبِ وَأَعَزُّهَا وَأَكْثَرُهَا عَدِيدًا ، وَأَنَّ تَمِيمًا كَاهِلُهَا <sup>(١)</sup>  
وَأَكْثَرُهَا ، وَأَنَّ بَيْتَهَا وَعَدْدُهَا فِي بَنِي بَهْدَلَةَ بْنِ عَوْفٍ ، وَهُوَ جَدِّي . فَقَالَ : هَذَا  
أَنْتَ فِي أَصْلِكَ وَعَشِيرَتِكَ ، فَكَيْفَ أَنْتَ فِي عِزَّتِكَ وَأَدَانِيكَ !

قَالَ : أَنَا أَبُو عَشْرَةٍ ، وَأَخُو عَشْرَةٍ ، وَعَمَّ عَشْرَةٍ . فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ  
الزُّبَيْرِيُّ قَانُ بْنُ بَدْرِ فِي قَوْلِهِ :

وَبُرْدَا ابْنِ مَاءِ الْمَرْزُوقِ عَمِّي أَكْثَسَاهَا      بِفَضْلِ مَعَدٍّ حَيْثُ عُدَّتْ حَاصِلُهُ

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَلَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ خَصْلَةٌ ، قَدِمَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ الْمُنَقَرِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « هَذَا  
سَيِّدُ أَهْلِ الْوَبَرِ » ، فَجَعَلَهُ سَيِّدَ خَنْدِيفٍ وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ مِمَّنْ يَسْكُنُ الْوَبَرَ .

قَالَ : وَأَمَّا بَنُو حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ فَلَهُمْ خِصَالٌ كَثِيرَةٌ . قَالَ : فِي  
بَنِي دَارِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، وَهُوَ بَيْتُ مُضَرَ ، فَهُوَ ذَلِكَ زُرَّارَةُ بْنُ عُدَّاسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ  
دَارِمٍ يُقَالُ : إِنَّهُ أَشْرَفُ الْبُيُوتِ فِي بَنِي تَمِيمٍ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْسُ حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ الْمَرْهُونَةُ  
عِنْدَ كِسْرَى عَنْ مُضَرَ كُلِّهَا ، وَفِي ذَلِكَ قِيلَ :

وَأَقْسَمُ كِسْرَى لَا يَصَالِحُ وَاحِدًا      مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَرَهُنَ الْقَوْسَ حَاجِبُ

وَمِنْ ذَلِكَ فِي بَنِي مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمٍ صَعَصَعَةُ بْنُ نَاجِيَةَ بْنِ عَقَالِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَفْيَانَ  
ابْنِ مُجَاشِعٍ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا الْوَثِيدَ ، قَامَ الْإِسْلَامُ وَقَدْ اشْتَرَى ثَلَاثُمِائَةَ مَوْدُودَةٍ فَأَعْتَقَهُنَّ  
وَرَبَّاهُنَّ ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَتَدَبَّرُ الْبَنَاتِ خَوْفَ الْإِمْلَاقِ .

وَمِنْ ذَلِكَ غَالِبُ بْنُ مَعَصَصَةَ ، وَهُوَ أَبُو الْفَرَزْدَقِ ، وَغَالِبٌ هُوَ الَّذِي قَرَأَ مِائَةَ  
ضَيْفٍ ، وَاحْتَمَلَ عَشْرَ دِيَّاتٍ لِقَوْمٍ لَا يَعْرِفُهُمْ ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ ذَلِكَ أَنَّ بَنِي كَلْبٍ

(١) كَاهِلُهَا ، أَيُّ أَعْلَامِهَا .

ابن وبرة افتخرتَ بينها في أنديتها ، فقالت : نحن لبسبُ العربِ وقلبُها ، ونحن الذين  
لانتازعَ حسباً وكرماً ، فقال شيخٌ منهم : إن العربَ غيرُ مقرّةٍ لكم بذلك ، إن لها  
أحساباً ، وإن منها لباباً ، وإن لها فعلاً ، ولكن ابشوا مائةً منكم في أحسن هيئة وبرة  
ينفرونَ من مرؤوبه في العرب ويسألونه عَشْرَ دِيّاتٍ ، ولا يَنْتَسِبُونَ له ، فمن قرأهم وبذل  
لهم الدِّيّاتِ فهو الكريم الذي لا يَنْزاعُ فضلاً ؛ فخرجوا حتّى قدّموا على أرض بني تميم  
وأسد ، فنفروا الأحياء حيّاً خيلاً ، وماءً فناءً ، لا يجدون أحداً على ما يريدون ؛ حتّى مرّوا على  
أَكْثَمَ بن صَيْفٍ ، فسألوه ذلك ، فقال : مَنْ هؤلاء القتلَى ؟ وَمَنْ أَنْتُمْ ؟ وما قِصَّتُكُمْ ؟ فإن  
لكم لساناً باختلافكم في كلامكم ! فعدّلوا عنه ، ثم مرّوا بقتيبة بن الحارث بن شهاب  
اليربوعي فسألوه عن ذلك ، فقال : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قالوا : من كلب بن وبرة . فقال : إني لأبغى  
كلباً بدمٍ ، فإن انسَلَخَ الأشهر الحرم وأنتم بهذه الأرض وأدرَكم الخيلُ نكَلْتُ بكم  
وأثكَلْتُكم أمتيَكم . فخرجوا من عنده مرعوبين ، فرّوا بمطارِدِ بن حاجب بن ذرارة ،  
فسألوه ذلك ، فقال : قولوا بيّاناً وخذوها ، فقالوا : أما هذا فقد سألكم قبل أن يُعطِيكم  
فتركوه ، ومرّوا ببني مجاشع بن دارم فاتوا على وادٍ قد امتلأ إبلاً فيها غالب بن صمصمة يهتأ<sup>(١)</sup>  
منها إبلاً ، فسألوه القرى والدِّيّات ، فقال : هاكم البُزْل قبل النزول فابتزوها من البرك وحوزوا  
حياتكم ، ثم اتزلوا ، فتنزلوا وأخبروه بالحال ، وقالوا : أرشدك الله من سيّد قوم ! لقد أرحمتنا  
من طول النَّصَب ، ولو عدّنا لقصدنا إليك ، فذلك قول الفرزدق :

قله عينا من رأى مثلَ غالبٍ      قرى مائةً ضيفاً ولم يتكلم<sup>(٢)</sup>  
وإذ نبعت كلبٌ على الناس منهم      أحقُّ بتاج الماجدِ التكرم

(١) هنا الإبل يهتأها : طلائها بالهاء ، وهو النطران .

(٢) ديوانه ٧٥٩ ، وروايته : « ألا هل علمت ميتاً قبل غالب » .

فلم يجعل عن أصحابها غير غالب جركي يعني كل أبلج خضرم<sup>(١)</sup>  
 قال : فأما بنو يربوع بن حنظلة ، فمنهم . ثم من بني رياح بن يربوع عتاب بن هرمي  
 ابن رياح ، كانت له رداقة الملوك ، ملوك آل النذير ، وردافة الملك أن يُثنى به في الشرب ،  
 وإذا غاب الملك خلقه في مجلسه ، وورث ذلك بنوه كابرأ عن كابر ، حتى قام الإسلام ،  
 قال لبيد بن ربيعة :

وشهدت أنجبة الأكارم غالباً كغني وأرداف الملوك شهود<sup>(٢)</sup>  
 ويربوع أول من قتل قتيلاً من المشركين ، وهو واقد بن عبد الله بن ثعلبة بن  
 يربوع ، حليف عمر بن الخطاب ، قتل عمرو بن الحضرمي في سرية نخلة ، فقال عمر  
 ابن الخطاب يفتخر بذلك :

سقيناً من ابن الحضرمي رماحناً بنخلة لما أوقد الحرب واقد  
 وظل ابن عبد الله عثمان بيننا ينارعه غل من القد عاند<sup>(٣)</sup>  
 ولها جواد العرب كلها في الإسلام ؛ بدأ العرب كلها جوداً ، خالد بن عتاب بن ورقاء  
 الرياحي . دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ، وكان يشنؤه لكثرة باؤه<sup>(٤)</sup> وفخره ،  
 فتجهمه وتسكر له ، وأغلظ في خطابه حتى قال : من أنت لأأم لك ! قال : أوما تعرفني  
 يا أمير المؤمنين ؟ أنا من حميهم من أوفى العرب ، وأحلم العرب ، وأسود العرب ، وأجود العرب  
 وأشجع العرب ، وأشعر العرب . فقال سليمان : والله لتحتجن لما ذكرت أو لأوجعن ظهرك ،  
 ولأبعدن دارك . قال : أما أوفى العرب فحاجب بن زرارة ؛ رهن قوسه عن العرب  
 كلها وأوفى . وأما أحلم العرب فالأحنف بن قيس يضرب به المثل حليماً ، وأما أسود  
 العرب فقيس بن عاصم ، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : « هذا سيد أهل الوبر » ؛

(١) الأبلج : الواضح . والخضرم : الجواد المعطاء .

(٢) الل بالضم : ملوك من حديد يجعل في العنق ، والجمع أغلال .

(٣) لم أجده في ديوانه .

(٤) البأ : الفخر .

وأما أشجعُ العرب فالحريش بن هلال السعدي ؛ وأما أجودُ العرب فالحالد بن عتاب  
ابن ورقاء الرياحي ، وأما أشعرُ العرب فهانذا عندك ! قال سليمان : فما جاء بك ؟ لا شيء  
لك عندنا ، فارجع على عقبك ؛ وغمه ما سمع من عزة ، ولم يستطع له ردًا ، فقال  
الفرزدق في أبيات :

أَتَيْنَاكَ لَا مِنْ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَنَا إِلَيْكَ وَلَا مِنْ قَلَةٍ فِي مَجَاشِعِ<sup>(١)</sup>

قلت : ولو ذكر عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي وقال : إنه أشجعُ العرب  
لكان غير مدافع . قالوا : كانت العرب تقول : لو وَقَعَ القمرُ إلى الأرض لما التفتقه إلا  
عتيبة بن الحارث لثقافته بالرمح . وكان يقال له : صياد الفوارس وسم الفوارس ، وهو  
الذي أسر بسطام بن قيس ، وهو فارس ربيعة وشجاعها ، ومكث عنده في القيد مدة  
حتى استوفى فداؤه وجرّ ناصيته ؛ وخطى سبيله على ألا يغزو بني يربوع . وعتيبة هذا  
هو المقدم على فرسان العرب كلها في كتاب طبقات الشجعان ومقاتل الفرسان ،  
ولكن الفرزدق لم يذكره وإن كان تميميًا ، لأن جريرا يفتخر به ، لأنه من بني  
يربوع ، فعملته عداوة جرير على أن عدل عن ذكره .

\*\*\*

قال أبو عبيدة : ولبنى عمرو بن تميم خصال تعرفها لهم العرب ولا ينازعهم فيها<sup>(٢)</sup>  
أحد ؛ فمنها أكرمُ الناس عمًا وعمّة ، وجدًا وجدّة ، وهو هند بن أبي هالة ، واسم  
أبي هالة نباش بن زُرارة أحد بني عمرو بن تميم ، كانت خديجة بنت خويلد قبل

(١) ديوانه ٤٩١ .

(٢) ١ : « عليها » .

النبي صلى الله عليه وآله تحت أبي هالة ، فولدت له هنداً ، ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وهندُ بنُ أبي هالة غلامٌ صغير ، ففتنناه النبي صلى الله عليه وآله ، ثم ولدتُ خديجةً من رسول الله صلى الله عليه وآله القاسم والطاهر وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، فكان هندُ بنُ أبي هالة أخاهم لأُمهم ، ثم أولد هندُ بنُ أبي هالة هندُ بنُ هند ، فهندُ الثاني أكرمُ الناس جداً وجدّة ، يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة ، وأكرمُ الناس عمّاً وعمّة - يعني بَنِي النبي صلى الله عليه وآله وبَنَاتِهِ .

ومنها أن لهم أحكم العرب في زمانه أكرمُ بنُ صَيْقٍ ؛ أحدُ بني أسد بن عمرو بن تميم ، كان أكثر أهل الجاهلية حكماً ومثلاً وموعظة سائرة .

ومنها ذو الأعواز ، كان له خراجٌ على مَضْرَكَاةٍ تؤدّيه إليه ، فشَاخَ حتى كان يُحْمَلُ على سريرٍ يُطَافُ به على مياه العرب ، فيؤدّي إليه الخراج ، وقال الأسودُ بنُ يَعْفَرُ النَّهْشَلِيُّ وكان ضريباً :

ولقد علمتُ خلافَ ما تُنَاشِي أن السبيلَ سبيلُ ذِي الأعوازِ

ومنها هلال بنُ أَحْوَزَ المَازَنِيُّ الذي سادَ تَمِيمًا كُلَّهُما في الإسلام ، ولم يَسُدّها غيره .

قال : ودخل خالد بن عبد الرحمن بن الوليد بن المغيرة الحزومي مسجد الكوفة ، فأتته إلى حَلَقَةٍ فيها أبو الصَّقْعَبِ التيمي ، من تميم الرِّبَابِ ، والحزومي لا يعرفه ، وكان أبو الصَّقْعَبِ من أعلم الناس ، فلما سمع علمه وحديثه حسده ، فقال له : تَمَنُّ الرجل ؟ قال : من تميم الرِّبَابِ ؛ فظَنَّ الحزومي أنه وجدَ فرصةً ، فقال : والله ما أنت من سعد الأكرمين ولا من حنظلة الأكرمين ، ولا من عمرو الأشدّين ! فقال أبو الصَّقْعَبِ : فَمَنَ أنت ؟ قال من بني مخزوم . قال : والله ما أنت من هاشمِ المنتخبين ، ولا من أمية المستخلفين ،

ولا من عبد الدار المستعجبين ، فبِمَ تفخر ؟ قال : نحن رِيحانة قريش ، قال أبو الصقعب :  
كَبِجْنا لما جِثَّ به ! وهل تدري لم سميتُ مخزوم رِيحانة قريش ؟ سميتُ لخطوة نساها  
عند الرجال ، فأفحَمَه .

روى أبو العباس المبرِّد في كتاب " السكامل " أن معاوية قال للأحنف بن قيس  
وجارية <sup>(١)</sup> بن قدامة ورجال من بني سعد معها كلاماً أحفظهم ، فردُّوا عليه جواباً مقدِّعاً ،  
واسرائُله فاختة بنت قرظلة في بيتٍ يقربُ منهم ، وهي أم عبد الله بن معاوية ، فسمعتُ  
ذلك ، فلما خرجوا قالت : يا أمير المؤمنين ، لقد سمعتُ من هؤلاء الأجلاف كلاماً تلقَّوك  
به فلم تُنكِر ، فكذبتُ أن أخرج إليهم فأسطَوْ بهم ! فقال معاوية : إن مضرَ كاهِلُ  
العرب ، وتَمِما كاهِلُ مَضر ، وسعدا كاهِلُ تميم ، وهؤلاء كاهِلُ سعد <sup>(٢)</sup> .

وروى أبو العباس أيضاً أن عبد الملك ذكر يوماً بني دارم فقال أحدُ جلسائه :  
يا أمير المؤمنين ، هؤلاء قومٌ يحفظون - يعني في كثرة النسل ونماء الذرية - فلذلك انتشر  
صيتُهم . فقال عبد الملك : ماتقول ! هذا وقد مضى منهم لقيطُ بن زُرارة ولم يُخَلَّف عَقِبا ،  
ومضى قَمَقاع بن مَعبد بن زُرارة ولم يُخَلَّف عَقِبا ، ومضى محمد بن عُجير بن عطارِد بن  
حاجب بن زُرارة ولم يُخَلَّف عَقِبا ! والله لا تنسى العربُ هذه الثلاثة أبداً <sup>(٣)</sup> .

قال أبو العباس : إن الأصمعيَّ قال : إن حَرْباً كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة ،  
فتنقَّمتُ الأمرُ فيها ، ثم مشى بين الناس بالصلح ، فأجتمَعوا في المسجد الجامع . قال : فبعثتُ  
وأنا غلام إلى ضِرار بن القَعْقاع من بني دارم ، فاستأذنتُ عليه ، فأذن لي ، فدخلتُ ،  
فإذا به في شَمْلَةٍ يَخْلطُ بزراً لَمَسَنَ له حَلُوبٌ ، فخبَّرتُه بمَجْتَمَعِ القوم ، فأَمَهَّلَ حتى أَكَلتِ  
الْمَزْ ، ثم غَسَلَ الصَّحْفَةَ وصاح : يا جارية ، غَدَّينا ، فأنثتُ بزيتٍ وتمرٍ ، فدعاني ، فقَدَّرتُه

(١) ب : « حارثة » ، والصواب ما في « السكامل » .

(٢) السكامل ١ : ٣٠٨ .

(٣) السكامل ١ : ٦٥ .



أن آكل معه حتى إذا قضى من أكله وحاجته وطرا وثب إلى طين ملقى في الدار، فغسل به يده، ثم صاح : يا جارية ، اسقيني ماء ؛ فأتته بماء، فشر به ومسح فضله على وجهه، ثم قال : الحمد لله ، ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام ، متى نودى شكر هذه النعم ! ثم قال : علي بردائي ، فأتته برداء عدني<sup>(١)</sup> فارتدى به على تلك الشملة . قال الأصمعي : فتجافيت عنه استقباحا لزيه ، فلما دخل المسجد صلى ركعتين ، ثم مشى إلى القوم ، فلم تبق حيوته إلا حلت إعظاما له ، ثم جلس فتحمل جميع ما كان بين الأحياء في ماله ثم انصرف<sup>(٢)</sup> . قال أبو العباس : وحدثني أبو عثمان اللزني ، عن أبي عبيدة ، قال : لما أتني زياد بن عمرو المرزبدي عقب قتل مسعود بن عمرو العتكي ، وجاء زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي ليثأر به من بني تميم صف أصحابه ، فجعل في الميمنة بكر بن وائل ، وفي اليسرة عبد القيس ، وهم لكيز بن أفضى بن دحيم بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، وكان زياد بن عمرو العتكي في القلب ، فبلغ ذلك الأحنف بن قيس ، فقال : هذا غلام حدث ، شأنه الشهرة ، وليس يبالي أين قذف بنفسه ! فندب أصحابه ، فجاءه حارثة بن بدر الغداني ، وقد اجتمعت بنو تميم ، فلما أتني<sup>(٣)</sup> قال : قوموا إلى سيديكم ، ثم أجلسه فناظره ، فجعلوا سعدا والرباب في القلب ورئيسهم عبس بن طلق الطعان المعروف بأخي كهمس ، وهو أحد بني صريم بن يربوع ، فكانوا بجذاء زياد بن عمرو ومن معه من الأزد ، وجعل حارثة بن بدر الغداني في بني حنظلة بجذاء بكر بن وائل ، وجعل عمرو بن تميم بجذاء عبد القيس ، فذلك حيث يقول حارثة بن بدر للأحنف :

سيكفيك عبس أخو كهمس      مقارعة الأزد في المرزبد<sup>(٤)</sup>  
ويكفيك عمرو على رسلها      لكيز بن أفضى وما عندوا

(١) عدني : منسوب إلى عدن أبين ، وهي جزيرة باليمن ، تنسب إليها الثياب البدينة .

(٢) الكامل : ١ : ١٣٩ .

(٣) الكامل : ١ : ١٣٩ .

(٤) في هذا البيت إقواء .

وَنَكْفِيكَ بَكَرًا إِذَا أَقْبَلْتُ بِضَرْبِ يَشِيبُ لَهُ الْأَمْرَدُ

وَلَكَيْزُ بْنُ أَفْصَى نَعِمَ عَبْدَ الْقَيْسِ . قَالَ : فَلَمَّا تَوَاقَفُوا بَعَثَ إِلَيْهِمُ الْأَحْنَفُ : يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ مِنَ الْيَمَنِ وَرَبِيعَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، أَنْتُمْ وَاللَّهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ تَمِيمِ الْكُوفَةِ ، وَأَنْتُمْ جِيرَانُنَا فِي الدَّارِ ، وَبِدُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، وَأَنْتُمْ بَدَأْتُمْوْنَا بِالْأَمْسِ ، وَوَطَّئْتُمْ حَرِيمَنَا ، وَحَرَقْتُمْ عَلَيْنَا ، فَدَفَعْنَا عَنْ أَنْفُسِنَا ، وَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي الشَّرِّ مَا طَلَبْنَا فِي الْخَيْرِ مَسْلَكًا ، فَتَيَمَّمُوا بِنَا طَرِيقَةً مُسْتَقِيمَةً<sup>(١)</sup> . فَوَجَّهَ إِلَيْهِ زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو ، تَحْيِيزَ خَلَّةٍ مِنْ ثَلَاثَ : إِنْ شِئْتَ فَانْزِلْ أَنْتَ وَقَوْمُكَ عَلَى حَكْمِنَا ، وَإِنْ شِئْتَ نَخْلُ لَنَا عَنِ الْبَصْرَةِ ، وَارْحَلْ أَنْتَ وَقَوْمُكَ إِلَى حَيْثُ شِئْتُمْ ، وَإِلَّا فَدُّوْا قَاتِلَانَا ، وَاهْدُرُوا دِمَاءَكُمْ ، وَلِيُوَدَّ مَسْعُودٌ دِيَةَ الْمَشْعُورَةِ .

— قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ : « دِيَةُ الْمَشْعُورَةِ » ، يَرِيدُ أَمْرَ الْمُلُوكِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا قُتِلَ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ وَدِيَّ عَشْرَ دِيَّاتٍ — فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ : سَنُخْتَارُ . فَانْصَرَفُوا فِي يَوْمِكُمْ ، فَهَزَّ الْقَوْمُ رَأْيَهُمْ وَانْصَرَفُوا ، فَلَمَّا كَانَ الْفَدُ بَعَثَ الْأَحْنَفُ إِلَيْهِمْ : إِنَّكُمْ خَيْرْتُمْوْنَا خِلَالًا لَيْسَ لَنَا فِيهَا خِيَارٌ ، أَمَّا النُّزُولُ عَلَى حَكْمِكُمْ فَكَيْفَ يَكُونُ وَالْكَلْمُ<sup>(٢)</sup> يَقْطُرُ ، وَأَمَّا تَرْكُ دِيَارِنَا فَهُوَ أَخُو الْقَتْلِ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَىٰ آلِهِمُ أَنْ يَاقُتِلُوا أَنْفُسَهُمْ أَوْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وَلَكِنَّ الثَّلَاثَةَ إِنَّمَا هِيَ تَحُلُّ عَلَى الْمَالِ ، فَنَحْنُ نُبْطِلُ دِمَاءَنَا ، وَنَدِي قَتْلَكُمْ ، وَإِنَّمَا مَسْعُودٌ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ . فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى أَنْ يَقِفُوا أَمْرَ مَسْعُودَ ، وَيُعِيدُوا السَّيْفَ ، وَتُودَى سَائِرُ الْقَتْلَى مِنَ الْأَزْدِ وَرَبِيعَةَ ، فَضَمِنَ ذَلِكَ الْأَحْنَفُ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِمْ إِيَّاسَ بْنَ قَتَادَةَ الْمَجَاشِعِيَّ رَهِينَةً حَتَّى يُوَدَّى هَذَا الْمَالُ ، فَفَرْضَى بِهِ الْقَوْمُ ، فَقَفَرَ بِذَلِكَ الْفَرَزْدَقُ ، فَقَالَ لَجْرِيرَ :

(٢) الْكَلْمُ : الْجَرْحُ .

(١) الْكَامِلُ : « مُسْتَقِيمَةً » .

(٣) سُورَةُ النِّسَاءِ ٦٦ .

ومنا الذى أعطى يديه رهينة لغارمى معديوم ضرب الجاجم<sup>(١)</sup>  
 عشية سال المربدان كلاهما عجاجة موت السيوف الصوارم  
 هنالك لو تبني كلياً وجدتها أذل من القردان تحت المنايم  
 ويقال : إن تميا في ذلك الوقت مع باديتها وحلفائها من الأسورة والزط والسباحة  
 وغيرهم كانوا زهاء سبعين ألفاً ، وفي ذلك يقول جرير :

سائل ذوى يمن ورهط محرق والأزد إذ ندبوا لنا مسعودا<sup>(٢)</sup>  
 فاتاهم سبعون ألف مدجج متسرلين بلامقاً وحديدا<sup>(٣)</sup>

قال الأحنف بن قيس : فكثرت على الديات فلم أجدها في حاضرة تميم ، فخرجت  
 نحو يبرين إلى بادية تميم ، فسألت عن المقصود هناك ، فأرشدت إلى قبة ، فإذا شيخ  
 جالس بفنائها مؤتر بشملة ، محتب بحبل ، فسألت عليه ، وانقبت له ، فقال لى :  
 ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قلت : توفى . قال : فما فعل عمر بن الخطاب الذى  
 كان يحفظ العرب ويحوطها ؟ قلت : توفى . قال : فأى خير فى حاضرتم بعدها ؟ قال :  
 فذكرت له الديات التى لزمنا للأزد وربيعة ، قال : فقال لى : أقم ، فإذا راع قد أراح  
 عليه ألف بعير ، فقال : خذها ، ثم أراح علينا آخر مثلها ، فقال : خذها ، فقلت : لا أحتاج  
 إليها . قال : فانصرفت بالآلف عنه ، والله ما أدرى من هو إلى الساعة<sup>(٤)</sup> !

(١) ديوانه ٨٦١ . والناران ، منى غار ، وهو الجيش . (٢) ديوانه ١٧٢ ؛ وهو مسعود بن عمرو العنكي .  
 (٣) اليلامق : جم يلقى ؛ وهو القباء ، فارسي معرب . وفي الكامل : « يلامق » ، واليلامق : هو الدرع .  
 (٤) الكامل ١ : ١٤٠ - ١٤٣ .

(١٩)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلَ بَلَدِكَ شَكَرُوا مِنْكَ غِلْظَةَ وَقَسْوَةَ ، وَأَحْثَقَاراً  
وَجَنُونَةً ، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَمْ أَهْلاً لَأَنْ يُدَنِّوْا لِشِرْكِهِمْ ، وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا  
لِعَهْدِهِمْ ، فَالْبَسَ لَهُمْ جَلِيَاباً مِنَ اللَّيْنِ تَشْوِيهِ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ ، وَدَاوِلَ لَهُمْ بَيْنَ  
الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ ، وَأَمْزَجَ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ ، وَالْإِبَادِ وَالْإِقْصَاءِ .  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .



الشرح :

الدَّهَاقِين : الزعماء أربابُ الأملاك بالسواد ، واحدهم دِهَقَان بكسر الدال ،  
ونقطة معرّب .

ودَاوِلَ بينهم ، أى مرّة هكذا ومرّة هكذا ، أمره أن يسلك معهم مَنَاجَا  
متوسّطاً ، لا يُدَنِّيهِمْ كُلَّ الدَّنْوِ لأنهم مُشْرِكون ، ولا يَقْصِيهِمْ كُلَّ الْإِقْصَاءِ لأنهم  
مُعَاهِدُونَ ، فوجب أن يعاملهم معاملة آخِذَةً مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَسَمَيْنِ بِنَصِيبٍ .

( ٢٠ )

### الأصل

ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة - وعبد الله عامل أمير المؤمنين عليه السلام يومئذ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان وغيرها :

وإني أقسم بالله قسماً صادقاً ، لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً ، لأشدنّ عليك شدة تدعك قليل الوفر ، ثقيل الظهر ؛ ضئيل الأمر . والسلام .



### الشرح :

سيأتي ذكر نسب زياد وكيفية استلحاق معاوية له فيما بعد إن شاء الله تعالى . قوله عليه السلام : « لأشدنّ عليك شدة » ، مثل قوله : « لأجلنّ عليك حلة » ، والمراد تهديده بالأخذ واستصفاء المال .

ثم وصف تلك الشدة فقال : « إنها تتركك قليل الوفر » ، أي أفقرك بأخذ ما احتجت من بيت مال المسلمين .

وثقيل الظهر ، أي مسكين لا تقدر على مثونة عيالك .

وضئيل الأمر ، أي حقير ، لأنك إنما كنت نبياً بين الناس بالغي والثروة ، فإذا افتقرت صغرت عندهم ، واقتصمتك أعينهم .

( ٢١ )

## الأصل

ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد أيضا :

فَدَعْ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِدًا ، وَأَذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَدًا ، وَأُمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ  
ضُرُورَتِكَ ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ ، أَتَرْجُو أَنَّ يُطِيعَكَ اللَّهُ أَجْرَ  
الْمُتَوَاضِعِينَ ، وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ ! وَتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ أَنْ تَمْنَعَهُ  
الضَّعِيفَ وَالْأَزْمَلَةَ ، وَأَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ ؛ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ يَجْزِي بِمَا  
أَسْلَفَ ، وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ . وَالسَّلَامُ .



مكتبة جامعة القاهرة

## الشرح :

المتمرِّغ في النعيم : المتقلب فيه . ونهاه عن الإسراف وهو التبذير في الإنفاق ،  
وأمره أن يمسك من المال ما تدعو إليه الضرورة ، وأن يقدم فضول أمواله وما ليس له  
إليه حاجة ضرورية في الصدقة فيدخره ليوم حاجته ، وهو يوم البعث والنشور .  
قلت : قبح الله زيادا ! فإنه كافأ إنعام على عليه السلام وإحسانه إليه واصطناعه له  
بملاحة إلى شرحه من أعماله القبيحة بشيئته ومحبيه والإسراف في لعنه ، وتهجين  
أفعاله ، والمبالغة في ذلك بما قد كان معاوية يرضى باليسير منه ، ولم يكن يفعل ذلك لطلب  
رضا معاوية ، كلاً ، بل يفعله بطبعه ، ويعاديه بباطنه وظاهره ، وأبى الله إلا أن يرجع إلى  
أمه ، ويصحح نسبه ، وكلُّ إناء ينضح بما فيه . ثم جاء ابنه بعد نختم تلك الأعمال السيئة  
بما ختم ، وإلى الله ترجع الأمور !

(٢٢)

### الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس رحمه الله تعالى ، وكان ابن عباس يقول : ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كأنتفاعي بهذا الكلام :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ إِسْرَهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ ، وَبَسُوهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُذْرِكَهُ ، فَلَيْسَ كُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ ، وَلَيْسَ كُنْ أَسْفَكَ عَلَى مَا قَاتَلْتَ مِنْهَا ، وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُسَكِّنْ بِهِ فَرْحًا ، وَمَا قَاتَلْتَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا ، وَلَيْسَ كُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ .

\*\*\*

### الشرح :

يقول : إن كل شيء يصيب الإنسان في الدنيا من نفع وضرر فيقضاء من الله وقدره تعالى ؛ لكن الناس لا ينظرون حق النظر في ذلك ، فيسر الواحد منهم بما يصيبه من النفع ، ويساء بموت ما يموت منه ، غير عالم بأن ذلك النفع الذي أصابه ، كان لا بد أن يصيبه ، وأن ما قاته منه كان لا بد أن يفوته ، ولو عرف ذلك حق المعرفة لم يفرح ولم يحزن .

ولقائل أن يقول : هب أن الأمور كلها بقضاء وقدر ، فلم لا ينبغي للإنسان أن يفرح بالنفع وإن وقع بالقدر ، ويساء بموته أو بالضرر وإن وقع بقدر ! أليس العريان يساء



بقُدوم الشتاء وإن كان لا بدّ من قُدومه ، والمحموم غيباً<sup>(١)</sup> يساء بتجدد توبة الحمى ، وإن كان لا بدّ من تجددّها ! فليس سبب الاختيار في الأفعال ممّا يوجب أن لا يسرّ الإنسان ولا يساء بشيء منها .

والجواب ينبغي أن يُحمّل هذا الكلامُ على أن الإنسان ينبغي أن لا يستغنى الرزق أنه أتاه بسعيه وحركته فيفرّح مُعجباً بنفسه ، معتقداً أن ذلك الرزق ثمرةُ حركته واجتهاده ، وكذلك ينبغي ألا يساء بفوات ما يفوته من المنافع لأنما نفسه في ذلك ناسباً لها إلى التقصير وفساد الخيلة والاجتهاد ، لأنّ الرزق هو من الله تعالى لا أثر للحركة فيه ، وإن وقع عندها ؛ وعلى هذا التأويل ينبغي أن يُحمّل قوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ \* لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٣﴾ .

من النظم الجيد الروحاني في صفة الدنيا والتحذير منها ، والوصاة بترك الاغترار بها ، والعمل لما بعدها ، ما أورده أبو حيان في كتاب " الإشارات الإلهية " ، ولم يسمّ قائله :

دارُ الفجائع والمهموم ودا	ر البث والأحزان والبلوى
مرُّ المذاقة غب ما احتلبت	منها يذاك وبِيسة الرعى
بينما الفتى منها بمنزلة	إذ صار تحت ترابها بلقى
تقفو مساوئها محاسنها	لا شيء بين النقي والبشرى
ولقلّ يومٌ ذرّ شارقه	إلا سمعت بهالك يُذمى
لا تعين على الزمان لما	يأتي به فلقلمنا برضى

للسر رزق لا يفوت ولو      جهد الخلائق دون أن يفنى  
 يا عامر الدنيا المعد لها      ماذا تحلت لدارك الأخرى !  
 ومهد الفرش الوطيئة لا      تغفل فراش الرقعة الكبرى  
 لو قد دُعيت لقد أجبت لما      تدعى له فانظر متى تدعى !  
 أتراك تمحى كم رأيت من الـ      أحباء ثم رأيتهم موتى  
 من أصبحت دنياه همة      فتى ينال الغاية القصوى !  
 سبحان من لا شيء يعدله      كم من بصير قلبه أعمى !  
 والموت لا يخفى على أحد      ممن أرى وكأنه يخفى  
 والليل يذهب والنهار بأحبائي ، وليس عليهما عدوى



مكتبة جامعة القاهرة

(٢٣)

## الأصل

ومن كلام له عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصية لما ضرب به ابن ملجم لعنه الله :

وَصِيَّتِي لَكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَتُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَا تُضَيِّعُوا سَنَّتَهُ ، أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعُمُودَيْنِ ، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ ، وَخَلَاكُمْ ذَمًّا !  
أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ ، وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ ، إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي ، وَإِنْ أَفْنٍ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي ، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ ، فَاعْفُوا : ﴿ أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وَاللَّهُ مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدُ كَرِهَتِهِ ، وَلَا طَالِعُ أَنْكَرَتِهِ ، وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ ، وَطَالِبٍ وَجَدَ ؛ ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : أَقُولُ وَقَدْ مَضَى بَعْضُ هَذَا الْكَلَامِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْخُطْبِ ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ هَاهُنَا زِيَادَةٌ أُوجِبَتْ تَكَرُّرُهُ .

\*\*\*

## البيان :

فإن قلت : لقائل أن يقول : إذا أوصاهم بالتوحيد واتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله

فلم يبقَ شيءٌ بعد ذلك يقول فيه : أقيموا هذين العتودين وخلاكم ذم ؛ لأن سنة النبي صلى الله عليه وآله فعل كل واجب . وتجنب كل قبيح ؛ فخلاهم ذم فماذا يقال ؟

والجواب أن كثيرا من الصّحابة كلّفوا أنفسهم أمورا من النوافل شاقة جدا ، فمنهم من كان يقوم الليل كله ، ومنهم من كان يصوم الدهر كله ، ومنهم المرابطي الثغور ، ومنهم المجاهد مع سقوط الجهاد عنه لقيام غيره به ، ومنهم تارك النكاح ، ومنهم تارك المطاعم والملابس ؛ وكانوا يتفاخرون بذلك ، ويتنافسون فيه ، فأراد عليه السلام أن يبين لأهله وشيعته وقت الوصية أن المهم الأعظم هو التوحيد ، والقيام بما يعلم من دين محمد صلى الله عليه وآله أنه واجب ، ولا عليكم بالإخلال بما عدا ذلك ، فليت من المائة واحدا نهض بذلك ، والمراد ترغيبهم بتخفيف وظائف التكالييف عنهم ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾<sup>(١)</sup> . وقال صلى الله عليه وآله ! « بُعِثْتُ بِالْخِفْيَةِ السَّهْلَةِ السَّمْعَةِ » .

قوله : « وخلاكم ذم » : لفظة تقال على سبيل المثل أي قد أعذرتكم ، وسقط عنكم الذم . ثم قسم أيامه الثلاثة أقساما فقال : أنا بالأمس صاحبكم أي كنت أرجى وأخاف ، وأنا اليوم عبرة لكم ، أي عظة تعتبرون بها . وأنا غدا مفارقكم ، أكون في دار أخرى غير داركم . ثم ذكر أنه إن بقي ولم يمض من هذه الضربة فهو ولي دمه ، إن شاء عفا ، وإن شاء اقتص ، وإن لم يبق فالفناء الموعد الذي لا بد منه .

ثم عاد فقال : وإن أعف ، والتقسيم ليس على قاعدة تقسيم المتكلمين . والمعنى منه مفهوم ، وهو إما أن أسلم من هذه الضربة أولا أسلم ، فإن سلت منها فأنا ولي دمي ؛ إن شئت عفوت فلم أقتص ، وإن شئت اقتصصت ، ولا يعني بالقصاص هاهنا القتل ، بل ضربة بضربة ، فإن سرت إلى النفس كانت السراية مهددة كقطع اليد .

ثم أومأ إلى أنه إن سلم عفا بقوله : إن العفو لي إن عفوت قرينة .  
ثم عدنا إلى القسم الثاني من القسمين الأولين ، وهو أنه عليه السلام لا يسلم من هذه ؛  
قولاً لا ليدل على الورثة ، إن شاءوا اقتصوا وإن شاءوا عفا .  
ثم أومأ إلى أن العفو منهم أحسن ، بقوله : « وهو لكم حسنة » ، بل أمرهم أمراً  
صريحاً بالعفو ، فقال : فاعفوا ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ . وهذا لفظ الكتاب  
العزیز ، وينبغي أن يكون أمره بالعفو في هذا الكلام محمولاً على الندب .  
ثم أقسم عليه السلام أنه ما فجأه من الموت أمرٌ أنكره ولا كرهه ، فجأني الشيء :  
أتاني بفتنة .

ثم قال : « ما كنتُ إلا كقارب وَرَدَ » ، والقارب : الذي يسير إلى الماء وقد  
بقي بينه وبينه ليلة واحدة ، والاسم : القرب ، فهم قاربون ، ولا يقال « مقربون » ،  
وهو حرف شاذ .

بازمینه

( ٣٤ )

### الأصل

ومن وصية له عليه السلام بما يعمل في أمواله ، كتبها بعد منصرفه من صفين :

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ  
لِيُوجِبَ لَهُ بِهِ الْجَنَّةَ ، وَيُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمَنَةَ .

### الشرح :

قد عاتبت العثمانية وقالت : إن أبا بكر مات ولم يخلف دينارا ولا درهما ، وإن عليا عليه السلام مات وخلف عقارا كثيرا - يمتون نخلا - قيل لهم : قد علم كل أحد أن عليا عليه السلام استخرج عبونا بكذب يده بالمدينة ويتبع وسويعه ، وأخيا بها مواتا كثيرا ، ثم أخرجها عن ملكه ، وتصدق بها على المسلمين ، ولم يمت وشيء منها في ملكه ، ألا ترى إلى ما تنضمه كتب السير والأخبار من منازعة زيد بن علي وعبد الله ابن الحسن في صدقات علي عليه السلام ، ولم يورث علي عليه السلام بنيه قليلا من المال ولا كثيرا إلا عبيده وإماءه وسبعائة درهم من عطائه ، تركها ليشتري بها خادما لأهله قيمتها ثمانية وعشرون دينارا ، على حسب المائة أربعة دنانير ، وهكذا كانت المعاملة بالدرهم إذ ذاك ، وإنما لم يترك أبو بكر قليلا ولا كثيرا لأنه ما عاش ، ولو عاش لترك ، ألا ترى أن عمر أصدق أم كلثوم أربعين ألف درهم ، ودفعها إليها ، وذلك لأن هؤلاء طال أعمارهم ، فمنهم من درت عليه أخلاف التجارة ، ومنهم من كان يستعمر الأرض ويزرعها ، ومنهم من استفضل من رزقه من الفى (١) .

(١) الفى : القيمة .

وفضلهم أمير المؤمنين عليه السلام بأنه كان يعمل بيديه ، ويحرث الأرض ويستقي الماء ويغرس النخل ، كل ذلك يباشره بنفسه الشريفة ، ولم يستبق منه لوقته ولا لعقبه قليلا ولا كثيرا ؛ وإنما كان صدقة ؛ وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وله ضياع كثيرة جليلة جدا بخيبر وفدك وبني النضير ، وكان له وادي نخلة وضياع أخرى كثيرة بالطائف ، فصارت بعمدته صدقة بالخبر الذي رواه أبو بكر . فإن كان علي عليه السلام معيا بضياعه ونخله فكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذا كفر وإلحاد وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله إنما ترك ذلك صدقة فرسول الله صلى الله عليه وآله ما روى عنه الخبر في ذلك إلا واحد من المسلمين ، وعلي عليه السلام كان في حياته قد أثبت عند جميع المسلمين بالمدينة أنها صدقة ، فالتهمة إليه في هذا الباب أبعد . وروى : « ويعطيني به الأمانة » ، وهي الأمن .



الأصل :

منها :

فإنه يقوم بذلك الحسن بن علي بأكل منه بالمعروف ، وبإنفاق منه بالمعروف ، فإن حدث بحسن حدث وحسين حتى ، قام بالأمر بمده وأصدره مصدره ؛ وإن لابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي .

وإني إنما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله ، وقرينة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتكريما لحرمته ، وتشريفا لوضعيته ، وبشرط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله ، وبإنفاق من ثمره حيث أمر به وهدي له ، وألا يبيع من أولاد نخيل هذه القرى ودية حتى تشكل أرضها غراسا .



وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي أَلَلَّتِي أُطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِيَ حَامِلٌ فَتَمَسَكَ عَلَى  
وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ ؛ فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ قَدْ أُفْرِجَ عَنْهَا الرِّقُّ  
وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ .

\*\*\*

قَالَ السَّيِّدُ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :  
قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْوَصِيَّةِ « وَأَلَّا يَبِيعَ مِنْ تَخْلِيهَا وَدِيَّةً » ، الْوَدِيَّةُ :  
الْفَسِيلَةُ ، وَجَمْعُهَا وَدِيٌّ .

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « حَقٌّ تُشْكِلُ أَرْضُهَا غِرَاسًا » هُوَ مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ ،  
وَالْمُرَادُ بِهِ أَنَّ الْأَرْضَ يَكْثُرُ فِيهَا غِرَاسُ النَّخْلِ حَتَّى يَرَاهَا الْفَاطِرُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ  
الْصِّفَةِ الَّتِي عَرَفَهَا بِهَا ، فَيُشْكِلُ عَلَيْهِ أَمْرُهَا وَيَحْسِبُهَا غَيْرَهَا .

\*\*\*

### الْبَنْحُ :

جَعَلَ لِلْحَسَنِ ابْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَايَةَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِ ، وَأَذِنَ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ  
بِالْمَعْرُوفِ ، أَيْ لَا يُسْرِفَ ، وَإِنَّمَا يَتَنَاوَلُ مِنْهُ مَقْدَارَ الْحَاجَةِ ، وَمَا جَرَتْ بِمِثْلِهِ عَادَةٌ مِنْ  
يَتَوَلَّى الصَّدَقَاتِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ <sup>(١)</sup> .

ثُمَّ قَالَ : فَإِنْ مَاتَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ بَعْدَهُ حَيًّا فَالْوَلَايَةُ لِلْحُسَيْنِ ، وَالْمَاءُ فِي « مَصْدَرِهِ »  
تَرْجِعُ إِلَى الْأَمْرِ ، أَيْ يَصْرَفُهُ فِي مَصَارِفِهِ الَّتِي كَانَ الْحَسَنُ يَصْرَفُ فِيهَا . ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ لَهُذَيْنِ  
الْوَلَدَيْنِ حِصَّةً مِنْ صَدَقَاتِهِ أَسْوَأَ بِسَائِرِ الْبَنِينَ ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ يَتَوَهَّمُ مَتَوَهَّمٌ

أنهما لكونهما قد فوّض إليهما النظرُ في هذه الصدقات ، قد مُنعا أن يسهما فيها بشيء ، وإن الصدقات إنما يتناولها غيرها من بنى على عليه السلام ممن لا ولاية له مع وجودها ، ثم بين لماذا خصّهما بالولاية ؟ فقال : إنما فعلت ذلك لشرفهما برسول الله صلى الله عليه وآله ، فتقرّبتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بأن جعلتُ لسبطيه هذه الرئاسة ، وفي هذا رمز وإذراء بمن صرّف الأمر عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله مع وجود من يصلح للأمر ، أى كان الأليق بالمسلمين والأولى أن يجعلوا الرئاسة بعده لأهله قرابةً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتكرماً لحرمة ، وطاعة له ، وأنفةً لقدره ، صلى الله عليه وآله أن تكون ورثته سوقة ، يليهم الأجانب ، ومن ليس من شجرته وأصله . ألا ترى أن هبة الرسالة والنبوة في صدور الناس أعظم إذا كان السلطان والحاكم في الخلق من بيت النبوة ؛ وليس يوجد مثل هذه الهيبة والجلال في نفوس الناس للنبوة إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدعوة عليه السلام !

ثم اشترط على مَنْ بلى هذه الأموال أن يتركها على أصولها ، وينفق من ثمرتها ، أى لا يقطع النخل والتمر ويبيعه خشباً وعيداناً ، فيفضي الأمر إلى خراب الضياع وعطلة المقار . قوله : « وألا يبيع من أولاد نخيل هذه القرى » أى من الفُسلان الصغار ، سمّاها ، أولاداً ، وفي بعض النسخ ليست « أولاد » مذكورة ، والودية : القسيلة .

تُشكّل أرضها : تمتلئ بالفِراس حتى لا يبقى فيه طريقة واضحة .

قوله : « أطوفُ عليهن » ، كناية لطيفة عن غشيان النساء ، أى من السراري ؛ وكان عليه السلام يذهب إلى حلّ بيع أمهات الأولاد ، فقال : من كان من إمائي لها ولد مني ؛ أو هي حامل مني وقسمت تركتي فلتكن أم ذلك الولد مبيعة على ذلك الوالد ، ويحاسب بالثمن من حصته من التركة ، فإذا بيعت عليه عتقت عليه ، لأن الولد إذا اشترى الوالد عتق الوالد

عنه ، وهذا معنى ، قوله « فتمسك على ولدها » ، أى تقوم عليه بقيمة الوقت الحاضر ،  
وهى من حفظه ، أى من نصيبه وقسطه من التركة .

قال : فإن مات ولدها وهى حية بعد أن تقوم عليه فلا يجوز بيعها لأنها خرجت عن  
الرقيق بانتقالها إلى ولدها ، فلا يجوز بيعها .

فإن قلت : فلماذا قال : فإن مات ولدها وهى حية ؟ وهلا قال : فإذا قومت  
عليه عتقت ؟

قلت : لأن موضع الاشتباه هو موت الولد وهى حية ، لأنه قد يظن ظاناً أنه إنما  
حرّم بيعها لكان وجود ولدها ، فأراد عليه السلام أن يبين أنها قد صارت حرة مطلقاً  
سواء كان ولدها حياً أو ميتاً .



مركز تحقیقات فقهی و حقوقی اسلامی

(٢٥)

## الأصل

ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات ، وإنما ذكرنا هنا  
جُملًا منها ليعلم بها أنه عليه السلام كان يقيم عماد الحق ، ويشرع أمثلة العدل في صغير  
الأمر وكبيرها ، ودقيقها وجليلها :

أَنْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَلَا تَرَوْعَنَّ مُسْلِمًا ، وَلَا تَجْتَازَنَّ  
عَلَيْهِ كَارَهَا ، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْخَلَى  
فَانْزِلْ بِمَأْسُومٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَهْلِيَّائَهُمْ ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ ؛ حَتَّى  
تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ .

وَلَا تُخْذِجْ بِالنَّحِيَّةِ لَهُمْ ثُمَّ تَقُولُ عِبَادَ اللَّهِ ، أُرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ ،  
لَاخِذًا مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ ، فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتَوَدُّوهُ  
إِلَى وَلِيِّهِ !

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : لَا ، فَلَا تَرَاجِعْهُ ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ  
تُخَيِّفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ ، أَوْ تُعْصِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ ؛ فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ ؛ فَإِنْ كَانَ  
لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَإِنْ أَكْثَرَهَا لَهُ ، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ  
عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ ، وَلَا عَنِيْفٍ بِهِ .

وَلَا تَنْفَرَنَّ بِهِيمَةً وَلَا تَفْرَعْهَا ، وَلَا تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا .  
وَأَصْدَعْ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيْرْهُ ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ .  
ثُمَّ أَصْدَعْ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ ، ثُمَّ خَيْرْهُ ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ ؛ فَلَا تَزَالْ  
كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَقَالَ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ ؛ فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ .

فَإِنْ أَسْتَقَالَكَ فَأَقِلَّهُ ، ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ .

وَلَا تَأْخُذَنَّ عَرْدًا وَلَا هَرِمَةً وَلَا مَكْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً ، وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ ؛ وَلَا تَأْمَنْنَ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَشَقُّ بِدِينِهِ ، رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ لِيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ ، وَلَا تُوَكِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِيفًا ، غَيْرَ مُعْتَبٍ وَلَا مُجْجَفٍ ، وَلَا مُنْعَبٍ وَلَا مُتَعَبٍ .

ثُمَّ اخْذُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ ، نُصَيِّرُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ ، فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصْلِيهَا ، وَلَا يَمْضُرَ لَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بَوْلَدِهَا ، وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوبًا ، وَلِيَعْدِلَ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا ، وَلِيَرْفُقَ عَلَى الْإِغْبِ ، وَلِيَسْتَأْنِ بِالنَّقَبِ وَالظَّالِعِ ، وَلِيُبَوِّدَهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْفُدْرِ ، وَلَا يَعْدِلَ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ ، وَلِيُرَوِّحَهَا فِي السَّاعَاتِ ، وَلِيُمَهِّلَهَا عِنْدَ النَّطَافِ وَالْأَغْشَابِ ، حَتَّى تَأْتِينَا بِإِذْنِ اللَّهِ بِدَنَّا مُنْقِبَاتٍ ، غَيْرَ مُتَعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ ، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

\*\*\*

### البشرح :

وقد كرر عليه السلام قوله : « لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ » فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ :

الأول قوله : « حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ لِيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ » .

الثاني قوله عليه السلام : « نُصَيِّرُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ » .

الثالث قوله : « لَنَقِصَّهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ » ، والبلاغة لا تقتضي ذلك ، ولكن أظنه أحب أن يحتاط ، وأن يدفع الظنة <sup>(١)</sup> عن نفسه ، فإن الزمان كان في عهده قد فسد ، وساءت ظنون الناس ، لا سيما مع ما رآه من عثمان واستثارته بمال النبي .

ونعود إلى الشرح . قوله عليه السلام : « عَلَى تَقْوَى اللَّهِ » ، « عَلَى » ليست متعلقة بـ « انطلق » ، بل بمحذوف ، تقديره : مواظباً .

قوله : « وَلَا تُرْوَعَنَّ » أى لَا تَفْرَعَنَّ ، والرَّوْعُ الفزع ، رُعته أروعته ، وَلَا تُرْوَعَنَّ بتشديد الواو وضمَّ حَرْفِ المضارعة ، من رَوَعْتَ للتكثير .

قوله عليه السلام : « وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارَهَا » ، أى لَا تَمُرَنَّ ببيوت أحدٍ من المسلمين يكره مُرُورُكَ . وروى : « وَلَا تَخْتَارَنَّ عَلَيْهِ » ، أى لَا تَقْسِمَ مَالَهُ وَتَخْتَرُ أَحَدَ الْقِسْمَيْنِ ، والهاء في « عَلَيْهِ » ترجع إلى « مُسَلِّماً » وتفسير هذا سيأتي في وصيته له أن يَصْدَعَ الْمَالَ ثُمَّ يَصْدَعَهُ ، فهذا هو النهي عن أن يختار عَلَى المسلم . والرواية الأولى هي المشهورة .

قوله عليه السلام : « فَأَنْزِلْ بِعَائِهِمْ » ، وذلك لأنَّ الْغَرِيبَ يُحَمَّدُ مِنْهُ الْانْقِبَاضَ ، وَيُسْتَهْجَنُ فِي الْقَادِمِ أَنْ يُخَالِطَ بِيُوتَ الْحَيِّ الَّذِي قَدِمَ عَلَيْهِ فَقَدْ يَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ مَنْ لَا تَلِيقَ رُؤْيَاهُ ، وَلَا يَحْسُنُ سَمَاعُ صَوْتِهِ ، وَمِنَ الْأَطْفَالِ مَنْ يَسْتَهْجِنُ أَنْ يَرَى الْغَرِيبَ أَنْبَسَاطَهُ عَلَى أَبَوَيْهِ وَأَهْلِهِ ، وَقَدْ يَكْرَهُ الْقَوْمُ أَنْ يَطْلُعَ الْغَرِيبُ عَلَى مَا كَلَّمَهُمْ وَمَشَرَبَهُمْ وَمَلْبَسَهُمْ وَبَوَاطِنُ أَحْوَالِهِمْ ، وَقَدْ يَكُونُونَ قَرَاءَ فَيَكْرَهُونَ أَنْ يَعْرِفَ قَرَمَهُمْ فَيَحْتَقِرَهُمْ ، أَوْ أَغْنِيَاءَ أَرْبَابِ ثَرَوَةٍ كَثِيرَةٍ فَيَكْرَهُونَ أَنْ يَعْلَمَ الْغَرِيبُ ثَرَوَتَهُمْ فَيَحْسُدَهُمْ ، ثُمَّ أَمْرُهُ أَنْ يَمْضِيَ إِلَيْهِمْ غَيْرَ مُتَسَرِّعٍ وَلَا عَجِلٍ وَلَا طَائِشٍ نَزِقٍ ، حَتَّى يَقُومَ بَيْنَهُمْ فَيُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ

(١) : الظنة التهمة .

ويعيهم تحية كاملة ، غير مخدجة ، أى غير ناقصة ، أخذت الناقة إذا جاءت بولدها ناقص الخلق ، وإن كانت أيامه تامة ، وخدجت : ألفت الولد قبل تمام أيامه . وروى : « ولا تُخدج بالتحية » ، والباء زائدة .

ثم أمره أن يسألهم : هل فى أموالهم حق لله تعالى ؟ يعنى الزكاة ، فإن قالوا : لا ، فلينصرف عنهم ، لأن القول قول رب المال ، فقلعه قد أخرج الزكاة قبل وصول المصدق إليه .

قوله : « وأنتم لك » ، أى قال : نعم .

ولا تمسه ، أى لا تطلب منه الصدقة عسفاً ، وأصله الأخذ على غير الطريق . ولا ترهقه : لا تكلفه السر والمشفة .

ثم أمره أن يقبض ما يدفع إليه من الذهب والفضة ، وهذا يدل على أن المصدق كان يأخذ العين والورق كما يأخذ الماشية ، وأن النصاب فى العين والورق تدفع زكاته إلى الإمام ونوابه ، وفى هذه المسألة اختلاف بين الفقهاء .

قوله : « فإن أكثرها له » : كلام لا مزيد عليه فى الفصاحة والرياسة والدين ، وذلك لأن الصدقة المستحقة جزء يسير من النصاب ، والشريك إذا كان له الأكثر حرّم عليه أن يدخل ويتصرف إلا بإذن شريكه ، فكيف إذا كان له الأقل .

قوله : « فلا تدخلها دخول متسلط عليه » ، قد علم عليه السلام أن الظلم من طبع الولاة ، وخصوصاً من يتولى قبض الماشية من أربابها على وجه الصدقة ، فإنهم يدخلونها دخول متسلط حاكم قاهر ، ولا يبقى لرب المال فيها تصرف ، فنهى عليه السلام عن مثل ذلك .



قوله : « ولا تنفّرن بهيمةً ، ولا تُفرّغنّها » ، وذلك أنهم على عادة السوء يَهْجُجُونَ<sup>(١)</sup> بالقطع حتى تنفر الإبل ، وكذلك بالشاء إظهاراً للقوة والقهر ، وليتمكن أعوانهم من اختيار الجيد ، ورَفَضَ الردي .

قوله : « ولا تسوءنّ صاحبها فيها » أى لا تفتوه ولا تُحزنوه ، يقال : سَوَّاهُ في كذا سَوَّاهٌ وسَوَّاهٌ .

قوله : « واصدع المال صدعين وخيره » ، أى شقه نصفين ثم خيره ، فإذا اختار أحد النصفين فلا تعرّضنّ لما اختار ، ثم اصدع النصف الذى ما ارتضاه لنفسه صدعين وخيره ، ثم لا تزال تفعل هكذا حتى تُبْقَى من المال بمقدار الحق الذى عليه ، فاقبضه منه ، فإن استقالك فأقله ، ثم اخلط المال ، ثم عُدْ لمثل ما صنعت حتى يرضى ، وينبغى أن يكون المعيبات الخمس وهى الملهوسة والمكسورة وأخواتهما يخرجها المصدق من أصل المال قبل قسّمته ثم يقسم وإلا فربما وقعت في سهم المصدق إذا كان يعتمد ما أمره به من صدع المال مرة بعد مرة .

والعود : المَسِين من الإبل ، والمهرمة : المَسِينَة أيضاً ، والمكسورة : التى أحد قوائمها مكسورة العظم أو ظهرها مكسور ، والملهوسة : المريضة قد هلك بها المرض وأفنى لحمها ، والهلاس : السّل . والعوار : بفتح العين : العيب ، وقد جاء بالضم .

والمعتب : ذو العنف بالضم وهو ضدّ الرَفْق . والمجحف : الذى يسوق المال سوقاً عنيفاً فيجحف به أى يهلكه أو يذهب كثيراً من لحمه ونقيّه<sup>(٢)</sup> .

والمُلقَب : المُتعب ، واللغوب : الإعياء .

وحذرت السفينة وغيرها - بغير ألف أحدرها بالضم .

(١) يقال : هَجَجَ بالبع : صاح به ، وبالجمل زجره .

(٢) النقي ، بكسر النون وسكوت القاف : المخ .

قوله : « بين ناقة وبين فصيلها » الأفصح حذف بين الثانية ؛ لأن الاسمين ظاهران ، وإنما تكرّر إذا جاءت بعد المضمّر ، كقولك : المال بيني وبين زيد وبين عمرو ، وذلك لأن المجرور لا يُعطَف عليه إلا بإعادة حرف الجرّ والاسم المضاف ، وقد جاء : المال بين زيد وعمرو ، وأنشدوا :

بين السحاب وبين الرّيح ملحمةٌ قعاقعٌ وظي في الجو تختلط<sup>(١)</sup>  
وأيضاً :

بين الندى وبين برقة ضاحكٍ غيث الضريك وفارسٌ مقدم<sup>(٢)</sup>  
ومن شعر الحماسة :

وإن الذي يبينني وبين بني أبي وبين بني عمي لختلف جداً<sup>(٣)</sup>

وليس قول من يقول : إنه عطف بين الثالثة على الضمير المجرور بأولى من قول من يقول : بل عطف بين الثالثة على بين الثانية ، لأنّ المعنى يتمّ بكل واحد منها .

قوله عليه السلام : « ولا تمصّر لبنها » ، المصّر حَلَب مافي الضرع جميعه ، نهاء من أن يحلب اللبن كله فيبقى الفصيلُ جائعاً ؛ ثم نهاء أن يُجهدّها ركوباً ، أي يُشعبها ويحملها مشقة ؛ ثم أمره أن يعدل بين الركاب في ذلك ، لا يخصص بالركوب واحدةً بعينها ، ليكون ذلك أرواح لهم ، ليرفّه على اللاغب ، أي ليتروكه وليعفيه عن الركوب ليسترخ . والرفاهية : الدعة والراحة .

والنقب : ذو النقب ، وهو رقة خفّ البعير حتى تسكاد الأرض تجرحه : أمره أن يستأنى بالبعير ذي النقب ، من الأناة ، وهي المهلة .

(١) الملحمة : الحرب ، والقعاقع : حكاية أصوات الترس في الحرب . والظي : جمع ظبة ، وهو حمال السيف .  
(٢) برقة ضاحك : موضع بعينه . (٣) ديوان الحماسة ٣٠ : ١٧٢ ، والبيت للعنق الكندي .

والظالم : الذى ظلم ، أى غمز فى مشيه .  
والغُدْرُ : جمع غدِير الماء . وجوَاد الطريق : حيث لا يَنْبِت المرعى .  
والنُّطَاف : جمع نطفة ، وهى الماء الصافى القليل .  
والْبُدْنُ بالتشديد : السَّان ، واحدها بادن .  
وَمُنْقِيَات : ذواتُ نَفْي ، وهو الْمَخُّ فى الْعَظْم ، والشَّحْم فى الْعَيْن من السَّمْن ، وَأُنْقَتَ  
الإِبِلُ وغيرها : سَمَتُ وصار فيها نَفْيٌ ، وناقاة مُنْقِيَةٌ ، وهذه الناقاة لا تُنْفَى .



(٢٦)

الأصل :

ومن عهد له عليه السلام إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة :

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ ؛ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ ، حَيْثُ لَا شَاهِدَ غَيْرُهُ ، وَلَا وَكِيلَ دُونَهُ .

وَأَمْرُهُ أَلَّا يَفْعَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَ ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ ، وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ ، فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ .

وَأَمْرُهُ أَلَّا يَجْبِهَهُمْ ، وَلَا يَمْضِيَهُمْ ، وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ ، وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحَقُوقِ .  
وَإِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً ، وَحَقّاً مَعْلوماً ، وَشُرْكَاءَ أَهْلِ مَسْكِنَتِهِ ، وَضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ .

وَإِنَّا مُوفُونَكَ حَقَّكَ ، فَوْقَهُمْ حُقُوقَهُمْ ، وَإِلَّا تَفَعَّلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَبُؤْسَى لِمَنْ خَصَّصَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ ، وَالسَّائِلُونَ وَالْمَذْفُوعُونَ ، وَالْفَارِمُونَ وَأَبْنُ السَّبِيلِ !

وَمَنْ اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ ، وَرَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ ، وَلَمْ يُبْزِزْهُ نَفْسُهُ وَدِينُهُ عَنْهَا ، فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الدَّلَّ وَالْخُرْىَ فِي الدُّنْيَا ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَذْلُ وَأَخْرَى ؛ وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الْأُمَّةِ ، وَأَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الْأُمَّةِ . وَالسَّلَامُ .

## الشيخ :

حيث لا شهيد ولا وكيل دونه ، يعنى يوم القيامة .  
قوله : « ألا يعمل بشئ من طاعة الله فيما ظهر » ، أى لا يُنافق فيعمل الطاعة فى الظاهر ،  
والمعصية فى الباطن .

ثم ذكر أن الذين يتجنبون النفاق والرِّياء هم المخلصون .  
وَأَلَا يُحِبُّهُمْ : لا يواجههم بما يكرهونه ، وأصل الجِبْه لِقَاءُ الْجَبْهَةِ أو ضَرْبُهَا ،  
فلَمَّا كَانَ الْمَوَاجِهُ غَيْرَهُ بِالْكَلَامِ الْقَبِيحِ كَالضَّارِبِ جَبْهَتَهُ بِهِ مُتَمِّيًا بِذَلِكَ جَبْهًا .  
قوله : « وَلَا يَعْصِيهِمْ » : أى لا يرضيهم بالبُهْتَانِ وَالْكَذِبِ ، وهى الْعَصِيَّةُ ،  
وَعَصَيْتُ فَلَانًا عَصَا ، وَقَدْ عَصَيْتُ يَافِلَانَ ، أى جئت بالبُهْتَانِ .  
قوله : « وَلَا يَرْغَبُ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً » ، يقول : لا يحقرهم ادعاء لفضله عليهم ، وتمييزه  
عنهم بالولاية والإمرة ؛ يقال فلان يَرْغَبُ عَنِ الْقَوْمِ ، أى يأنف من الانتماء إليهم ، أو من  
المخالطة لهم .

وكان عمرُ بن عبد العزيز يدخل إليه سالم مولى بنى مخزوم وعمرُ فى صدر بيته فينتحى  
عن الصدُر ، وكان سالم رجلاً صالحاً ، وكان عمر أراد شراءه وعتقه ، فأعتقه مولى به ؛ فكان  
يسميه : أخى فى الله ؛ فقيل له : أنتنحى لسالم ! فقال : إذا دخل عليك من لا ترى لك عليه  
فضلاً فلا تأخذ عليه شرف المجلس . وهم السراج ليلة بأن يحمّد ، فوَكَّبَ إليه رجاء بن حيوة  
ليُصلِّحه ، فأقسم عليه عمرُ بن عبد العزيز ، فجلس ، ثم قام عمر فأصلحته ، فقال له رجاء : أتقوم  
أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، فمِتْ وَأَنَا عمر بن عبد العزيز ، ورجعتُ وَأَنَا عمرُ بنُ  
عبد العزيز .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا تَرْفَعُونِي فَوْقَ قَدْرِي فَتَقُولُوا فِيَّ مَا قَالَتِ النَّصَارَى فِي ابْنِ مَرْيَمَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي رَسُولًا » .

ثم قال : إِنَّ أَرْبَابَ الْأَمْوَالِ الَّذِينَ تَجِبُ الصَّدَقَةُ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ إِخْوَانُكَ فِي الدِّينِ ، وَأَعْوَانُكَ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحَقِّ ، لِأَنَّ الْحَقَّ إِنَّمَا يُمْكِنُ الْعَامِلُ اسْتِيفَاؤُهُ بِمَعَاوَنَةِ رَبِّ الْمَالِ وَاعْتِرَافِهِ بِهِ ، وَدَفْعِهِ إِلَيْهِ ، فَإِذَا كَانُوا بِهَذِهِ الصِّفَةِ لَمْ يَجُزْ لَكَ عَضُّهُمْ وَجَبُّهُمْ وَادِّعَاءُ الْفَضْلِ عَلَيْهِمْ .

ثم ذكر أَنَّ لِهَذَا الْعَامِلِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا مِنَ الصَّدَقَةِ ، وَذَلِكَ بِنَصِّ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ ؛ فَكَمَا نُوَفِّيكَ نَحْنُ حَقَّكَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُؤَفِّيَ شُرَكَاءَكَ حَقَّ قَتْلِهِمْ ، وَهُمْ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالْغَارِمُونَ وَسَائِرُ الْأَصْنَافِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ فَوَّضَهُ فِي صَرْفِ الصَّدَقَاتِ إِلَى الْأَصْنَافِ الْمَعْلُومَةِ ، وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِأَنْ يَحْمِلَ مَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ لِيُوزَّعَهُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مُسْتَحَقِّيهِ كَمَا فِي الْوَصِيَّةِ الْأُولَى ، وَيُحْمِلُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ بِنَفْسِهِ ، وَأَنْ يَكِلَهُ إِلَى مَنْ يَثِقُ بِهِ مِنْ عَمَّالِهِ .

وَانْتَصَبَ « أَهْلُ مَسْكَنَةٍ » لِأَنَّهُ صِفَةُ « شُرَكَاءِ » ، وَفِي التَّحْقِيقِ أَنَّ « شُرَكَاءَ » صِفَةٌ أَيْضًا مَوْصُوفُهَا مَحْذُوفٌ ، فَيَكُونُ صِفَةً بَعْدَ صِفَةٍ .

وَقَالَ الرَّائِدِيُّ : انْتَصَبَ « أَهْلُ مَسْكَنَةٍ » لِأَنَّهُ يَدُلُّ مِنْ « شُرَكَاءِ » ، وَهَذَا غَلَطٌ ، لِأَنَّهُ لَا يُعْطَى مَعْنَاهُ لِيَكُونَ يَدَلًّا مِنْهُ .

وَقَالَ أَيْضًا : بُؤْسِي ، أَيْ عَذَابًا وَشَدَّةً ، فَظَنَّهُ مَنُونًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلْ هُوَ بُؤْسِي عَلَى وَزْنِ « فُعْلَى » كَفُضِّلِي وَنُعَى ، وَهِيَ لَفْظَةٌ مُؤَنَّثَةٌ ؛ يَقَالُ : بُؤْسِي لِفُلَانٍ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

أَرَى الْحِلْمَ بُؤْسِي لِفَتًى فِي حَيَاتِهِ      وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَا حَبَّكَ بِهِ الْجَهْلُ

والسائلون هاهنا هم الرقاب المذكورون في الآية ، وهم المكاتبون يتعذر عليهم أداء مال الكتابة ، فيسألون الناس ليتخلصوا من ربة الرق . وقيل : هم الأسارى يطلبون فسكاً أنفسهم ، وقيل : بل المراد بالرقاب في الآية الرقيق ، يسأل أن يتناحه الأغنياء فيعتقوه . والمدفوعون هاهنا هم الذين عنام الله تعالى في الآية بقوله : ﴿ وفي سبيل الله ﴾<sup>(١)</sup> ، وهم قراء الغزاة ، تمام مدفوعين لفقرهم . والمدفوع والمدفع : الفقير ، لأن كل أحد بكرهه ويدفعه عن نفسه . وقيل : هم الحجيج المنقطع بهم ، تمام مدفوعين لأنهم دفعوا عن إتمام حجهم ، أو دفعوا عن العود إلى أهلهم .

فإن قلت : لم حلت كلام أمير المؤمنين عليه السلام على مفسرته به ؟ قلت : لأنه عليه السلام إنما أراد أن يذكر الأصناف المذكورة في الآية ، فترك ذكر المؤلفة قلوبهم لأنهم سقط بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقد كان يدفع إليهم حين الإسلام ضعيف ، وقد أعزته الله سبحانه ، فاستغنى عن تأليف قلوب المشركين ، وبقيت سبعة أصناف ، وهم الفقراء والمساكين والعاملون عليها والرقاب والغارمون وفي سبيل الله وابن السبيل .

فأما العاملون عليها فقد ذكرهم عليه السلام في قوله : « وإن لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً » ، فبقيت ستة أصناف أتى عليه السلام بالفاظ القرآن في أربعة أصناف منها ، وهي : الفقراء ، والمساكين ، والغارم ، وابن السبيل ، وأبدل لفظتين وهما الرقاب وفي سبيل الله بلفظتين وهما السائلون والمدفوعون .

فإن قلت : ما بقوله الفقهاء في الصدقات ؟ هل تصرف إلى الأصناف كلها أم يجوز صرفها إلى واحد منها ؟

(١) سورة التوبة ٦٠ .



قلت : أما أبو حنيفة فإنه يقول : الآية قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة فهي مختصة بها لا تتجاوزها إلى غيرها ، كأنه تعالى قال : إنما هي لهم لا لغيرهم ، كقولك : إنما الخلافة لقريش ، فيجوز أن تصرف الصدقة إلى الأصناف كلها ، ويجوز أن تصرف إلى بعضها ، وهو مذهب ابن عباس وحذيفة وجماعة من الصحابة والتابعين . وأما الشافعي فلا يرى صرفها إلا إلى الأصناف المعدودة كلها ، وبه قال الزهري وعكرمة .  
فإن قلت : فمن الغارم وابن السبيل ؟

قلت : الغارمون الذين ركبهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب . وقيل : هم الذين يحملون الحمولات فدينوا فيها وغرموا ، وابن السبيل : المسافر المنقطع عن ماله ، فهو - وإن كان غنيا حيث ماله موجود - فقير حيث هو بعيد .  
وقد سبق تفسير الفقير والمسكين فيما تقدم .

قوله : « فقد أحل بنفسه الذل والخزي » ، أي جعل نفسه محلا لها ، ويروي : « فقد أحل بنفسه » بالخاء المعجمة ، ولم يذكر الذل والخزي أي جعل نفسه محلا ، ومعناه جعل نفسه فقيرا ، يقال : خل الرجل : إذا افتقر ، وأحل به غيره ، وبغيره أي جعل ، غيره فقيرا ، وروي : « أحل » بنفسه بالخاء المهملة ، ولم يذكر « الذل والخزي » . ومعنى « أحل بنفسه » أباح دمه ، والرواية الأولى أصح ، لأنه قال بعدها : « وهو في الآخرة أذل وأخزى » .  
وخيانة الأمة : مصدر مضاف إلى المفعول به ، لأن الساعي إذا خان فقد خان الأمة كلها ؛ وكذلك غش الأمة ، مصدر مضاف إلى المفعول أيضا ؛ لأن الساعي إذا غش في الصدقة فقد غش الإمام .

(٢٧)

الأصل :

ومن عهدله عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر - رضى الله عنه - حين قلده مصر :

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ، وَأَبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ ، وَلَا يَيْئَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمُسْتَوْرَةِ ، فَإِنْ يَمْدُبْ قَائِمُكُمْ أَظْلَمُ ؛ وَإِنْ يَغْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ .

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَلَمْ يُشَارِكُهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ ؛ مَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكِنَتْ ، وَأَكَلُوا بِأَفْضَلِ مَا أَكَلَتْ ، فَحَفَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَفِظَ بِهِ الْمُتَرَفُّونَ ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَّارَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ ؛ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبْلَغِ ؛ وَالْمَتَجَرِّ الرَّابِحِ ؛ أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ حَيْرَانُ اللَّهِ غَدًا فِي آخِرَتِهِمْ ، لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ .

فَاخْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ لِلْمَوْتِ وَقُرْبَةِ ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرِ عَظِيمٍ ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ ؛ يَخِيرُ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا ؛ أَوْ شَرٌّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا ، فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا ! وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا !

وَأَنْتُمْ طُرْدَاءُ الْمَوْتِ ؛ إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكُمْ ، وَهُوَ الزَّمُّ لَكُمْ مِنْ ظِلْمِكُمْ . الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ ؛ وَالْدُّنْيَا تُطَوَّى مِنْ خَلْفِكُمْ .

فَاخْذَرُوا نَارًا قَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ ؛ دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ ، وَلَا تُفَرَّجُ فِيهَا كَرْبَةٌ .

وَإِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ ، فَاجْتَمِعُوا بَيْنَهُمَا ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حَسَنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدَرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ ؛ وَإِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ ظَنًّا بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ خَوْفًا لِلَّهِ .

وَأَعْلَمُ يَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، أَلَيْ قَدْ وَلَيْتُكَ أَكْثَرُ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ ، فَأَنْتَ تَحْقُوقُ أَنْ تُخَافَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَأَنْ تُنَافِصَ عَنْ دِينِكَ ؛ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ ، وَلَا تُسَخِّطَ اللَّهُ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ؛ فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْقًا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ .

صَلِّ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا ، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتُهَا لِفَرَاغٍ ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتُهَا لِإِشْتَغَالٍ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبِعَ لِصَلَاتِكَ .

\*\*\*

## الشرح :

آسِ بَيْنَهُمْ : اجْعَلْهُمْ أَسْوَةً ، لَا تَفْضَلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ ، وَنَبِّهِ بِذَلِكَ عَلَى وَجوبِ أَنْ يَجْعَلَهُمْ أَسْوَةً فِي جَمِيعِ مَا عَدَا ذَلِكَ ، مِنَ الْعَطَاءِ وَالْإِنْعَامِ وَالتَّقَرُّبِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمْ أُفٍّ ﴾ <sup>(١)</sup> .

قوله : « حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعِظَامُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ » ، الضمير في « لَهُمْ » راجعٌ إِلَى الرعية لَا إِلَى الْعِظَامِ ، وَقَدْ كَانَ سَبْقُ ذِكْرِهِمْ فِي أَوَّلِ الْخُطْبَةِ ، أَيْ إِذَا سَلَكْتَ هَذَا الْمَسْلَكَ لَمْ يَطْمَعَ الْعِظَامُ فِي أَنْ تُحَيِّفَ عَلَى الرعية وَتُظْلِمَهُمْ وَتُدْفَعَ أَمْوَالُهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَإِنَّ وِلَاةَ الْجَوَرِ

هكذا يفعلون ، يأخذون مال هذا فيعطونه هذا . ويجوز أن يرجع الضمير إلى العطاء ، أى حتى لا يطمع العطاء في جورك في القسم الذى إنما فعله لهم ولأجلهم ، فإن ولاية الجور يطمع العطاء فيهم أن يحيفوا في القسمة فى الشيء ، ويخالفوا ما حذره الله تعالى فيها ، حفظا لقلوبهم ، واستمالة لهم ، وهذا التفسير أليق بالخطابة ؛ لأن الضمير فى « عليهم » فى الفقرة الثالثة عائد إلى الضعفاء ؛ فيجب أن يكون الضمير فى « لهم » فى الفقرة الثانية عائداً إلى العطاء .

قوله : « فإن يعذب فأنتم أضلم » أفعل هاهنا بمعنى الصفة ، لا بمعنى التفضيل ، وإنما يراد فأنتم الظالمون ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ <sup>(١)</sup> . وكقولهم : الله أكبر . ثم ذكر حال الزهاد فقال : أخذوا من الدنيا بنصيب قوى ، وجعلت لهم الآخرة ؛ ويروى أن الفضيل بن عياض كان هو ورفيق له فى بعض الصحارى ، فأكلا كسرة يابسة ، واغترفا بأيديهما ماء من بعض العذران ، وقام الفضيل فحط رجله فى الماء ، فوجد برده ، فالتذبه وبالخال التى هو فيها ، فقال لرفيقه : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا .

وروى : « والمتجبر المريج » ، فالراجح فاعل من ربح ربحاً ، يقال : بيع راجح أى يربح فيه ، والمريج : اسم فاعل قد عدى ماضيه بالهمزة ، كقولك : قام وأقته .

قوله : « جيران الله غداً فى آخرتهم » ؛ ظاهر اللفظ غير مراد ، لأن البارئ تعالى ليس فى مكان وجهة ليكونوا جيرانه ، ولكن لما كان الجار يكرم جاره سماهم جيران الله ، لإكرامه إياهم ، وأيضاً فإن الجنة إذا كانت فى السماء والعرش هو السماء العليا ، كان فى الكلام مخنوف مقدّر ، أى جيران عرش الله غداً .

قوله : « فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ ، وَخُطْبٍ جَلِيلٍ ، بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا وَشَرٌّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا » ، نصّ صريح في مذهب أصحابنا في الوعيد ، وأنّ من دخل النار من جميع المكلفين فليس يخرج ، لأنه لو خرج منها لسكان الموت قد جاءه بشرٌ معه خير ، وقد نفى نفياً عاماً أن يكون مع الشرّ المعقب للموت خير ألبتة .

قوله : « من عاملها » ، أي من العامل لها .

قوله : « طُرْدَاءُ الْمَوْتِ » ، جمع طَرِيد ، أي يطردكم عن أوطانكم ويخرجكم منها ، لا بدّ من ذلك ، إِنْ أَقْتَمْتُمْ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ هَرَبْتُمْ أَدْرَكَكُمْ .

وقال الراوندي : طُرْدَاءُ هَاهُنَا : جمع طَرِيدَة وهي ما طردت من الصيد أو الوسيقة<sup>(١)</sup> ، وليس بصحيح ، لأن « فَعِيلَة » بالتأنيث لا تُجْمَعُ عَلَى فَعْلَاء . وقال النحويون : إِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾<sup>(٢)</sup> جَاءَ عَلَى « خَلِيفٍ » لَعَلَّ « خَلِيفَة » ، وَأَنْشَدُوا لَأَوْسَ بْنِ حَجَرٍ بَيْتًا ، اسْتَعْمَلَهَا جَمِيعًا فِيهِ ، وَهُوَ :

إِنْ مِنَ الْقَوْمِ مَوْجُودٌ خَلِيفَتُهُ      وَمَا خَلِيفُ أَبِي كَيْلَى بِمَوْجُودٍ<sup>(٣)</sup>

قوله : « أُلْزِمَ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ » ، لأن الظلّ لا تصحّ مفارقتة لذی الظلّ مادام في الشمس ، وهذا من الأمثال المشهورة .

قوله : « مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ » ، أي ملازمٌ لكم ، كالشيء المعقود بناصية الإنسان أين ذهب ذهب معه .

وقال الراوندي : أي الموت غالبٌ عليكم ، قال تعالى : ﴿ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾<sup>(٤)</sup> ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَخَذَ بِنَاصِيَتِهِ لَا يُمْكِنُ الْخُلَاصُ ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ : « أَخَذَ بِنَوَاصِيكُمْ » .

قوله : « وَاللَّهُ نِيَا تُطَوِّي مِنْ خَلْفِكُمْ » من كلام بعض الحكماء : الموت والناس كسطورٍ

(١) الوسيقة : الجماعة من الإبل ، إذا سوقت طردت معاً .

(٢) سورة النمل ٦٢ .

(٣) ديوانه ٢٥ ، وروايته : « وما خليف أبي وهب » .

(٤) سورة الرحمن ٤١ .

في صحيفة يقرؤها قارئاً ويطوى ما يقرأ ، فكلما ظهر سطرٌ خفي سطر .

ثم أمره عليه السلام بأن يجمع بين حسن الظن بالله وبين الخوف منه ، وهذا مقامٌ جليل لا يصل إليه إلا كلٌ ضامرٍ مهزول ، وقد تقدم كلامنا فيه . وقال علي بن الحسين عليه السلام : لو أنزل الله عز وجل كتاباً أنه معذب رجلاً واحداً رجوت أن أكونه ، وأنه راحمٌ رجلاً واحداً رجوت أن أكونه ، أو أنه معذبي لأحالة ما أزدت إلا أجهادا لئلا أرجع إلى نفسي بلائمة .

ثم قال : « وليتلك أعظم أجنادي » ، يقال للأقاليم والأطراف : أجناد ، تقول : ولي جند الشام ، وولي جند الأردن ، وولي جند مصر .

قوله : « فأنت محقوق » ، كقولك حقيق وجدير وخليق ، قال الشاعر :

وإني لمحتونٌ بألا بطولتي نداءً إذا طاولته بالقصائد

وثنافح : تجاليد ، ناحت بالسيف أي خاصمت به .

قوله : « ولو لم يكن إلا ساعة من النهار » ، المراد تأكيد الوصاة عليه أن يخالف على نفسه ، وألا يتبع هواها ، وأن يخاصم عن دينه ، وأن ذلك لازمٌ له ، وواجبٌ عليه ، ويلزم أن يفعله دائماً فإن لم يستطع فليفعله ولو ساعة من النهار ، وينبغي أن يكون هذا التقييد مصروفاً إلى المنفعة عن الدين ، لأن الخصام في الدين قد يمنعه عنه مانع ، فأما أمره إياه أن يخالف على نفسه فلا يجوز صرف التقييد إليه ، لأنه يشعر بأنه مفسوخٌ له أن يتبع هوى نفسه في بعض الحالات ، وذلك غير جائز ، بخلاف الخصامة والنضال عن المعتقد .

قال : « ولا تسخط الله برضاً أحد من خلقه » ، فإن في الله خلقاً من غيره ، وليس من الله خائفٌ في غيره » ، أخذ الحسن البصري فقال لعمر بن هبيرة

أمير العراق : إِنْ الله مَا نَعُكَ مِنْ يَزِيدَ ، وَلَمْ يَمْنَعَكَ يَزِيدُ مِنْ الله - يعني يزيد بن عبد الملك .

ثم أمره بأن يصلي الصلاة لوقتها ؛ أي في وقتها ، ونهاه أن يحمله الفراغ من الشغل على أن يعجلها قبل وقتها ، فإنها تكون غير مقبولة ، أو أن يحمله الشغل على تأخيرها عن وقتها فيأثم .

ومن كلام هشام بن عتبة أخى ذى الرئمة - وكان من عقلاء الرجال - قال المبرد في الكامل : حدثني العباس بن الفرج الرياشي بإسناده ، قال هشام لرجل أراد سفرا : اعلم أن لكل رُفقة كُتبا يشرّكهم في فضل الزاد ، ويهرّ دونهم ، فإن قدرت ألا تكون كلب الرُفقة فأفعل ، وإياك وتأخير الصلاة عن وقتها ، فإنك مُصليها لا محالة ، فصلّها وهي تُقبل منك <sup>(١)</sup> .

قوله : « واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك » ، فيه شبهة من قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « الصلاة عماد الإيمان ، ومن تركها فقد هدم الإيمان » . وقال صلى الله عليه وآله : « أول ما يحاسب به العبد صلاته ، فإن سهل عليه كان ما بعده أسهل ، وإن اشتد عليه كان ما بعده أشد » .

ومثل قوله : « وَلَا تُسَخِّطِ اللهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ » ، ما رواه المبرد في " الكامل " عن عائشة قالت : من أرضى الله يسخط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن أرضى الناس يسخط الله وكاله الله إلى الناس .

ومثل هذا ما رواه المبرد أيضا قال : لما ولى الحسن بن زيد بن الحسن المدينة قال لابن هرمة : إني لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك ، أو خوف ذمك ، فقد رزقني <sup>(٢)</sup>

(١) الكامل : « بإسناده » .

(٢) الكامل ١ : ٢٦٢ .

(٣) الكامل : قد أفادني الله بولادة نبيه المأدح » .



الله عز وجل بولادة نبيه صلى الله عليه وآله المادح ، وجنبني المقابح ، وإن من حقه على  
 ألا أغضى على تقصير في حق الله . وأنا أقسم بالله ، لئن أتيت بك سكران لأضربك حداً  
 للخمر ، وحداً للسُّكر ، ولأزيدن لموضع حرمتك بي ، فليكن تركك لها لله عز وجل  
 تُعَنُّ (١) عليه ، ولا تدعها للناس فتوكل إليهم ، فقال ابن هرمة (٢) :

نهاني ابنُ الرسولِ عن المدام وأدبني بآدابِ الكرام  
 وقال لي اصطبرْ عنها ودعها لخوفِ الله لا خوفِ الأنام  
 وكيف تصبُرى عنها وحبِّي لها حُبٌّ تمكِّن في عظامي !  
 أرى طيبَ الحلال على خُبثا وطيبِ النفس في خُبثِ الحرام (٣)



(١) كذا في ١ والكامل ، وفي ب : « تعر » .  
 (٢) الكامل : « فنهض ابن هرمة وهو يقول » .  
 (٣) الكامل ١ : ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

الأفضل :

ومن هذا العهد :

قَائِنُهُ لَا سَوَاءَ ، إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى ، وَوَلِيُّ النَّبِيِّ وَعَدُوُّ النَّبِيِّ ؛ وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا ؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْتُمُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقٍ أَجْنَانٍ ، عَالِمٍ أَلْسَانٍ ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ ، وَيَفْعَلُ مَا تَنْكُرُونَ .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشرح :

الإشارة بإمام الهدى إليه نفسه ، وبإمام الردى إلى معاوية ، وسماه إماما ، كما سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الضَّلَالِ أُمَّةً ، فقال : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْخُلُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ <sup>(١)</sup> ثم وصفه بصفة أخرى وهو أنه عدو النبي صلى الله عليه وآله ليس بمعنى بذلك أنه كان عدوا أيام حرب النبي صلى الله عليه وآله لقريش ، بل يريد أنه الآن عدو النبي صلى الله عليه وآله ، لقوله صلى الله عليه وآله له عليه السلام : « وعدوك عدوى ، وعدوى عدو الله » . وأول الخبر : « وليك ولي ، وولي ولي الله » ، وتمامه مشهور ، ولأن دلائل النفاق كانت ظاهرة عليه من فلتات لسانه ومن أفعاله ، وقد قال أصحابنا في هذا المعنى أشياء كثيرة ، فلتطلب من كتبهم ، خصوصا

من كُتِبَ شيخنا أبي عبد الله ، ومن كتب الشيخين أبي جعفر الإسكافي ، وأبي القاسم البلخي ، وقد ذكرنا بعض ذلك فيما تقدم .

ثم قال عليه السلام : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إني لا أخاف على أمتي مؤمنًا ولا مشركًا » أي ولا مشركًا يظهر الشرك ، قال : لأن المؤمن يمنع الله بإيمانه أن يضل الناس . والمشرك مظهر الشرك ، يقمعه الله بإظهار شركه ويخذله ، ويصرف قلوب الناس عن اتباعه ، لأنهم ينفرون منه لإظهاره كلمة الكفر ، فلا تطمن قلوبهم إليه ، ولا تسكن نفوسهم إلى مقالته ، ولكنني أخاف على أمتي المنافق الذي يسر الكفر والضلال ، ويظهر الإيمان والأفعال الصالحة ، ويكون مع ذلك ذا لسن وفصاحة ، يقول بلسانه ما تعرفون صوابه ، ويفعل سرًا ما تنكرونه لو اطلعتم عليه ، وذلك أن من هذه صفة تسكن نفوس الناس إليه ؛ لأن الإنسان إنما يحكم بالظاهر فيقلده الناس فيضلهم ويوقعهم في المفاسد .

\*\*\*

### [ كتاب المعتضد بالله ]

ومن الكتب المستحسنة الكتاب الذي كتبه المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق أبي أحمد طاحه بن المتوكل على الله في سنة أربع وثمانين ومائتين ووزيره حينئذ عبيد الله بن سليمان ، وأنا أذكره مختصرًا من تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري .

قال أبو جعفر : وفي <sup>(١)</sup> هذه السنة عزّم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر ، وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس ، تخوفه عبيد الله بن سليمان اضطراب العامة ،

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٢١٦٤ وما بعدها .

وأنه لا يأمن أن تكون فتنة ، فلم يلتفت إليه . فكان أول شيء بدأ به المعتضد من ذلك التقدم<sup>(١)</sup> إلى العامة بلزوم أعمالهم ، وترك الاجتماع والعصبة<sup>(٢)</sup> ، [والشهادات عند السلطان إلا أن يسألوا]<sup>(٣)</sup> ، ومنع<sup>(٤)</sup> القصاص عن القعود على الطرقات ، وأنشأ هذا الكتاب وعملت به نسخ قرئت بالجانبين من مدينة السلام في الأربعاء والمحال والأسواق يوم الأربعاء لستين بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ، ثم منع يوم الجمعة لأربع بقين منه ، ومنع القصاص من القعود في الجانبين ، ومنع أهل الحلق من القعود في المسجدين ، ونودي في المسجد الجامع بنهى الناس عن الاجتماع وغيره وبمنع القصاص وأهل الحلق من القعود ، ونودي : إن الذمة قد برئت ممن اجتمع من الناس في مناظرة أو جدال ، وتقدم إلى الشراب الذين يسقون الماء في الجامعين ألا يترحموا على معاوية ، ولا يذكروه [بخير]<sup>(٥)</sup> ، وكانت عادتهم جارية بالترحم عليه ، وتحدث الناس أن الكتاب الذي قد أمر المعتضد بإنشائه بأمر معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر ، فلما صلى الناس بأدروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب ، فلم يقرأ : وقيل : إن عبيد الله بن سليمان صرفه عن قراءته ، وإنه أحضر يوسف بن يعقوب القاضي ، وأمره أن يعمل الحيلة في إبطال ما عزم المعتضد عليه ، ففى يوسف فكلم المعتضد في ذلك ، وقال له : إني أخاف أن تضارب العامة ، ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركة ، فقال : إن تحررت العامة أو نطقت وضعت السيف فيها . فقال : يأمر المؤمنين ، فما تصنع بالطالبين الذين يخرجون في كل ناحية ، ويعمل إليهم خلق كثير ، لقربتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما في هذا الكتاب من إطرأهم - أو كما قال - وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل ، وكانوا هم أبسط

(٢) الطبرى : « القضية » .

(٤) الطبرى : « ومنع » .

(١) الطبرى : « الأمر بالتقدم » .

(٣) من الطبرى .

السنة ، وأثبت حجة منهم اليوم . فأمسك المعتضد فلم يرد إليه جواباً ، ولم يأمر بعد ذلك في الكتاب بشيء . وكان من جملة الكتاب بعد أن قدم حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله الله صلى الله عليه وآله :

أما بعد ، فقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة العامة من شبهة قد دخلتهم في أديانهم ، وفساد قد لحقهم في معتقدهم ، وعصبية قد غلبت عليها أهواؤهم ، ونطقت بها ألسنتهم ، على غير معرفه ولا روية ، قد قتلوا فيها قادة الضلالة بلا بينة ولا بصيرة ، وخالفوا السنن المتبعة ، إلى الأهواء المبتدعة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ <sup>(١)</sup> ﴾ . خروجا عن الجماعة ، ومسارة إلى الفتنة ، وإثارة للفرقة ، وتشتيت للكلمة ، وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة ، وبتر منه العصمة ، وأخرجه من الملة ، وأوجب عليه اللعنة ، وتعظيماً لمن صغر الله حقه ، وأوهن أمره ، وأضعف ركنه ، من بنى أمية ، الشجرة الملعونة ، ومخالفة لمن استنقذهم الله به من الهلكة ، وأسبغ عليهم به النعمة من أهل بيت البركة والرحمة ، ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ <sup>(٢)</sup> ﴾ .

فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك ؛ ورأى <sup>(٣)</sup> ترك إنكاره حرّاجاً عليه في الدين ، وفساداً لمن قلده الله أمره من المسلمين ، وإهمالاً لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين ، وتبصير الجاهلين ، وإقامة الحجّة على الشاكّين ، وبسط اليد على العاندين <sup>(٤)</sup> ! وأسير المؤمنين يخبركم معاشر المسلمين أن الله جل ثناؤه لما ابتعث محمداً صلى الله عليه وسلم بدينه ، وأمره أن يصدّع بأمره ، بدأ بأهله وعشيرته فدعاهم إلى ربه ، وأنذرهم وبشرهم ،

(٢) سورة البقرة ١٠٥ .  
(٤) الطبري : « العاندين » .

(١) سورة القصص ٥٠ .  
(٣) الطبري : « ترك » .

ونصح لهم وأرشدهم ، فكان من استجاب له ، وصدق قوله ، واتبع أمره <sup>(١)</sup> نفيهم من بني أبيه ، من بين مؤمن بما أتى به من ربه ، وناصر لكلمته وإن لم يتبع دينه إعزازاً له ، وإشفاقاً عليه ، فمؤمنهم مجاهد ببصيرته ، وكافرهم مجاهد بنصرتهم وحميتهم ، يدفعون من نابذه ، ويقهرون من عازته وعانده ، ويتوثقون له ممن كانفه وعاضده ، ويباعون من سمح بنصرتهم ، ويتجسسون أخبار أعدائهم ، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأى العين ، حتى بلغ المدى ، وحان وقت الاهتدا ، فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله والإيمان به بأثبت بصيرة ، وأحسن هدى ورغبة ، فجعلهم الله أهل بيت الرحمة ، وأهل بيت الدين ، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . معدن الحكمة ، وورثة النبوة ، وموضع الخلافة . أوجب الله لهم الفضيلة ، وألزم العباد لهم الطاعة .

وكان ممن عانده وكذبه وحاربه من عشيرته العدد الكثير والسواد الأعظم ، يتلقونه بالضرر والتثريب <sup>(٢)</sup> ، ويقصدونه بالأذى والتخويف ، وينابذونه بالعداوة ، وينصبون له المحاربة ويصدون من قصده ، وينالون بالعذيب من اتبعه ، وكان أشدهم في ذلك عداوة ، وأعظمهم له مخالفة ، أولهم في كل حرب ومناصب ، ورأسهم في كل إجلاب وفتنة ، لا يرفع على الإسلام راية إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها ؛ أبا سفيان بن حرب صاحب أحد والخندق وغيرها ، وأشياعه من بني أمية الملمونين في كتاب الله ، ثم الملمونين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله في مواطن عدة ، لسابق علم الله فيهم ، وماضى حكمهم في أمرهم ، وكفرهم ونفاقهم . فلم يزل لعنه الله يحارب مجاهداً ، ويدافع مكابداً ، ويجلب منابذاً ، حتى قهره السيف ، وعلا أمر الله وهم كارهون ، فتموّد بالإسلام غير منظور عليه ، وأسر الكفر غير مقلع عنه ، فقبله وقبل ولده على علم منه بحاله وحالهم . ثم أنزل الله

(١) الطبرى : « نفي » .

(٢) التثريب : « العتاب واللوم » .

تعالى كتاباً فيما أنزله على رسوله يذكر فيه شأنهم ، وهو قوله تعالى : ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ﴾ <sup>(١)</sup> ، ولا خلاف بين أحد في أنه تعالى وتبارك أراد بها بنى أمية .  
ومما ورد من ذلك في السنة ، ورواه ثقات الأئمة ، قول رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقوده ويزبديسوقه <sup>(٢)</sup> : « لعن الله الراكب والقائد والسائق » .

ومنه ماروته الرواة عنه من قوله يوم بيعة عثمان : تلقفوها يا بنى عبد شمس تلقف الكفرة ، فوالله ما من جنة ولا نار ؛ وهذا كفر صراح يلحقه اللعنة من الله كما لحقت الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

ومنه ما يروى من وقوفه على ثنية أخذ من بعدهم ذهب بصره وقوله لقائده : هاهنا رمينا محمداً وقتلنا أصحابه .

ومنها الكلمة التي قالها للعباس قبل الفتح وقد عرضت عليه الجنود : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً ، فقال له العباس : ويحك ! إنه ليس بملك ، إنها النبوة .  
ومنها قوله يوم الفتح وقد رأى بلالا على ظهر الكعبة يؤذن ويقول : أشهد أن محمداً رسول الله : لقد أسعد الله عتبة بن ربيعة إذ لم يشهد هذا المشهد .

ومنه الرؤيا التي رآها رسول الله صلى الله عليه وآله فوجم لها . قالوا : فما رأت بعدها ضاحكاً <sup>(٣)</sup> ؛ رأى نفرأ من بنى أمية ينزون <sup>(٤)</sup> على منبره نزوة القردة .  
ومنها طرد رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم بن أبي العاص لما كانه إياه في

(٢) الطبري : « يسوق به » .

(١) سورة الإسراء ٦٠ .

(٣) بعدها في الطبري : فأنزل الله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ .

(٤) ينزون : يقبون ويعدون .



يشبّهه ، وألحقه الله بدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله آفةً باقيةً حين التفت إليه فرآه يتخلّج يحكيه ، فقال : « كن كما أنت » ، فبقى على ذلك سائر عمره .

هذا إلى ما كان من سروان ابنه في افتتاحه أوّل فتنة كانت في الإسلام ، واحتقابه<sup>(١)</sup> كلّ حرام سَفِكَ فيها أو أريق بعدها .

ومنها ما أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله ليلة القدر ، خيرٌ من ألف شهر ! قالوا : ملك بنى أمية .

ومنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا معاوية ليكتب بين يديه ، فدافع بأمره واعتلّ بطعامه ؛ فقال صلى الله عليه وآله : « لا أشبع الله بطنه » . فبقى لا يشبع وهو يقول : والله ما أترك الطعام شبعاً ، ولكن إعياء !

ومنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يُحشّر على غير ملتي » ؛ فطلع معاوية .

ومنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » . ومنها الحديث المشهور المرفوع أنه صلى الله عليه وآله قال : « إن معاوية في تابوت من نار ، في أسفل درك من جهنم ، ينادي : يا حنّان يا منّان . فيقال له : ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ »<sup>(٢)</sup> .

ومنها أفترأوه بالمخارية لأفضل المسلمين في الإسلام مكّاناً ، وأقدمهم إليه سبّاً ، وأحسنهم فيه أثراً وذِكْراً ، على بن أبي طالب ، ينازعه حقّه بباطله ، ويجاهد أنصاره بضلاله وأعوانه ، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه ، من إطفاء نور الله ، وجسود دينه

(١) يقال : احتب فلان الإثم ؛ إذا ارتكبه .

(٢) سورة يونس ٩١ .

﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيمَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> ؛ ويستهوئ أهل الجهالة ، وعموه لأهل الضلالة بمكره وبغية اللذين قدّم رسول الله صلى الله عليه وآله الخبر عنهما ، فقال لعمار بن ياسر : « تقتلك الفئة الباغية » ؛ تدعوم إلى الجنة ويدعونك إلى النار ، مؤثرا للعاجلة ، كافرا بالآجلة ؛ خارجا من رتبة<sup>(٢)</sup> الإسلام ، مستحلا للدم الحرام ؛ حتى سفيك في فتنه ، وعلى سبيل غوايته وضلالته مالا يحصى عدده من خيار المسلمين ، الذابين عن دين الله والناصرين لحقه ، مجاهدا في عداوة الله ، مجتهدا في أن يعصى الله فلا يطاع ، وتبطل أحكامه فلا تقام ، ويخالف دينه . فلا بد وأن تلو كلمة الضلال وترفع دعوة الباطل ، وكلمة الله هي العليا ، ودينه المنصور ، وحكمه النافذ ، وأمره الغالب وكيد من عاداه وحادّه المغلوب الداحض ؛ حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما تبعها ، وتطرق تلك الدماء وما سفيك بعدها ، وسنّ سنن الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها ، وأباح المحارم لمن ارتكبها ، ومنع الحقوق أهلها ، وغرته الآمال ، واستدرجه الإمهال . وكان مما أوجب الله عليه به اللعنة قتله من قتل صبرا<sup>(٣)</sup> من خيار الصحابة والتابعين ، وأهل الفضل والدين ، مثل عمرو بن الحمق الخزاعي وحجر بن عدي الكندي ، فيمن قتل من أمثالهم ، على أن تكون له العزة والملك والغلبة ، ثم ادّعاؤه زياد ابن سمية أخا ، ونسبته إياه إلى أبيه ، والله تعالى يقول : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾<sup>(٤)</sup> ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ملعون من ادّعى إلى غير أبيه ، أو انتفى إلى غير مواليه » . وقال : « الولد للفراش والمهر للعاهر » ، فخالف حكم الله تعالى ورسوله جهاراً ، وجعل الولد لغير الفراش والمهر لغير العاهر ، فأحلّ بهذه الدعوة من محارم الله ورسوله في أمّ حبيبة أم المؤمنين وفي غيرها من النساء من شعور ووجوه قد

(١) سورة التوبة ٢٢ .

(٢) صبرا ، أي حبساً .

(٣) الرتبة : الواحدة من العرى التي في الجبل .

(٤) سورة الأحزاب ٥ .

حرّمها الله وأثبت بها من قرّبي قد أبعدّها الله ، ما لم يدخل الدّين خللٌ مثله ، ولم ينل الإسلام تبديلاً يشبهه .

ومن ذلك إثاره لخلافة الله على عباده ابنه يزيد السّكّير الخيّر صاحب الدّيكة والفهود والقردة ، وأخذ البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسّطوة والتوعّد والإخافة ، والتهديد والرّهبة ، وهو يعلم سّفهه ، ويطلع على رَهَقِهِ وَخَبَثِهِ ؛ ويُعَيْن سَكَرَاتِهِ وَفَعَلَاتِهِ ، وَغُورِهِ وَكُفْرِهِ . فَلَمَّا تَمَكَّنَ - قَاتِلَهُ اللَّهُ - فَيَا تَمَكَّنَ مِنْهُ ، طَلَبَ بَشَارَاتَ الْمُشْرِكِينَ وَطَوَائِلَهُمْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَوْقَعَ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي وَقْعَةِ الْحَرَمَةِ الْوَقْعَةَ الَّتِي لَمْ يَكُنْ فِي الْإِسْلَامِ أَشْنَعُ مِنْهَا وَلَا أَخْشُ ، فَشَفَى عِنْدَ نَفْسِهِ غَلِيلَهُ ؛ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ انتَقَمَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، وَبَلَغَ النَّارَ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ ؛ فَقَالَ مُجَاهِرًا بِكُفْرِهِ ، وَمُظْهِرًا لِشُرْكَهِ :

لَيْتَ أَشْيَاخِي يَنْذِرُ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَرْجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ<sup>(١)</sup>  
قَوْلٌ<sup>(٢)</sup> مَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ وَلَا إِلَى دِينِهِ وَلَا إِلَى رَسُولِهِ وَلَا إِلَى كِتَابِهِ ، وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ .

ثُمَّ أَغْلَظَ مَا اتَّهَكَ ، وَأَعْظَمَ مَا اجْتَرَمَ ، سَفَكَهُ دَمَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مَعَ مَوْقَعِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَكَانِهِ وَمَنْزِلَتِهِ مِنَ الدِّينِ وَالْفَضْلِ وَالشَّهَادَةِ لَهُ وَلِأَخِيهِ بِسَيَادَةِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؛ اجْتَرَأَ عَلَى اللَّهِ ، وَكُفِرَ بِدِينِهِ ، وَعَدَاوَةَ لِرَسُولِهِ ، وَبِجَاهِرَةٍ لِعِزَّتِهِ ، وَاسْتِهَانَةٍ لِحُرْمَتِهِ ، كَأَنَّمَا يَقْتُلُ مِنْهُ وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ قَوْمًا مِنْ كُفْرَةِ التُّرْكِ

(١) لعبد الله بن الزبير ؛ من كلمته يوم أحد ؛ سيرة ابن هشام ٣ : ٩٦ وبعده في الطبري :

قَدْ قَتَلْنَا الْقَوْمَ مِنْ سَادَاتِكُمْ وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَذَرٍ فَأَعْتَدَلْ  
فَاهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا يَا زَيْدُ لَا تَسَلْ  
لَسْتُ مِنْ خَذِيفٍ إِنْ لَمْ أَنْتَقِمْ مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلْ  
لَعْنَتُ هَاشِمٍ بِالْمَلِكِ فَلَا خَيْرَ جَاءَ وَلَا وَخِي نَزَلْ

(٢) الطبري : هذا هو المروق من الدين وقول من لا يرجع . . . . .

والذي لم ، ولا يخاف من الله نعمة ، ولا يُراقب منه سَطوة ، فتَبَرَّ اللهُ عمره ، أخبثَ أصله وفرعه ، وسلبه ماتحت يده ، وأعدَّ له من عذابه وعقوبته ، ما استحقَّه من الله بمعصيته . هذا إلى ما كان من بنى مروان من تبديل كتاب الله ، وتعطيل أحكام الله ، واتخاذ مال الله بينهم دُولاً ، وهدم بيت الله ، واستحلَّ لهم حرَّمه ، ونصَّبهم الحِجَابَ عليه ، ورَمَّيهم بالنيران إِيَّاه . لا يَأْلُون له إحراقاً وإخراباً ، ولَمَّا حَرَّمَ اللهُ منه استباحة وانهاكا ، ولمن لجأ إليه قَتلاً وتَنكِلاً ، ولمن أَمَنَهُ اللهُ به إخفاقةً وتَشْرِيداً ؛ حتَّى إذا حَقَّتْ عليهم كلمة العذاب ، واستَحَقُّوا من الله الأنتقام ، وملئوا الأرض بالجور والعُدوان ، وعَمَّوا عباد بلاد الله بالظُّلْم والافتسار ، وحلَّتْ عليهم السَّخْطَةُ ، ونزلت بهم من الله السَّطوة ، أتاح اللهُ لهم من عِترةِ نبيِّه وأهل ورائته ، ومن استخلصه منهم خلافته ، مثل ما أتاح من أسلافهم المؤمنين ، وآبائهم المجاهدين ، لأوائلهم الكافرين ، فسَفَكَ اللهُ به دماءهم ودماء آبائهم مرتدِّين ، كما سَفَكَ آبائهم مُشْرِكِينَ ، وقطع اللهُ دابرَ الذين ظلموا والحمدُ لله ربِّ العالمين .

أيُّها الناس ، إن الله إنما أمر ليطاع ، ومثل لِيَتَمَثَّل ، وحكم لِيُفْعَلَ ، قال اللهُ سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقال : ﴿ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

فالعنوا أيُّها الناس مَنْ لعنه اللهُ ورسوله ، وفارقوا من لا تَنَالون القربةَ من الله إلا بمفارقته ؛ اللهم العنْ أبا سُفْيَانَ بنَ حَرْب بنِ أُمَيَّة ، ومعاوية بنَ أَبِي سَفْيَانَ ، ويزيد بنَ معاوية ، ومروان بنَ الحَكَم ، وولده وولدولده ! اللهم العنْ أئمةَ الكفر ، وقادةَ الضلال ، وأعداءَ الدِّين ، ومُجاهديَ الرِّسُول ، ومعطِّي الأحكام ، ومبدئي الكتاب ، ومنتهكي الدِّمِ الحرام ! اللهم إنا نبرأ إليك من مَوَالاةِ أعدائك ، ومن الإغماض لأهل معصيتك ،

كما قلت : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾<sup>(١)</sup>.

أيها الناس، اعرفوا الحق. تعرفوا أهله، وتأملوا سبل الضلالة تعرفوا سبيلها، فقفوا عندما وقفكم الله عليه، وانفذوا كما أمركم الله به، وأمير المؤمنين يستعصم بالله لكم، ويسأله توفيقكم، ويرغب إليه في هدايتكم. والله حسبه، وعليه توكله، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

قلت : هكذا ذكر الطبري الكتاب، وعندى أنه الخطبة، لأن كل ما يخطب به فهو خطبة، وليس بكتاب، والكتاب ما يكتب إلى عامل أو أمير ونحوها، وقد يقرأ الكتاب على المنبر فيكون كأنه خطبة، ولكن ليس بخطبة، ولكنه كتاب قريء على الناس. ولعل هذا الكلام كان قد أنشئ ليكون كتاباً، ويكتب به إلى الأفاق، ويؤمروا بقراءته على الناس، وذلك بعد قراءته على أهل بغداد. والذي يؤكد كونه كتاباً، وينصر ما قاله الطبري، أن في آخره : « كتب عبيد الله بن سليمان في سنة أربع وثمانين ومائتين »، وهذا لا يكون في الخطب، بل في الكتب، ولكن الطبري لم يذكر أنه أمر بأن يكتب إلى الأفاق ولا قال : وقع العزم على ذلك، ولم يذكر إلا وقوع العزم على أن يقرأ في الجوامع ببغداد.

(١) سورة المجادلة ٢٢.

(٢) الطبري حوادث سنة ٢٨٤ بتصرف واختصار.

(٢٨)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا ، وهو من محاسن الكتب :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرُ فِيهِ أَصْطِفَاءِ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ  
لِدِينِهِ ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ لِعَمَلِ أَيْدِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ ؛ فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا ؛  
إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبِلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا ، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا ، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ  
كَنَاقِلِ الثَّمَرِ إِلَى هَجَرَ ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النَّصَالِ .

وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فَلَانٌ وَفُلَانٌ ؛ فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ  
اعْتَرَلَكَ كُلُّهُ ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَمَرُهُ . وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ ، وَالسَّائِسَ  
وَالْمُسُومَ ! وَمَا لِلطُّلُقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلُقَاءِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَرْتِيبِ  
دَرَجَاتِهِمْ ، وَتَعْرِيفِ طَبَقَاتِهِمْ ! هَيْهَاتَ ، لَقَدْ حَنَّ قِدْحُ لَيْسَ مِنْهَا ، وَطَفِقَ بِحُكْمِ  
فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا !

أَلَا تَرَى أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظُلْمِكَ ، وَتَعْرِيفِ قُصُورِ ذَرْعِكَ ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ  
أَخْرَكَ الْقَدَرُ ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ ، وَلَا ظَفَرُ الظَّالِمِ ؛ فَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي التَّيَمِّ ،  
رَوَّاعٌ عَنِ الْقَصْدِ .

أَلَا تَرَى - غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ ؛ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ - أَنَّ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَلِكُلِّ فَضْلٍ ، حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدُنَا  
قِيلَ : سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ  
صَلَاتِهِ عَلَيْهِ !

أَوْ لَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلِّ فَضْلٍ ، حَتَّى إِذَا فُيِلَ  
بِوَاحِدِنَا مَا فُيِلَ بِوَاحِدِهِمْ ، قِيلَ : الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ !  
وَلَوْلَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَرْكِ كَيْفِ الْمَرْءِ نَفْسُهُ ، لَذَكَرَ ذَاكَ فَضَائِلَ جَمَّةٍ ،  
تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ .

فَدَعُ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبَّنَا ، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا ،  
لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا ، وَلَا عَادِي طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا ؛ فَكَفَحْنَا  
وَأَنْكَحْنَا ؛ فِئَلِ الْأَكْفَاءِ وَلَسْتُمْ هُنَاكَ . وَأَنْتَ يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ  
وَمِنْكُمْ الْمُكَذِّبُ ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ ، وَمِنَّا سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ  
الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صَبِيَةُ النَّارِ ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْخَطْبِ ؛ فِي  
كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ !

فَإِسْلَامُنَا مَا قَدْ مُسِمِعَ ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ ، وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَا ،  
وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ <sup>(١)</sup> ،  
وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فَتَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ .  
وَلَمَّا أَحْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ  
فَلَجُّوا عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْتَقَى لَنَا دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ  
فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ .

وَزَعَمْتَ أَنَّ لِكُلِّ الْأَخْلَاقِ حَسَدُ ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغِيْتُ ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ  
كَذَلِكَ فَلَيْسَتْ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ ، فَيَكُونُ الْعُذْرُ إِلَيْكَ .



• وَتِلْكَ شِكَاةُ ظَاهِرٍ عَنْكَ عَارُهَا •

وَقُلْتُ : إِنِّي كُنْتُ أَقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ لِلْخُشُوشِ حَتَّى أَبَاسِعَ ؛ وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ  
أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَنَدَحْتُ ؛ وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ ! وَمَا عَلَى السَّلَامِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي  
أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا مَا لَمْ يَكُنْ شَاكِيًا فِي دِينِهِ ، وَلَا مُرْتَابًا بِبَيْعِهِ !

وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا ، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَمَحَ  
مِنْ ذِكْرِهَا .

ثُمَّ ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُمَانَ ، فَلَمْ أَنْ تَجِبْ عَنْ هَذِهِ  
لِرَحِيكَ مِنْهُ ؛ فَأَيُّمَا كَانَ أَعْدَى لَهُ ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ ! أَمِنْ بَدَلٍ لَهُ نُصْرَتُهُ  
فَأَسْتَفْعِدُّهُ وَأَسْتَكْفُهُ ، أَمِنْ أَسْتَنْصِرُهُ فَتَرَاحَى عَنْهُ وَهَبَّ الْمُنُونِ إِلَيْهِ ؛ حَتَّى أَتَى  
قَدْرُهُ عَلَيْهِ ! كَلَّا وَاللَّهِ لَقَدْ ﴿ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ  
إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ التَّبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) .

وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَدِرَ مِنْ أُنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَانًا ؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ  
إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ ؛ فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

• وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ •

وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَمَا تَوَفَّقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ  
وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .

وَذَكَرْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلَا صَحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ  
اسْتِمْبَارِ ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنْ الْأَعْدَاءِ نَاكِيلِينَ ، وَبِالسَّيْفِ مُحَوِّفِينَ ، وَ

• لَبِثُ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْمُهَيَّجَا حَمَلٌ •

فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ ، وَأَنَا مُرْقِلٌ تَحْوِكَ فِي جَحْفَلٍ  
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ ، سَاطِعٍ  
قَتَامُهُمْ ، مُنْسَرِبِينَ سَرَائِلَ الْمَوْتِ ؛ أَحَبُّ الْإِقْدَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ ، وَقَدْ صَحِبَهُمْ  
ذُرِّيَّةٌ بَذْرِيَّةٌ ، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ ، قَدْ عَرَفَتْ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ  
وَأَهْلِكَ ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ <sup>(١)</sup> .

\*\*\*

الشرح :

[ كتاب معاوية إلى علي ]

سألت النقيبَ أبا جعفر يحيى بن أبي زيد ؛ فقلتُ : أرى هذا الجوابَ مُنطبقاً على  
كتابِ معاوية الذي بعثه مع أبي مُسلم الخولانيّ إلى عليّ عليه السلام ؛ فإن كان هذا هو  
الجوابُ فالجوابُ الذي ذكره أربابُ السيرة وأوردّه نصرُ بنُ مُزاحمٍ في كتابِ صِفِّينَ إذن  
غيرُ صحيح ، وإن كان ذلك الجوابُ ، فهذا الجوابُ إذن غيرُ صحيح ولا ثابت ، فقال لي :  
بل كلاهما ثابت مرئى ، وكلاهما كلامُ أمير المؤمنين عليه السلام وألفاظُهُ ، ثم أمرني أن  
أكتب ما عليه عليّ عليه السلام ، فكتبته ، قال رحمه الله :

كان معاويةُ يتسقط <sup>(٢)</sup> عليّاً وينعى عليه ما عساه يذكّره من حالِ أبي بكرٍ وعمر ،  
وأنهما غصباه حقّه ، ولا يزال بكيدُهُ بالكتابِ يكتبُهُ ، والرسالةُ يبعثُها يطلبُ غرته ؛  
لَتُنْفُثَ بما في صدرِهِ من حالِ أبي بكرٍ وعمر ، إمّا مكتوبةً أو مُراسلةً ، فيجعل ذلك حجةً

(٢) يتسقطه : ينقصه .

(١) سورة هود ٨٣ .

عليه عند أهل الشام ، ويضيفه إلى ما قرره في أنفسهم من ذنوبه كما زعم ، فقد كان غمسه <sup>(١)</sup> عندهم بأنه قتل عثمان ومالاً على قتله ، وأنه قتل طلحة والزبير ، وأمر عائشة ، وأراق دماء أهل البصرة . وبقيت خصلة واحدة ، وهو أن ثبت عندهم أنه يبرأ من أبي بكر وعمر ، وينسبهما إلى الظلم ومخالفة الرسول في أمر الخلافة ، وأنهما وثبأ عليها غلبة ، وغصباه إياها ؛ فكانت هذه الطامة الكبرى ليست مقتصرة على فساد أهل الشام عليه ، بل وأهل العراق الذين هم جنده وبطائنه وأنصاره ؛ لأنهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين ؛ إلا القليل الشاذ من خواص الشيعة ، فلما كتب ذلك الكتاب مع أبي مسلم الخولاني قصد أن يغضب علياً ويخرج به ويحوجه إذا قرأ ذكر أبي بكر ، وأنه أفضل المسلمين ، إلى أن يخلط خطه في الجواب بكلمة تقتضي طعناً في أبي بكر ، فكان الجواب مجتمعا <sup>(٢)</sup> غير بين ، ليس فيه تصريح بالتظلم لهما ، ولا التصريح ببرائتهما ، وتارة يترحم عليهما ، وتارة يقول : أخذنا حتى وقد تركته لهما ، فأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يكتب كتاباً ثانياً مناسباً للكتاب الأول ليستفزاً فيه علياً عليه السلام ويستخفاه ، ويحمله الغضب منه أن يكتب كلاماً يتعلقان به في تقييح حاله وتهجين مذهبه . وقال له عمرو : إن علياً عليه السلام رجل نزيه تياره ، وما استطعت منه الكلام بمثل تقرظ أبي بكر وعمر ، فكتب . فكتب كتاباً أنفذه إليه مع أبي أمانة الباهلي ، وهو من الصحابة ، بعد أن عزم على بيعته مع أبي الدرداء . ونسخة الكتاب : من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب .

أما بعد ، فإن الله تعالى جدّه أصطفى محمداً عليه السلام لرسالته ، واختصّه بوحيه وتأييده شريعته ، فأنقذه به من العماية ، وهدي به من الغواية ، ثم قبضه إليه رشيداً حميداً ، قد بلغ الشّرع ، وبحقّ الشّرك ، وأخذ نار الإفك ، فأحسن الله جزاءه ، وضاعف عليه نعمه وآلاءه . ثم إن الله سبحانه اختص محمداً عليه السلام بأصحاب أيدوه وآزره ونصروه

(٢) مجتمعا : غير واضح .

(١) غمسه : اتهمه .

وكانوا كما قال الله سبحانه لهم : ﴿ أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ فكان أفضلهم مرتبة ، وأعلامهم عند الله والمسلمين منزلة ؛ الخليفة الأول ، الذي جمع الكلمة ، ولم الذعوة ، وقاتل أهل الردة ، ثم الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح ، ومصر الأمصار وأذل رقاب المشركين . ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر الملة ، وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفية . فلما استوثق الإسلام وضرب بجرانه عدوت عليه فبغيتته الغوائل ، ونصبت له المكائد ، وضربت له بطن الأمر وظهره ، ودسست عليه ، وأغرثت به ، وقعدت حيث استنصرتك عن نصره ، وسألت أن تدركه قبل أن يمزق فما أدركته ، وما يوم للمسلمين منك بواحد !

لقد حسدت أبا بكر والتويت عليه ، ورمت إفساد أمره ، وقعدت في بيتك ، واستفويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته ، ثم كرهت خلافة عمر وحسدته واستطلت مدته ، وسررت بقتله ، وأظهرت الشبهة بمصابه ؛ حتى إنك حاولت قتل ولده لأنه قتل قاتل أبيه ، ثم لم تكن أشد منك حسدا لابن عمك عثمان ؛ نشرت مقايحه ، وطويت محاسنه ، وطمنت في فقهه ، ثم في دينه ، ثم في سيرته ، ثم في عقله ؛ وأغرثت به السفهاء من أصحابك وشيعتك ، حتى قتلوه بمحضر منك ، لاتدفع عنه باسان ولايد ؛ وما من هؤلاء إلا من بغيت عليه ، وتلكأت في بيعته ؛ حتى حلت إليه قهراً ، تساق بحزائم الاقتسار كما يساق الفحل الخشوش ، ثم نهضت الآن تطلب الخلافة ، وقتلة عثمان خلاصاً لك وسجراً أولك والحدفون بك ، وتلك من أماني النفوس ، وضلالات الأهواء .

فدع اللجاج والعبث جانباً ، وادفع إلينا قتلة عثمان ، وأعد الأمر شورى بين المسلمين ليتفقوا على من هو لله رضا . فلا بيعة لك في أعناقنا ، ولا طاعة لك علينا ، ولا عتبي لك

عندنا ، وليس لك ولا أصحابك عندي إلا السيف. والذي لا إله إلا هو لأطلين قتلة عثمان  
أين كانوا ، وحيث كانوا ؛ حتى أقتلهم أو تلتحق رُوحى بالله .

فأما ما لا تزال تمنّ به من سايقتك وجهادك فإني وجدتُ الله سبحانه يقول :  
﴿ يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ  
هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup> . ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها  
أشدّ الأنفس امتنانا على الله بعملها ؛ وإذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصدقة ،  
فالامتنان على الله يبطل أجر الجهاد ، ويجعله ﴿ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ  
فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

قال النقيب أبو جعفر : فلما وصل هذا الكتابُ إلى عليّ عليه السلام مع أبي أمانة  
الباهليّ ، كَلَّمَ أبا أمانة بنحوِّ ممّا كَلَّمَ به أبا مُسلم الخولانيّ ، وكتب معه هذا الجواب .  
قال النقيب : وفي كتاب معاوية هذا ذكرُ لفظ الجمل الخشوش أو القحط الخشوش ،  
لا في الكتاب الواصل مع أبي مسلم ، وليس في ذلك هذه اللفظة ، وإتفاقيه : « حسدت الخلقاء  
ونعيت عليهم ، عرفنا ذلك من نظرك الشرّ<sup>(٣)</sup> ، وقولك الهجر<sup>(٤)</sup> » وتنفسك الصعداء ،  
وإبطائك عن الخلقاء » .

قال : وإنما كثيرٌ من الناس لا يعرفون السكتايين ؛ والمشهور عندهم كتابُ أبي مسلم  
فيجعلون هذه اللفظة فيه ، والصحيح أنها في كتاب أبي أمانة ، ألا تراها عادت

(١) سورة الحجرات ١٢ .

(٢) سورة البقرة ٢٦٤ .

(٣) يقال : شرره وإليه : نظر إليه بأحد شقيه ؛ أو هو نظر فيه لإعراض .

(٤) الهجر ( يضم فكون ) : القبيح من الكلام .

في جوابه ولو كانت في كتاب أبي مسلم لعادت في جوابه !  
انتهى كلام النقيب أبي جعفر .

\*\*\*

ونحن الآن مبتدئون في شرح ألفاظ الجواب المذكور .

قوله : « فلقد خبنا لنا الدهر منك عجبا » ، موضع التعجب أن معاوية يخبر عليا عليه السلام باصطفاء الله تعالى محمدا وتثنيته له ، وتأنيده له ؛ وهذا ظريف لأنه يجري كإخبار زيد عمرا عن حال عمرو ، إذ كان النبي صلى الله عليه وآله وعليه السلام كالشيء الواحد . وخبأ مهموز ، والمصدر الخبأ ، ومنه الخباية ، وهي الخبأ . إلا أنهم تركوا همزها ، والخبأ أيضا والخبأ على « فَعِيل » ماخبي .

وبلاء الله تعالى : إنعامه وإحسانه .

وقوله عليه السلام : « كنا قُلُوبُ التَّوَالِي هَجَرَ » ، مثل قديم . وهَجَرَ : اسم مدينة لا ينصرف للتعريف والتأنيث . وقيل : هو اسم مذكر مصروف ، وأصل المثل « كَسْتَبْضِعَ تَمْرًا إِلَى هَجَرَ <sup>(١)</sup> » ، والنسبة إليه هاجري على غير قياس ، وهي بلدة كثيرة النخل تحمل منها التمر إلى غيرها ، قال الشاعر في هذا المعنى :

أَهْدَى لَهُ طُرْفَ الْكَلَامِ كَمَا يَهْدَى لِي إِلَى الْبَصْرَةِ التَّمْرُ

قوله : « وداعى مسدده إلى النضال » ، أى معلمه الرمي ، وهذا إشارة إلى قول القائل الأول :

(١) جمع الأمثال ٢ : ١٥٢ ؛ قال أبو عبيد : هذا من الأمثال المبثثة ومن قديمها ؛ وذلك أن هجر ممن التمر ؛ والمستبضع إليه غطى ؛ ويقال أيضا : كستبضع التمر إلى خير ؛ قال النابغة الجعدي :  
وإن امرأ أهدى إليك قصيدة كستبضع تمرًا إلى أرض خيرًا

أَعْلَمَهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رِمَانِي<sup>(١)</sup>  
هكذا الرواية الصحيحة بالسین المهملة ، أى استقام ساعده على الرمي ، وسدّدت  
فلانا : علته النّضال ، وسهم سديد : مُصيب ، ورمح سديد ، أى قل أن تخطئه  
طعنته ، وقد ظرّف القاضي الأرجاني في قوله لسديد الدولة محمد بن عبد الكريم  
الأنباري كاتب الإنشاء :

إلى الذي نَصَبَ المكارمَ للورى غَرَضًا يُلَوِّحُ من المدى المتباعدِ  
نَثَلَ الأمثالِ من كُنَانِهِ فَمَا وَجَدَتْ يَدَاهُ سِوَى سَدِيدٍ وَاحِدٍ  
ومن الأمثال في هذا المعنى : « تَمَنَّ كَلْبُكَ يَا كَلْبُكَ »<sup>(٢)</sup> ، ومنها : « أَحْشَكَ  
وَتَرَوْتُنِي ! »<sup>(٣)</sup> .

قوله عليه السلام : « وزعت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان » ، أى  
أبو بكر وعمر .

قوله عليه السلام : « فذكرت أمرا إن تمّ اعتزلت كله » ، وإن نقص لم يلحقك  
كله » ، من هذا المعنى قول الفرزدق لجريز ، وقد كان جريز في مهاجته إياه يفخر عليه  
بقيس عيلان ، فقد كانت لجريز في قيس خوولة ، يعيره بأيامهم على بني تميم ، فلما قتل  
بنو تميم قتيبة بن مسلم الباهلي بخراسان قال الفرزدق يفتخِر :  
أَتَانِي وَأَهْلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَعَةً لَّالَ تَمِيمٍ أَقْعَدْتُ كُلَّ قَائِمٍ<sup>(٤)</sup>

(١) استدّ : استقام ؛ والبيت ينسب إلى معن بن أوس ، أو مالك بن فهم الأزدي ، أو عقبل بن  
علقمة ؛ وبعده :

فَلَا ظَفِرَتْ يَمِينُكَ حِينَ تَرْمِي وَشَلَّتْ مِنْكَ حَامِلَةُ الْبَنَانِ

وانظر اللسان ٤ : ١٩١ .

(٢) بجمع الأمثال ١ : ٣٣٣ ؛ قالوا : أول من قال ذلك حازم بن المنذر .

(٣) بجمع الأمثال ١ : ٢٠٠ ؛ أراد : تردت على .

(٤) ديوانه ٨٥٣ .



كَانَ رُءُوسُ النَّاسِ إِذْ سَمِعُوا بِهَا      مُشَدَّخَةً هَامَاتِهَا بِالْأَمَامِ  
وَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُوْتِ سَمْعًا وَطَاعَةً      وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرِ جَزْءِ الْخَلَاقِمِ  
ثُمَّ خَرَجَ إِلَى خِطَابِ جَرِيرٍ بَعْدَ آيَاتٍ تَرَكْنَا ذِكْرَهَا ، فَقَالَ :  
أَتَغْضَبُ إِنْ أَذْنَا قُتِيْبَةً جُزْنًا      جَهَارًا وَلَمْ تَغْضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ حَازِمٍ !  
وَمَا مِنْهَا إِلَّا نَقَلْنَا دِمَاعَهُ      إِلَى الشَّامِ فَوْقَ الشَّاحِجَاتِ الرُّوَاسِ  
تَذْبُذِبُ فِي الْخَلَاةِ تَحْتَ بُطُونِهَا      مَحْدَقَةُ الْأَذْنَابِ جُلُحُ الْمَقَادِمِ  
وَمَا أَنْتَ مِنْ قَيْسٍ فَتَنْبِجُ دُونَهَا      وَلَا مِنْ تَمِيمٍ فِي الرُّءُوسِ الْأَعَاضِمِ  
تَخَوُّ قُنُسًا أَيَّامَ قَيْسٍ وَلَمْ تَدَّعْ      لَعِيْلَانَ أَنْفًا مُسْتَقِيمَ الْخِيَاثِمِ  
لَقَدْ شَهِدْتُ قَيْسٌ فَمَا كَانَ نَصْرُهَا      قُتِيْبَةً إِلَّا عَضَّهَا بِالْأَبَاهِمِ

فَقَوْلُهُ :

\* وَمَا أَنْتَ مِنْ قَيْسٍ فَتَنْبِجُ دُونَهَا \*

هُوَ مَعْنَى قَوْلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَعَاوِيَةَ : « فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كَلَهُ » ،  
وَابْنُ حَازِمٍ الْمَذْكُورُ فِي الشُّعْرِ هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَازِمٍ ، مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، وَسُلَيْمٌ مِنْ قَيْسِ  
عِيْلَانَ ، وَقَتْلُهُ تَمِيمٌ أَيْضًا ، وَكَانَ وَالِيَّ خُرَّاسَانَ .

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ » ، الرَّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ بِالرَّفْعِ ،  
وَقَدْ رَوَاهَا قَوْمٌ بِالنَّصْبِ ، فَمَنْ رَفَعَ احْتَجَّ بِقَوْلِهِ : وَمَا أَنْتَ وَبَيْتُ أَيْبِكَ وَالْفَخْرُ .

وَبِقَوْلِهِ :

\* فَمَا الْقَيْسِيُّ بِعَدِّكَ وَالْفَخْرُ \*

وَمَنْ نَصَبَ فَعَلِي تَأْوِيلُ « مَا لَكَ وَالْفَاضِلَ » ، وَفِي ذَلِكَ مَعْنَى الْفِعْلِ ، أَيْ مَا تَصْنَعُ ، لِأَنَّ

هذا الباب لا بد أن يتضمن الكلام فيه فعلاً ، أو معنى فعلٍ ، وأنشدوا :  
 \* فما أنتَ والتَّيْرُ في مَثَلٍ <sup>(١)</sup> .

والرفع عند النحويين أولى .

ثم قال : « وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز » . التنصب هاهنا لا غير ، لأجل اللام في الطلقاء .

ثم قال عليه السلام بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم ، وتعريف طبقاتهم ، هذا الكلام ينقض ما يقول من يطعن في السلف ، فإن أمير المؤمنين عليه السلام أنكر على معاوية تمرّضه بالمفاضلة بين أعلام المهاجرين ، ولم يذكر معاوية إلا بالمفاضلة بينه عليه السلام وبين أبي بكر وعمر ، فشهادة أمير المؤمنين عليه السلام بأنهما من المهاجرين الأولين ومن ذوى الدرجات والطبقات التي اشتبه الحال بينهما وبينه عليه السلام في أي الرجال منهم أفضل ، وأن قدّر معاوية يصغر أن يدخل نفسه في مثل ذلك شهادة قاطعة على علوّ شأنهما ، وعظم منزلتهما .

قوله عليه السلام : « هيهات ، لقد حنّ قدحٌ ليس منها » هذا مثلٌ يضرب لمن يدخل نفسه بين قوم ليس له أن يدخل بينهم ؛ وأصله القداح من عودٍ واحد يجعل فيها قدح من غير ذلك الخشب ، فيصوت بينها إذا أرادها المفيض ، فذلك الصوت هو حينئذ .

قوله « وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها » ، أي وطفق يحكم في هذه القصة

(١) لأسامة بن الحارث المدني ؛ وبقيته :

\* يُعَبَّرُ بِالذِّكْرِ الضَّابِطِ \*

أو في هذه القضية مَنْ يجب أن يكون الحكم لها عليه لا له فيها ؛ ويجوز أن يكون الضمير يرجع إلى الطبقات .

ثم قال : « ألا ترَبَعَ أيها الإنسان على ظنك ! » أي ألا ترَفُق بنفسك وتَكُف ، ولا تحمِل عليها مالا تطيقه ، والظَّلَع : مَصْدَرُ ظَلَعَ البعيرُ بظَّلَعَ أي غمز في مشيه .  
قوله : « وتعرف قصورَ ذرعك » ، أصل الذرع بَسَطُ اليد ؛ يقال : ضِقتُ به ذرعاً : أي ضاق ذرعى به . فنقلوا الاسم من الفاعلية لفعولوه منصوباً على التمييز ؛ كقولهم : طبت به نفساً .

قوله : « وتتاخر حيث أخرجك القدر » ، مثل قولك : ضع نفسك حيث وضعها الله ؛ يقال ذلك لمن يرفع نفسه فوق استحقاقه .  
ثم قال : « فما عليك غلبة المغلوب ، ولا عليك ظفرُ الظافر » ، يقول : وما الذي أدخلك بيني وبين أبي بكر وحمزة ، وأنت من بني أمية ، لست هاشمياً ولا تيمياً ولا عدوياً هذا فيما يرجع إلى أنسابنا ، ولست مهاجراً ولا ذا قدم في الإسلام قزاحم المهاجرين وأرباب السوابق بأعمالك واجتهادك ، فإذاً لا يضرك غلبة الغالب منا ولا يسرك ظفر الظافر . ويروى أن مروان بن الحكم كان يُنشد يوم مَرَج راحط والروس تُندَر عن كواهلها بينه وبين الضحاك بن قيس الفهري :

وما ضرهم غيرُ حَيْنِ النفوس أي غَلَامَى قُرَيْشٍ غَابَ

قوله عليه السلام : « وإنا لك لذهاب في التيه » ، رواه عن القصد ، يحتمل قوله عليه السلام في التيه معنيين : أحدهما بمعنى الكبر ، والآخر التيه من قولك : تاه فلان في البیداء ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ <sup>(١)</sup> ؛ وهذا الثاني أحسن

يقول : إنَّكَ شديد الإيغال في الضلال . و « ذهاب » فعَّال ؛ للتكثير ، ويقال : أرض متيبة ، مثل معيشة ، أى يتأه فيها .

قال عايه السلام : « رَوَّاعٌ عَنِ الْقَصْدِ » ، أى تترك ما يلزمك فعله وتعذر عما يجب عليك أن تجيب عنه إلى حديث الصحابة ، وما جرى بعد موت النبي صلى الله عليه وآله ، ونحن إلى الكلام في غير هذا أحوج إلى الكلام في البيعة وحَقُّ الدِّماءِ والدخول تحت طاعة الإمام .

ثم قال : « أَلَا تَرَى غَيْرَ خَيْرٍ لَكَ ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَحْدَثُ » ، أى لست عندى أهلاً لأن أخبرك بذلك أيضاً ، فإنَّكَ تعلمه ، ومن يعلم الشيء لا يجوز أن يُخبر به ؛ ولكن أذكرُ ذلك لأنَّه تحدَّثَ بنعمة الله علينا ، وقد أمرنا بأن نحدَّثَ بنعمته سبحانه .

قوله عايه السلام : « إِنَّ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ، المراد هاهنا ، سيِّد الشهداء حمزة رضى الله عنه ، وينبغى أن يُحمَلَ قولُ النبي صلى الله عليه وآله فيه إنَّه سيِّد الشهداء على أنَّه سيِّد الشهداء في حياة النبي صلى الله عليه وآله ؛ لأنَّ علياً عليه السلام مات شهيداً ؛ ولا يجوز أن يقال : حمزة سيِّده ، بل هو سيِّد المسلمين كلِّهم ، ولا خلاف بين أصحابنا رحمهم الله أنَّه أفضل من حمزة وجعفر رضى الله عنهما ، وقد تقدَّم ذكر التكبير الذى كبره رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة في قصة أحد .

قوله عليه السلام : « وَلِكُلِّ فَضْلٍ » ، أى ولكل واحد من هؤلاء فضل لا يُحدَّد . قوله : « أَوَلَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا قَطَعَتْ أَيْدِيَهُمْ » ، هذا إشارة إلى جعفر ؛ وقد تقدَّم ذلك في قصة مؤتة .

قوله : « وَلَوْلَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ » ، هذا إشارة إلى نفسه عليه السلام .

قوله : « ولا تعجبها آذان السامعين » أى لا تقذفها ، يقال : مَجَّ الرجل من فيه ، أى قذفه .  
قوله عليه السلام « فدع عنك من مالت به الرمية » ، يقال للصيد : يرمى هذه الرمية ،  
وهى « فميلة » بمعنى مفعولة ، والأصل فى مثلها ألا تلتحقها الهاء ، نحو كفت خضيب ، وعين  
كحيل ، إلا أنهم أجروها مجرى الأسماء لا النعوت ، كالتقصيدة والقطيعة .

والمعنى : دَعَّ ذكر من مال إلى الدنيا ومالت به ، أى أمالته إليها .

فإن قلت : فهل هذا إشارة إلى أبى بكر وعمر ؟ قلت : ينبغى أن ينزه أمير المؤمنين  
عليه السلام عن ذلك ، وأن تُصرف هذه الكلمة إلى عثمان ، لأن معاوية ذكره فى  
كتابه وقد أوردناه ، وإذا أنصف الإنسان من نفسه علم أنه عليه السلام لم يكن يذكرها  
بما يذكر به عثمان ، فإن الحال بينه وبين عثمان كانت مضطربة جدا .

قال عليه السلام : « فإن صنائع ربنا ، والناس بعد صنائع لنا » ، هذا كلام عظيم ، عالٍ  
على الكلام ، ومعناه عالٍ على المعانى ، وصنيفة الملك من يصطنعه الملك ويرفع قدره .  
يقول : ليس لأحد من البشر علينا نعمة ، بل الله تعالى هو الذى أنعم علينا ، فليس بيننا  
وبينه واسطة ، والناس بأمرهم صنائعنا ؛ فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى ،  
وهذا مقامٌ جليل ظاهره ما سمعت ، وباطنه أنهم عبيدُ الله ، وأن الناس عبيدهم .

ثم قال : « لم يمنعنا قديم عزنا ، وعادى طولنا » ؛ الطول : الفضل . وعادى أى قديم ،  
بئرٌ عادية .

قوله : « على قومك أن خلطناهم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ، ولستم  
هناك » ؛ يقول : تزوجنا فيكم وتزوجتم فينا كما يفعل الأكفاء ، ولستم أكفاءنا . وينبغى  
أن يحمل قوله : « قديم وعادى » على تجارزه لاعلى حقيقته ، لأن بنى هاشم وبنى أمية لم  
يفترقا فى الشرف إلا منذ نشأ هاشم بن عبد مناف وعرف بأفعاله ومكارمه ، ونشأ حينئذ  
أخوه عبد شمس وعرف بمثل ذلك ، وصار لهذا بنون ولهذا بنون ، وادعى كل من الفريقين

أنه أشرف بالفعال من الآخر ، ثم لم تكن المدة بين نشء هاشم وإظهار محمد صلى الله عليه وآله الدعوة إلا نحو تسعين سنة ، ومثل هذه المدة القصيرة لا يقال فيها : « قديمٌ عزنا وعادى طولنا » ، فيجب أن يحمل اللفظ على مجازة ، لأن الأفعال الجميلة كما تكون عادة بطول المدة تكون بكثرة المناقب والمآثر والمفاخر ، وإن كانت المدة قصيرة . ولقطة قديم ترد ولا يراد بها قديم الزمان ، بل من قولهم : لفلان قدم صدق وقديم أثر ، أى سابقة حسنة .

\*\*\*

### [ مناكحات بنى هاشم وبنى عبد شمس ]

وينبغي أن نذكر ها هنا مناكحات بنى هاشم وبنى عبد شمس . تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته رقية وأم كلثوم من عثمان بن عفان بن أبي العاص ، وزوج ابنته زينب من أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس فى الجاهلية ، وتزوج أبو لهب بن عبد المطلب أم جميل بنت حرب بن أمية فى الجاهلية ، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وآله أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، وتزوج عبد الله بن عمرو بن عثمان فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام .

وروى شيخنا أبو عثمان عن إسحاق بن عيسى بن على بن عبد الله بن العباس قال : قلتُ للنصور أبى جعفر : مَنْ أ كفاؤنا ؟ فقال : أعداؤنا ، قلت : مَنْ هُمْ ؟ فقال : بنو أمية .

وقال إسحاق بن سليمان بن على : قلتُ للعباس بن محمد : إذا اتسعنا من البنات ، وضيقنا من البنين ، وخفنا بوار الأيامى فإلى مَنْ نُخرجُهنَّ من قبائل قريش ؟ فأنشدنى :  
عبدُ شمسٍ كان يثلكو هاشمًا      وهما بعدُ لأمٍ ولأبٍ

فَعَرَفْتُ مَا أَرَادَ وَسَكَّتُ .

وَرَوَى أَيُّوبُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : سَأَلْتُ الرَّشِيدَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَنَى عَبْدَ شَمْسٍ فَأَحَدَ صِهْرِهِمْ ، وَقَالَ : « مَا ذَكَمْنَا مِنْ صِهْرِنَا فَإِنَّا لَا نَذُمُ صِهْرَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ » .

قَالَ شَيْخُنَا أَبُو عُمَانَ : وَلَمَّا مَاتَ الْإِبْنَانِ تَحْتَ عُثْمَانَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَصْحَابِهِ : « مَا تَنْتَظِرُونَ بَعْمَانَ ، أَلَا أَبُو أَيْمٍ ، أَلَا أَخُو أَيْمٍ ؛ زَوْجَتُهُ ابْنَتَيْنِ ، وَلَوْ أَنَّ عِنْدِي ثَلَاثَةٌ لَفَعَلْتُ » . قَالَ : وَلِذَلِكَ سُمِّيَ ذَا الثُّورَيْنِ .

\*\*\*

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ ! » ، أَيْ كَيْفَ يَكُونُ شَرْفُكُمْ كَشَرَفِنَا ، وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمْ الْمَكْذُوبُ - يَعْنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، كَانَ عَدُوَّ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمَكْذُوبَ لَهُ وَالْمُجْلَبَ عَلَيْهِ - وَهُؤُلَاءِ ثَلَاثَةٌ : يَزَاءُ أَبُو سُفْيَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَمَعَاوِيَةُ يُزَاءُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيَزِيدُ يُزَاءُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ مَا لَا تَبْرَكَ عَلَيْهِ الْإِبِلُ .

قَالَ : « وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ » ، يَعْنِي حَمْزَةً ، « وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ » ، يَعْنِي عُتْبَةَ ابْنَ رَبِيعَةَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُ ذَلِكَ فِي قِصَّةِ بَدْرٍ .

وَقَالَ الرَّائِدِيُّ : الْمَكْذُوبُ مَنْ كَانَ يَكْذِبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنَادًا مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَسَدُ الْأَحْلَافِ : أَسَدُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى ، قَالَ : لِأَنَّ بَنِي أَسَدَ بْنَ عَبْدِ الْعُزَّى كَانُوا أَحَدَ الْبَطُونِ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا فِي حِطْفِ الْمَطِيِّينَ ، وَهُمْ بَنُو أَسَدَ بْنَ عَبْدِ الْعُزَّى وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ ، وَبَنُو تَمِيمٍ بْنِ مَرْثَةَ ، وَبَنُو زَهْرَةَ ، وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ فَهْرٍ . وَهَذَا كَلَامٌ طَرِيفٌ جِدًّا ، لِأَنَّهُ لَمْ يَلْحَظْ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَجْعَلَ يَزَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَكْذُوبٌ



من بنى عبد شمس ، فقال : المكذّب من كذّب النبي صلى الله عليه وآله من قريش عنادا ، وليس كل من كذّبه عليه السلام من قريش يُعَيَّر معاوية به . ثم قال : أسد الأحلاف أسد بن عبد العزى ؛ وأى عار يلزم معاوية من ذلك ، ثم إن بنى عبد مناف كانوا في هذا الحلاف وعلى ومعاوية من بنى عبد مناف ، ولكن الراوندى يظلم نفسه بتعريضه لما لا يعلمه .

قوله : « ومنا سيد شباب أهل الجنة » ، يعنى حسنا وحسنا عليهما السلام ، « ومنكم صبية النار » ، هى الكلمة التى قالها النبي صلى الله عليه وآله لعقبة بن أبى معيط حين قتله صبرا يوم بدر ، وقد قال كالمستعطف له عليه السلام : من للصبية يا محمد ؟ قال : النار . وعقبة بن أبى معيط من بنى عبد شمس . ولم يعلم الراوندى ما المراد بهذه الكلمة ، فقال : صبية النار أولاد مروان بن الحكم الذين صاروا من أهل النار عند البلوغ ، ولما أخبر النبي صلى الله عليه وآله عنهم بهذه الكلمة كانوا صبية ، ثم ترعرعوا واختاروا الكفر ، ولا شبهة أن الراوندى قد كان يفسر من خاطره ما خطر له .

قال : قوله عليه السلام : « ومنا خير نساء العالمين » ، يعنى فاطمة عليها السلام ، نص رسول الله صلى الله عليه وآله على ذلك ؛ لا خلاف فيه .

« ومنكم حمالة الخطب » ، هى أم جميل بنت حرب بن أمية ، امرأة أبى لهب الذى ورد نص القرآن فيها بما ورد .

قوله : « فى كثير مما لنا وعليكم » ، أى أنا قادر على أن أذكر من هذا شيئا كثيرا ، ولكنى أكتفى بما ذكرت .

فإن قلت : فبماذا يتعلّق « فى » فى قوله « فى كثير » ؟ قلت : بمحذوف تقديره : هذا الكلام داخل فى جملة كلام كثير تتضمن ما لنا وعليكم .

قوله عليه السلام : « فإسلامنا ما قد سمع ، وجاهليتنا لا تدفع » ، كلام قد تعلق به

بعض من يتعصب للأُموية . وقال : لو كانت جاهلية بني هاشم في الشرف كالإسلامهم  
لعدّ من جاهليّتهم حسب ما عدّ من فضيلتهم في الإسلام .

\*\*\*

### [ فضل بني هاشم على بني عبد شمس ]

وينبغي أن نذكر في هذا الموضع فضل هاشم على عبد شمس في الجاهلية ، وقد يمتزج  
بذلك بعض ما يمتازون به في الإسلام أيضا ، فإن استقصاءه في الإسلام كثير ، لأنه لا يمكن  
جحد ذلك ، وكيف والإسلام كله عبارة عن محمد صلى الله عليه وآله ، وهو هاشمي !  
ويدخل في ضمن ذلك ما يحتاج به الأموية أيضا ، فنقول : إن شيخنا أبا عثمان قال : إن  
أشرف خصال قريش في الجاهلية اللّواء ، والندوة ، والسّقاية ، والرفادة ، وزمزم ، والحجّابة  
وهذه الخصال مقسومة في الجاهلية لبني هاشم وعبد الدار وعبد المطلب دون بني عبد شمس .  
قال : على أن معظم ذلك صار شرفه في الإسلام إلى بني هاشم ، لأن النبي صلى الله عليه  
وآله لما ملك مكة صار مفتاح الكعبة بيده ، فدفعه إلى عثمان بن طلحة ، فالشرف راجع  
إلى من ملك المفتاح ، لا إلى من دفع إليه ، وكذلك دفع صلى الله عليه وآله اللّواء إلى  
مصعب بن عمير فالذي دفع اللّواء إليه وأخذهُ مصعب من يديه أحق بشرفه وأولى بمجده  
وشرفه راجع إلى رهطه من بني هاشم .

قال : وكان محمد بن عيسى الخزومي أميراً على اليمن ، فجهّاه أبي بن مُدْج فقال :

قل لابن عيسى المستغنى      ش من الشهوة بالوعورة  
الناطق القوراء في      جلّ الأمور بلا بصيرة  
ولّد المغيرة تسعة      كانوا صنّاديد العشرة<sup>(١)</sup>

وأبوكَ عَاشِرهم كما نبتت مع النخل الشجرة

إن النبوة والخلافة والسقاية والمشورة

في غيركم فاكفئ إلي لك بدأ مجذمة قصيرة

قال : فأبرئ له شاعرٌ من وَلَدِ كُرَيْزِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، كان مع محمد بن

عبس باليمن يهجو عنه ابن مدلج في كلمة له طويلة ، قال فيها :

لا لوالدٍ يُعَدُّ يا ابنَ كُرَيْزٍ لا ولا رفدٍ يتتبعه ذى السناء

لا حجابٌ وليس فيكم سوى الكُبرِ وبُغضِ النبيّ والشهداء

بين حاكٍ ومُخْلاجٍ وطريدٍ وقتيلٍ يلغنه أهلُ السماء

ولهم زمرٌ كذلك وجريدٍ لُ ونجدُ السقاية الغراء

قال شيخنا أبو عثمان : فالشهداء على حمزة ، وجعفر ، والحاكي والمُخْلاج هو الحكم

ابن أبي العاص ، كان يحكي مشية رسول الله صلى الله عليه وآله ، فالتفت يوما فرآه ،

فدعا عليه ، فلم يزل مُخْلاج المشية عقوبةً من الله تعالى <sup>(١)</sup> . والطريد اثنان : الحكم بن

أبي العاص ، ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وهما جدّا عبد الملك بن مروان من

قبل أمه وأبيه .

وكان النبي صلى الله عليه وآله طرد معاوية بن المغيرة هذا من المدينة وأجله ثلاثا

فحذره الله ، ولم يزل يتردد في ضلاله حتى بعث في أثره عليا عليه السلام وعمارا فقتلاه .

فأما القتلى فكثير ، نحو سببة وعقبة ابني ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وحنظلة بن أبي سفيان

وعقبة بن أبي معيط ، والعاص بن سعيد بن أمية ، ومعاوية بن المغيرة ، وغيرهم .

قال أبو عثمان : وكان اسم هاشم عمرا ، وهاشم لقب ، وكان أيضا يقال له القمر ،

وفي ذلك يقول مطرود الخزاعي :

(١) كذا في الأصول ، وفي نهاية ابن الأثير : « كان يجلس خلف النبي عليه السلام ، فإذا تكلم اختلج بوجهه ، فرآه فقال له : كُنْ كذلك ، فلم يزل يختلج حتى مات . أي يحرك شفاهه وذقنه استهزاء وحكاية لفعل النبي عليه السلام » .

إلى القمر الساري المنير دعوته ومطعمهم في الأزل من قمع الجزر<sup>(١)</sup>  
قال : ذلك في شيء كان بينه وبين بعض قريش ، فدعاه مطرود إلى المحاكمة إلى  
هاشم ، وقال ابن الزبمرى :

كانت قريش بيضة فتفلقت فالح خالصه لعبد مناف  
الرائشون وليس يوجد رائش والقائلون هلم للأضياف  
عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف<sup>(٢)</sup>  
فعم كما ترى أهل مكة بالأزل والعجف ، وجعله الذي هشم لهم الخبز ثريداً ،  
فقلب هذا اللقب على اسمه حتى صار لا يعرف إلا به ، وليس لعبد شمس لقب كريم ،  
ولا اشتق له من صالح أعماله اسم شريف ، ولم يكن لعبد شمس ابن يأخذ بضبعه ،  
ويرفع من قدره ، وبزيد في ذكره ، ولهاشم عبد المطلب سيد الوادي غير مدافع ،  
أجل الناس جالا ، وأظهرهم جودا ، وأكلهم كالا ، وهو صاحب الفيل ، والطير  
الأيائل ، وصاحب زمزم ، وساقى الحجيج . وولد عبد شمس أمية بن عبد شمس وأمية  
في نفسه ليس هناك ، وإنما ذكر بأولاده ولا لقب له ، ولعبد المطلب لقب شهيد واسم  
شريف : شيبة الحمد ، قال مطرود الخزاعي في مدحه :

يا شيبة الحمد الذي تدنى له أيامه من خير دخر الذاخر  
الحمد ما حجت قريش بينه ودعا هذيل فوق غصن ناضر  
والله لا أنساكم وفعالكُم حتى أغيب في سفاة القابر  
وقال حذافة بن غانم العدوي وهو يمدح أبا لهب ، ويوصي ابنه خارجة بن حذافة  
بالإتناء إلى بني هاشم :

أخرج إنا أهليكن فلا تزل لهم شاكرا حتى تغيب في القير

(١) القمع بالتحريك : جمع قمة ، وهي أعلى السنام والجزر (بضمين) وسكن هنا للشعر : جم  
جزور ، وهي الناقة .  
(٢) في البيت إقواء .

بني شعبة الحمد الكريم فعاله      بضئ ظلام الليل كالقمر البدر  
لساقى الحجيج ثم للشيخ هاشم      وعبد مناف ذلك السيد الفخر  
أبو عتبة الملقى إلى جواره      أغر هجان اللون من نقر غر  
أبوكم قصي كان يدعى مجما      به جمع الله القبائل من فهر  
فأبو عتبة هو أبو لهب ، عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم ، وأبناء  
عتبة وعتيبة .

وقال العبدى حين احتفل فى الجاهلية فلم يترك :  
لا ترى فى الناس حياً مثلنا      ما خلا أولاد عبد المطلب  
وإنما شرف عبد شمس بأبيه عبد مناف بن قصي وبني أبنه أمية بن عبد شمس ،  
وهاشم شرف بنفسه وبأبيه عبد مناف ، وبأبنه عبد المطلب ، والأمر فى هذا بين ، وهو  
كما أوضحه الشاعر فى قوله :

إنما عبد مناف جوهر      زين الجوهر عبد المطلب

قال أبو عثمان : ولنا نقول : إن عبد شمس لم يكن شريفاً فى نفسه ، ولكن الشرف  
يتفاضل ، وقد أعطى الله عبد المطلب فى زمانه ، وأجرى على يديه ، وأظهر من كرامته  
مالا يعرف مثله إلا لنبي مرسل ، وإن فى كلامه لأبرهة صاحب الفيل وتوعده بإياه رب  
الكعبة وتحقيق قوله من الله تعالى ونصرة وعيده بحبس الفيل ، وقتل أصحابه بالطير الأبايل  
وحجارة السجيل حتى تركوا كالمصف الماء كقول - لأعجب البرهانات ، وأسنى الكرامات ،  
وإنما كان ذلك إرهاب النبوة النبي صلى الله عليه وآله ، وتأسيس الما يريد الله به من الكرامة ،  
وليجعل ذلك البهاء متقدماً له ، ومردوداً عليه ، وليكون أشهر فى الآفاق ، وأجل فى  
صدور القرائنة والجبارة والأكاسرة ، وأجدر أن يقهر المعاند ، ويكشف غباوة  
الجاهل . وبعد ، فمن يناهض ويأصل رجلاً ولدوا محمداً صلى الله عليه وآله ، ولو عزلنا

مأ كرمه الله به من النبوة حتى تقتصر على أخلاقه ومذاهبه وشيمه لما وفي به بشر ، ولا عدله شيء ، ولو شئنا أن نذكر ما أعطى الله به عبد المطلب من تفجير العيون وبنابيع الماء من تحت كذلك بعيره وأخفافه بالأرض القسي<sup>(١)</sup> ، وبما أعطى من المساهمة وعند المقارعة من الأمور العجيبة ، والخصال البائنة ، لقننا ، ولكننا أحيينا ألا نحتج عليكم إلا بالموجود في القرآن الحكيم ، والمشهور في الشعر القديم ، الظاهر على السنة الخاصة والعامة ورواة الأخبار وتحال الآثار .

قال : ومما هو مذكور في القرآن عدا حديث القيل قوله تعالى : ﴿ لا يلاف قريش ﴾ ، وقد اجتمعت الرواة على أن أول من أخذ الإيلاف قريش هاشم بن عبد مناف ، فلما مات قام أخوه المطلب مقامه ، فلما مات قام عبد شمس مقامه ، فلما مات قام نوفل مقامه - وكان أصغرهم . والإيلاف ، هو أن هاشما كان رجلا كثير السفر والتجارة ، فكان يسافر في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام ، وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن والشام ، نحو العبالة باليمن ، واليكسوم من بلاد الحبشة ، ونحو ملوك الروم بالشام ، فجعل لهم معه رنحا فيما يرج ، وساق لهم إبلا مع إبله ، فكفاهم مؤونة الأسفار ، على أن يكفوه مؤونة الأعداء في طريقه ومنصرفه ، فكان في ذلك صلاح عام للفريقين ، وكان المقيم راجعا ، والمسافر محفوظا ؛ فأخصبت قريش بذلك ، وجمعت معه أموالها ، وأتاهها الخير من البلاد السافلة والعالية ، وحسنت حالها ، وطاب عيشها . قال : وقد ذكر حديث الإيلاف الحارث بن الحنشل السلمي ، وهو خال هاشم والمطلب وعبد شمس ، فقال :

إِنَّ أَخِي هَاشِمًا لَيْسَ أَخًا وَاحِدًا

الْأَخِذَ الْإِيْلَافَ وَالْقَائِمَ لِلْقَاعِدِ

قال أبو عثمان : وقيل : إِنَّ تَفْسِيرَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَمْسَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ هُوَ

خَوْفٌ مِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْإِخْوَةَ يَمْرَوْنَ بِهِ مِنَ الْقِبَائِلِ وَالْأَعْدَاءِ وَهُمْ مُفْتَرِبُونَ وَمَعَهُمْ

(١) الأرض القسي : التي لا تنبت نباتا .

الأموال ؛ وهذا ما فسرنا به الإيلاف آنفا ؛ وقد فسرهم قومٌ بغير ذلك ، قالوا : إن هاشما جعل على رؤساء القبائل ضرائب يؤدونها إليه ليحمي بها أهل مكة ، فإن ذؤبان العرب وصعاليك الأحياء وأصحاب الفارات وطُلاب الطوائل كانوا لا يؤمنون على الحرم ، لا سيما وناس من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة ، ولا للشهر الحرام قدرا ، مثل طيء وخثعم وقضاعة وبعض بكتحارث بن كعب ، وكيفما كان الإيلاف فإن هاشما كان القائم به دون غيره من إخوته .

\*\*\*

قال أبو عثمان : ثم حلف الفضول وجلالته وعظمته ، وهو أشرفُ حلف كان في العرب كلها ، وأكرمُ عقد عقدته قريش في قديمها وحديثها قبل الإسلام لم يكن لبنى عبد شمس فيه نصيب . قال النبي صلى الله عليه وآله - وهو يذكر حلف الفضول - : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دُعيتُ إلى مثله في الإسلام لأجبت » . ويكنى في جلالته وشرفه أن رسول الله صلى الله عليه وآله شهده وهو غلام ، وكان عتبة بن ربيعة يقول : لو أن رجلا خرج مما عليه قومه لداخلتُ في حلف الفضول ، لما أرى من كماله وشرفه ، ولما أعلم من قدره وفضيلته .

قال : ولفضل ذلك الحلف وفضيلة أهله سمي حلف الفضول ، وسميت تلك القبائل الفضول ، فكان هذا الحلف في بني هاشم ، وبني المطلب ، وبني أسد بن عبد العزى وبني زهرة ، وبني تميم بن مرة ، تعاقدوا في دار ابن جدعان في شهر حرام قياما يتماشون بأكفهم صعدا ليكون مع المظلوم حتى يؤدوا إليه حقه ما بل بحر صوفة ، وفي التآسي في المعاش والتسام بالمال . وكانت النباهة في هذا الحلف للزبير بن عبد المطلب ولعبد الله بن جدعان ، أما ابن جدعان فلا أن الحلف عقد في داره ؛ وأما الزبير فلا أنه هو الذي مهض فيه ، ودعا إليه ، وحث عليه ، وهو الذي سماه حلف الفضول ، وذلك لأنه لما سمع الزبير يمدى المظلوم



ثُمَّ سَلَعَتْهُ قَدْ أَوْفَى عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ رَافِعًا عَقِبَتَهُ وَقُرَيْشَ فِي  
أُنْدِيَتِهَا قَائِلًا :

يَا لِدَرْجَالٍ لِمُظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ      يَبْطُنُ مَكَّةَ نَائِي الْحَيِّ وَالنَّفَرِ  
إِنَّ الْحَرَامَ لَمَنْ تَمَّتْ حَرَامَتُهُ      وَلَا حَرَامَ لَثَوْبِي لِأَبْسِ الْفَدْرِ  
حَيٍّ وَحَلَفَ لِيَعْقِدَنَّ حِلْفًا بَيْنَهُ      وَبَيْنَ بَطُونٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَمْنَعُونَ الْقَوَى مِنْ ظُلْمِ  
الضَّعِيفِ ، وَالْقَاطِنِ مِنْ عَنَفِ الْغَرِيبِ ، ثُمَّ قَالَ :

حَلَفْتُ لَنَعْقِدَنَّ حِلْفًا عَلَيْهِمْ      وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارِ  
نُسَمِّيهِ الْفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا      يَعَزُّ بِهِ الْغَرِيبُ لَدَى الْجَوَارِ  
وَيَعْلَمُ مَنْ حَوَالِي الْبَيْتِ أَنَّ      أَبَاةَ الضَّيْمِ نَهَجْرُ كُلِّ عَارِ  
فَبَنُو هَاشِمٍ هُمُ الَّذِينَ سَمَّوْا ذَلِكَ الْحِلْفَ حِلْفَ الْفُضُولِ ، وَهُمْ كَانُوا سَبِيهِ ، وَالْقَائِمِينَ بِهِ  
دُونَ جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الْعَاقِدَةِ لَهُ ، وَالشَّاهِدَةَ لِأَمْرِهِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ شَهِدَهُ وَلَمْ يَقُمْ بِأَمْرِهِ !  
قَالَ أَبُو عَثْمَانَ : وَكَانَ الزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ شَجَاعًا أَيْمًا ، وَجِيلًا بَهِيًا ، وَكَانَ خَطِيبًا  
شَاعِرًا ، وَسَيِّدًا جَوَادًا ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

وَلَوْلَا الْحَسُّ لَمْ يَلْبَسْ رَجَالٌ      ثِيَابَ أَعَزَّةٍ حَتَّى يَمُوتُوا  
ثِيَابُهُمْ شِمَالٌ أَوْ عَبَاءُ      بِهَا دَنْسٌ كَمَا دَنْسَ الْحِمَى <sup>(١)</sup>  
وَلَكِنَّا خَلِقْنَا إِذَا خَلِقْنَا      لَنَا الْحَيَّرَاتِ وَالْمِسْكَ الْفَتِيَّتِ <sup>(٢)</sup>  
وَكَأْسٌ لَوْ كُبِّينَ لَمْ كَلَامَا      لَقَالَتْ إِنَّمَا لَمْ سُبِيَّتِ <sup>(٣)</sup>  
تُبِينُ لَنَا الْقَذَى إِنْ كَانَ فِيهَا      رَضِينِ الْحَسْمِ يَشْرِبُهَا هَبِيَّتِ <sup>(٤)</sup>

(١) الْحِمَى ، كَأَمِيرٍ : الزُّقُ الصَّغِيرُ يَتَخَذُ لِلسَّمَنِ .

(٢) الْحَيَّرَاتِ ، بِكَسْرِ فَتْحٍ : ضَرْبٌ مِنْ بَرُودِ الْيَمَنِ . وَالْفَتِيَّتِ وَالْمُفْتَوْتُ بِمَعْنَى .

(٣) سُبِيَّتِ : جَلَبَتِ . (٤) الْهَبِيَّتِ : الْجَبَانُ الدَّاهِلُ .

ويقطع نخوة المختال عنا رقيق الحدّ ضربته صموت  
بكفّ مجرب لا عيب فيه إذا لقي الكريهة يستميت

قال : والزبير هو الذي يقول :

وأسحم من راح العراق مملأً محيط عليه الجيش جلد مرّ أثره  
صبت به طلقاً يراح إلى الندى إذا ما انتشى لم يختصره معاقره  
ضعيف يحب الكأس قبض بنانه كليل على جلد النديم أظافره

قال : وبشر هاشم هم الذين ردّوا على الزبيدي ثمن بضاعته ، وكانت عند العاص  
ابن وائل ، وأخذوا للبارقي ثمن سلعته من أبي بن خلف الجحى ، وفي ذلك  
يقول البارقي :

ويأبى لكم حلف الفضول ظلامتي بنى جمع والحق يؤخذ بالغضب  
وهم الذين انتزعوا من نبيه بن الحجاج قتل الحسنة بنت التاجر الخشعي ، وكان كابره  
عليها حين رأى جمالها ، وفي ذلك يقول نبيه بن الحجاج :

وخشيت الفضول حين أتوني قد أراني ولا أخاف الفضولاً  
إني والذي يحجّ له ثم طأ إباد وهللوا تهليلاً  
لبراء مني قتيمة بالله ساس هل ينبعون إلا القتلوا  
وفيها أيضاً يقول :

لولا الفضول وأنه لا أئمن من عرواتها<sup>(١)</sup>  
لدنوت من أبياتها ولطفت حول خباياها<sup>(٢)</sup>

(١) المروراء ، كالفلواء : قرّة الحى ومسهاى أول رعدتها .

(٢) الحياء ككساء ، يكون من وبر أو صوف أو شعر .

في كلمته التي يقول فيها :

حَيَّ النُّخَيْلَةَ إِذَا نَأَتْ    مِنَّا عَلَى عُذَوَائِهَا  
لَا بِالْفِرَاقِ تُذِيلُنَا    شَيْئًا وَلَا بِلِقَائِهَا  
حَلَّتْ بِمَكَّةَ حَلَّةً    فِي مَشْيِهَا وَوُطْأِهَا

في رجال كثير انتزعوا منهم الظلامات ، ولم يكن يظلم بمكة إلا رجالٌ أقوياء ، ولم  
العدد والعارضة ، منهم من ذكرنا قصته .

قال أبو عثمان : ولهاشم أخرى لا يَمُدُّ أحدٌ مثلها ، ولا يأتي بما يتعلق بها ، وذلك  
أن رؤساء قبائل قريش خرجوا إلى حرب بني عامر متساندين ، فكان حربُ بن أمية  
على بني عبد شمس ، وكان الزبيرُ بن عبد المطلب على بني هاشم ، وكان عبد الله بن  
جُدعان على بني تيم ، وكان هشام بن المغيرة على بني مخزوم ، وكان على كل قبيلة رئيس  
منها ، فهم متكافئون في التساند ، ولم يحقق واحدٌ منهم الرئاسة على الجميع ، ثم أب  
هاشم بما لا تبلغُهُ يدُ متناول ، ولا يطعم فيه طامع ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله  
قال : شهدت الفجار وأنا غلام ، فكنت أنبل فيه على عمومي ، ففني مقامه عليه السلام  
أن تكون قريش هي التي فجرت ، فسُميت تلك الحربُ حرب الفجار ، وثبت أن الفجور  
إنما كان ممن حاربهم ، وصاروا يمينه وبركته ولما يريد الله تعالى من إعزاز أمره وإعظامه  
الغالبين السالين ، ولم يكن الله ليُشهد فجرة ولا غدرة ، فصار مشهده نصرًا ،  
وموضعه فيهم حجةٌ ودليلا .

قال أبو عثمان : وشرفُ هاشم متصل ، من حيث عددت كان الشرفُ معك كابرًا  
عن كابر ، وليس بنو عبد شمس كذلك ، فإن الحكم بن أبي العاص كان عاديًا  
في الأعلام ، ولم يكن له سناء في الجاهلية .

وأما أمية فلم يكن في نفسه هناك ، وإنما رفعه أبوه ، وكان مضموفاً ، وكان صاحب عُمَار<sup>(١)</sup> يدلُّ على ذلك قول قيل بن عدى جدِّ عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حربُ بن أمية وعبدُ المطلب بن هاشم ، فنفرَ عبدُ المطلب وتعجب من إقدام حرب عليه وقال له :

أَبُوكَ مُعَاهِرٌ وَأَبُوهَ عَفٌّ وَذَادَ الْفِيلَ عَنْ بَلَدٍ حَرَامٍ<sup>(٢)</sup>

وذلك أن أمية كان تعرض لامرأة من بنى زهرة ، فضربه رجل منهم بالسيف ، فأراد بنو أمية ومن تبعهم إخراج زهرة من مكة ، فقام دونهم قيسُ بن عدى السهمي - وكانوا أخواله ، وكان منيع الجانب ، شديد العارضة ، حَيَّ الأَنْفُسَ ، أَيْ النَّفْسَ - فقام دونهم وصاح : « أَصْبَحَ لَيْلٌ » ، فذهبت مثلاً ، ونادى : الْآنَ الظَّاعِنُ مُقِيمٌ . وفي هذه القصة يقول وهب بن عبد مناف بن زهرة جدُّ رسول الله صلى الله عليه وآله :

مَهْلًا أُمِّي فَإِنَّ الْبَنَى مَهْلَكَةٌ لَا يَكْسِبَنَّكَ يَوْمٌ شَرٌّ ذَكَرُ

تَبْدُو كَوَاكِبَهُ وَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ يُصَبُّ فِي الْكَأْسِ مِنْهُ الصَّبْرُ وَالْقَرُّ<sup>(٣)</sup>

قال أبو عثمان : وصنع أمية في الجاهلية شيئاً لم يصنعه أحدٌ من العرب ، زوج ابنه أبا عمرو امرأته في حياته منه ، فأولدها أيام عيط بن أبي عمرو بن أمية . والمقيتون في الإسلام هم الذين نكحوا نساء آبائهم بعد موتهم ، فأما أن يتزوجها في حياة الأب ويبنى عليها وهو يراه ؛ فإنه شيء لم يكن قط .

قال أبو عثمان : وقد أقرَّ معاوية على نفسه ورهطه لبني هاشم حين قيل له : أيُّهما كان أسود في الجاهلية ؟ أنتم أم بنو هاشم ؟ فقال : كانوا أسوداً منا واحداً ، وكنا

(١) المهار : الترق والخفة والعليش .

(٢) الفر ، ككتف : الصبر أو شبيه به .

(٣) ذاد الفيل : منعه .

أكثر منهم سيّدا ؛ فأقرّ وادّعى ، فهو في إقراره بالنقص مخصوم ، وفي ادّعائه الفضل خصيم

وقال جعش بن رثاب الأسدي حين نزل مكة بعد موت عبد المطلب : والله لأتزوجن ابنة أكرم أهل هذا الوادي ، ولأحالفن أعزهم ، فتزوج أميمة بنت عبد المطلب ، وحالف أبا سفيان بن حرب . وقد يمكن أن يكون أعزهم ليس بأكرمهم ، ولا يمكن أن يكون أكرمهم ليس بأكرمهم ؛ وقد أقرّ أبو جهل على نفسه ورهطه من بني مخزوم حين قال : تحاربنا نحن وهم ، حتى إذا صرنا كهاتين قالوا : منا نبي . فأقرّ بالتقصير ، ثم ادّعى المساواة ؛ ألا تراه كيف أقرّ أنه لم يزل يطلب شأومهم<sup>(١)</sup> ثم ادّعى أنه لحقهم ! فهو مخصوم في إقراره ، خصيم في دعواه ، وقد حكم لهاشم دغفل بن حنظلة النسابة حين سأله معاوية عن بني هاشم : فقال : هم أطعم للطعام ، وأضرب للهام<sup>(٢)</sup> ، وهاتان خصمتان يجمعان أكثر الشرف .

قال أبو عثمان : والمعجب من منافرة حرب بن أمية عبد المطلب بن هاشم ، وقد لطم حرب جارا خلف بن أسعد جد طلحة الطلحات ، فجاء جاره فشكا ذلك إليه ، فمشى خلف إلى حرب وهو جالس عند الحجر ، فلطم وجهه عنوة من غير تحاكم ولا تراض ، فما انتطح فيه عزان<sup>(٣)</sup> . ثم قام أبو سفيان بن حرب مقام أبيه بعد موته ، فخالفه أبو الأزيهر الدؤسي ، وكان عظيم الشأن في الأزد ، وكانت بينه وبين بني الوليد بن المغيرة محاربة في مصاهرة كانت بين الوليد وبينه ، فجاء هشام بن الوليد وأبو الأزيهر قاعدا في مقعد أبي سفيان بندي الحجاز ، فضرّب عنقه ، فلم يدرك به أبو سفيان عقلا ولا قودا في بني المغيرة ، وقال حسان بن ثابت يذكر ذلك :

(١) الشأو : الناية . (٢) الهام : الرءوس .

(٣) هذا مثل يضرب للأمر يقع ولا يختلف فيه اثنان .

غدا أهل حصني ذي الحجاز بسخرة وجار ابن حرب لا يروح ولا يقدو  
كناك هشام بن الوليد ثيابه قابل وأخلق مثلها جوداً بعد

\*\*\*

فهذه جملة صلحة مما ذكره شيخنا أبو عثمان .

ونحن نورد من كتاب " أنساب قريش " للزبير بن بكار ما يتضمن شرحاً لما  
أجمله شيخنا أبو عثمان أو لبعضه ، فإن كلام أبي عثمان لمحة وإشارة ، وليس بالشروح .  
قال الزبير : حدثني عمر بن أبي بكر العدوي من بني عدى بن كعب قال : حدثني  
يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل ، عن أبيه ، قال : اصطلحت قريش على أن ولي  
هاشم بعد موت أبيه عبد مناف السقاية والرئاسة ، وذلك أن عبد شمس كان يسافر ، قل  
أن يقيم بمكة ، وكان رجلاً معيلاً<sup>(١)</sup> ؛ وكان له ولد كثير ، وكان هاشم رجلاً موسراً ،  
فكان إذا حضر الحج قام في قريش فقال : يا معشر قريش ، إنكم جيران الله ، وأهل  
بيته ، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته ، فهم لذلك ضيف الله ،  
وأحق ضيف بالكرامة ضيف الله ، وقد خصكم الله بذلك ، وأكرمكم به ، ثم حفظ  
منكم أفضل ما حفظ جار من جاره ؛ فأكرموا ضيفه وزواره ؛ فإنهم يأتون  
شعناً غبياً من كل بلد ضواير كالقديح ، وقد أرجفوا وتفلوا وقلوا<sup>(٢)</sup> وأرملوا ، فأقروهم  
وأعينهم . قال : فكانت قريش تتراقد على ذلك ، حتى إن كل أهل بيت ليرسلون  
بالشيء اليسير على قدر حالهم ، وكان هاشم يخرج في كل سنة مالا كثيراً ، وكان قوم  
من قريش يتراقدون ؛ وكانوا أهل يسار ، فكان كل إنسان ربما أرسل بمائة مثقال ذهب هرقلية<sup>(٣)</sup>

(١) يقال : أعال الرجل يعيل ؛ إذا كثر عياله .

(٢) أرجفوا : أكثروا من ذكر الأخبار السيئة ، وقلوا : كثر فيهم القيل . وأرملوا : فقد زادهم .

(٣) هرقلية : نسبة إلى هرقل ملك الروم ؛ وهو أول من ضرب الدينار .

وكان هاشم يأمر بحياض من آدم يُجْعَل في مواضع زمزم من قبل أن تُحَفَر ؛ يُسْتَقَى فيها من البئر التي بمكة ، فيشرب الحاج ، وكان يطعمهم أول ما يُطعم قبل يوم التروية بيوم بمكة ومعنى ويجمع وعرفة ، وكان يترد لهم الخبز واللحم والسمن والسويق والتمر ، ويحمل لهم الماء فيسقون بماء ، والماء يومئذ قليل ، إلى أن يصدر الحاج من منى ، ثم تنقطع الضيافة ، وتتفرق الناس إلى بلادهم .

قال الزبير : وإنما سمي هاشما لشمسه الثريد ، وكان اسمه عمرا ، ثم قالوا : «عمرو العلاء» لمعاليه . وكان أول من سنّ الرحلتين : رحلة إلى الحبشة ، ورحلة إلى الشام ، ثم خرج في أربعين من قريش قبل غزوة ، فمرض بها ، فمات ، فدفنوه بها ، ورجعوا بتركته إلى ولده . ويقال : إن الذي رجع بتركته إلى ولده أبو رهم عبد العزى بن أبي قيس العامري من بني عامر بن لؤي .

قال الزبير : وكان يقال لهاشم والمطلب : البذران ، ولعبد شمس وتوفل الأبهران . قال الزبير : وقد اختلف في أي ولد عبد مناف أسن ، والثابت عندنا أن أسنهم هاشم . وقال آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان :

يا أمين الله إني قائلٌ      قول ذي دينٍ وبرٍ وحسبٍ  
عبدُ شمسٍ لا تُهِنها إمسا      عبدُ شمسٍ عمُّ عبد المطلبِ  
عبدُ شمسٍ كان يَتَلو هاشمًا      وهما بعدُ لأُمٍّ ولأب

قال الزبير : وحدثني محمد بن حسن ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : قال عبد الله بن عباس : والله لقد علمت قريش أن أول من أخذ الإيلاف وأجاز لها العيرات<sup>(١)</sup> لهاشم ، والله ما شدت قريش رحالا ولا حبلا بسفر ، ولا أناخت بعيرا لحضر

(١) العيرات ، يكسر فتفتح : كل ما امتير عليه لإلا كانت أو حيرا أو بنالا ، واحده عير .



إلا بهاشم ، والله إني أول من سقى بمكة ماء عذبا ، وجعل باب الكعبة ذهابا لعبد للطلب .  
قال الزبير : وكانت قريش تجاراً لا تعدو تجارتهم مكة إنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع  
فيشترونها منهم ، يتبايعون بها بينهم ، ويبيعون من حولهم من العرب ، حتى رحل هاشم  
ابن عبد مناف إلى الشام ، فنزل بقيصر ، فكلن يذبح كل يوم شاة ، ويصنع جفنة  
من ثريد ، ويدعو الناس فيأكلون ، وكان هاشم من أحسن الناس خلقا وتامما ، فذكر  
لقيصر ، وقيل له : هاهنا شاب من قريش يهشم الخبز ، ثم يصب عليه المرق ، ويفرغ  
عليه اللحم ، ويدعو الناس . قال : وإنما كانت الأعاجم والروم تصنع المرق في الصعاف ،  
ثم تأتدم عليه بالخبز ، فدعا به قيصر ، فلما رآه وكلّمه أعجب به ، وجعل يرسل إليه فيدخل  
عليه ، فلما رأى مكانه سأله أن يأذن لقريش في القدوم عليه بالتاجر ، وأن يكتب لهم  
كتب الأمان فيما بينهم وبينه ، ففعل . فبذلك أرتفع هاشم من قريش . قال الزبير : وكان  
هاشم يقوم أول نهار اليوم الأول من ذي الحجة فيسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها  
فيخطب قريشا فيقول : يا معشر قريش ، أنتم سادة العرب ، أحسنها وجوها ، وأعظمها  
أحلاما ، وأوسطها أنسابا ، وأقربها أرحاما . يا معشر قريش ، أنتم جيران بيت الله ،  
أكرمكم بولايته ، وخصكم بحواره دون بني إسماعيل ، وحفظ منكم أحسن ما حفظ  
منكم جار من جاره ، فأكرموا ضيفه وزوار بيته ، فإنهم يأتونكم شعنا غبرا من كل بلد .  
قرب هذه البنية ، لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتموه ، ألا وإني مخرج من طيب  
مالي وحلاله ما لم تقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام ، فواضعه ؛ فمن  
شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل ، وأسألكم بحرمة هذا البيت ألا يخرج منكم رجل من  
ماله لكرامة زوار بيت الله ومعونتهم إلا طيبا لم يؤخذ ظلما ، ولم تقطع فيه رحم ولم  
يفتصب . قال : فكانت قريش تخرج من صفو أموالها ما تحمله أحوالها ، وتأتي بها  
إلى هاشم فيضعه في دار الندوة لضيافة الحاج .

قال الزبير : ومما رثي به مطرود الخراعي هاشماً قوله :

مات الندى بالشام لما أن نوى      أودى بغزة هاشم لا يبعد  
فجفائه رذم لمن ينسأه      والنصر أدنى باللسان وباليد<sup>(١)</sup>

ومن مرثيته له :

يا عين جودي وأذري الدمع واحتفلي      وأبكي خيشة نفسي في اللات  
وأبكي على كل فياض أخى حسب      ضخم الدسيعة وهاب الجزيلات  
ماضى الصريمة على الممّ ذى شرف      جلد النخيزة تحال العظام  
صعب المقادة لا ينكس ولا وكل      ماض على الهول مثلاف الكريمات  
تحض توسط من كعب إذا نسبوا      مجبوحة المجد في الشم الرفيعات  
فأبكي على هاشم في وسط بقة      تنشق الرياح عليه وسط غزات  
يا عين بكى أبا الشعث الشجيات      يبكى حسراً مثل البنيات  
يكيّن عمرو العلاء إذ حان مصرعه      تمنح السجية بسام العشيات  
يكيّنه معولات في معاويزها      يطلو ذلك من حزن وعولات  
محزّات على أوساطهنّ لما      جرّ الزمان من أحداث المصبات  
أبيت أروع نجوم الليل من ألم      أبكي وتبكي معي شجواً بنياتي

قال الزبير : وحدثنى إبراهيم بن المنذر ، عن الواقدي ، عن عبد الرحمن بن الحارث ،  
عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أول من سنّ دية النفس مائة من الإبل عبد المطلب ،  
فجرت في قریش والعرب سنته ، وأقرها رسول الله صلى الله عليه وآله . قال : وأم  
عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد ، من بني النجار من الأنصار ، وكان سبب

(١) ل ب د ر ذم ، ، بالدال صوايه من ا ؛ والرذم ككتب : القصاع المنتهة تصب جوانبها .

تزوج هاشم بها أنه قديم في تجارة له المدينة ، فنزل على عمرو بن زيد ، فجاءته سلى بطعام فأعجبت هاشما ، فخطبها إلى أبيها ، فأنكحها إياها ، وشرط عليه أن تلبس عند أهلها ، فبقي عليها بالمدينة ، وأقام معها سنتين ، ثم ارتحل بها إلى مكة ، فحملت وأنزلت ، فخرج بها إلى المدينة ، فوضعها عند أهلها ، ومضى إلى الشام ، فمات بغزة من وجهه ذلك ، وولدت عبد المطلب ، فسماه شعبة الحمد لشجرة بيضاء كانت في ذوائبه حين ولد ؛ فمكث بالمدينة ست سنين أو ثمانيا . ثم إن رجلا من تهامة مر بالمدينة ، فإذا غلمان ينتضلون ، و غلام منهم يقول كلما أصاب : أنا ابن هاشم بن عبد مناف ، سيد البطحاء ، فقال له الرجل : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا ابن هاشم بن عبد مناف . قال : ما اسمك ؟ قال : شعبة الحمد ، فانصرف الرجل حتى قديم مكة ، فوجد المطلب بن عبد مناف جالسا في الحجر ، فقال : قم إلى يابا الحارث ، فقام إليه ، فقال : تعلم أني جئت الآن من يثرب فوجدت بها غلمانا ينتضلون ... وقص عليه ما رأى من عبد المطلب ، وقال : إنه أضرب غلام رأيت قط ، فقال له المطلب : أغفلته والله ! أما إنني لا أرجع إلى أهلي ومالي حتى آتية ، فخرج المطلب حتى أتى المدينة ، فأتاها عشاء ، ثم خرج براحله حتى أتى بني عدي بن النجار فإذا الغلمان بين ظهري المجلس ، فلما نظر إلى ابن أخيه قال للقوم : هذا ابن هاشم ؟ قالوا : نعم ، وعرفه القوم فقالوا : هذا ابن أخيك ، فإن كنت تريد أخذه فإلى الساعة ؛ لأنهم أمه ، فإنها إن علمت حُلنا بينك وبينه . فأناخ راحلته ، ثم دعاه فقال : يا ابن أخي ، أنا عمك ، وقد أردت الذهاب بك إلى قومك ، فأرغب ، قال : فوالله ما كذب أن جلس على حجر الراحلة ، وجلس المطلب على الراحلة ثم بعثها فانطلقت ، فلما علمت أمه قامت تدعو حزنها على أبنها ، فأخبرت أنه عمه ، وأنه ذهب به إلى قومه . قال : فانطلق به المطلب فدخل به مكة ضحوة ، مُردفه خلفه ، والناس في أسواقهم ومجالسهم ، فقاموا يرحبون به ويقولون : من هذا الغلام معك ؟ فيقول : عبد لي أبتعته يثرب ، ثم خرج به

حتى جاء إلى الخزوة فأبتاع له حلّة ، ثم أدخله على أمراء خديجة بنت سعد بن سهم ، فرجلت شعره ، ثم ألبسه الحلّة عشيّة ، فجاء به فأجلسه في مجلس بني عبد مناف ، وأخبرهم خبره ، فكان الناس بعد ذلك إذا رأوه يطوف في سبيل مكة وهو أحسن الناس يقولون : هذا عبد المطلب - لقول المطلب : هذا عبدى - فلجّ به الاسم ، وترك به شيبة .

وروى الزبير رواية أخرى أن سلمى أم عبد المطلب حالت بين المطلب وبين أبنائها شيبة ، وكان بينها وبينه في أمره محاورة ، ثم غلبها عليه ؛ وقال :

عرفتُ شيبَةَ والنَجَّارُ قَدْ حَلَقَتْ أَبْنَاؤُهَا حَوْلَهُ بِالنَّبْلِ تَنْتَضِلُ

فأما الشعر الذي لحذافة العذرى والذي ذكره شيخنا أبو عثمان فقد ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب ، وزاد فيه :

كُنُسُ الْمُلُوكِ ، لَا يَبُورُ وَلَا يَجْرِي	كُهُولُهُمْ خَيْرُ الْكُهُولِ وَنَسَاهُمْ
تَقْلُقُ عَنْهُمْ بَيْضَةُ الطَّائِرِ الصَّغِيرِ	مُلُوكٌ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ وَمَسَادَةُ
تَجِدُهُ عَلَى أَجْرَاءِ وَالِدِهِ يَجْرِي	مَتَى تَلْمَقَ مِنْهُمْ طَائِحًا فِي عَيْنَانِهِ
وَهُمْ نَكَلُوا عَنْهَا غَوَاةَ بَنِي بَكْرِ	هُمْ مُلْكُوا الْبَطْحَاءَ مَجْدًا وَسُودًا
وَهُمْ تَرَكُوا رَأْيَ السَّفَاهَةِ وَالْهَجَرِ	وَهُمْ يَغْفِرُونَ الذَّنْبَ يُنْقَمُ مِثْلُهُ
لَهُمْ شَاكِرًا حَتَّى تَغِيَّبَ فِي الْقَبْرِ	أَخَارِجُ إِمَّا أَهْلِكُنْ فَلَا تَزَلْ

قال الزبير : وحدثني عن سبب هذا الشعر محمد بن حسن ، عن محمد بن طلحة ، عن أبيه ، قال : إن ركبنا من جذام خرجوا صادرين عن الحج من مكة ، فنقدوا رجلا منهم عالية بيوت مكة ، فليقون لحذافة العذرى ، فربطوه وانطلقوا به ؛ فتلقاهم عبد المطلب مقيلا من الطائف ومعه أبنه أبو لهب يقود به ؛ وعبد المطلب حينئذ قد ذهب بصره ، فلما نظر إليه لحذافة بن غانم هتف به ؛ فقال عبد المطلب لابنه :

وَيْلَكَ ! مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا حُذَافَةُ بْنُ غَانِمٍ مَرْبُوطًا مَعَ رَكْبٍ . قَالَ : فَأَلْحَقْهُمْ فَسَلِّمْهُمْ  
مَا شَأْنُهُمْ وَشَأْنُهُ ، فَلَحَقَهُمْ أَبُو لَهَبٍ فَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ ، فَرَجَعَ إِلَى أَبِيهِ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ !  
مَا مَعَكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا مَعِيَ شَيْءٌ . قَالَ : فَأَلْحَقْهُمْ لَا أَمَّ لَكَ ! فَأَعْطَاهُمْ بِيَدِكَ ، وَأَطْلَقَ  
الرَّجُلَ ، فَلَحَقَهُمْ أَبُو لَهَبٍ ، فَقَالَ : قَدْ عَرَفْتُمْ تِجَارَتِي وَمَالِي ، وَأَنَا أَحْلِفُ لَكُمْ لِأَعْطَيْتُكُمْ  
عَشْرِينَ أَوْقِيَّةَ ذَهَبًا ، وَعَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ وَفَرَسًا ، وَهَذَا رِدَائِي رَهْنٌ . فَقَبِلُوا ذَلِكَ مِنْهُ ،  
وَأَطْلَقُوا حُذَافَةَ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ بِهِ وَقَرُّبًا مِنْ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، سَمِعَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ صَوْتَ أَبِي لَهَبٍ ،  
وَلَمْ يَسْمَعْ صَوْتَ حُذَافَةَ ، فَصَاحَ بِهِ : وَأَبِي إِنَّكَ لِعَاصٍ ! أَرْجِعْ لَا أَمَّ لَكَ ! قَالَ : يَا أَبَتَا  
هَذَا الرَّجُلِ مَعِيَ ؛ فَنَادَاهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : يَا حُذَافَةَ ؛ أَسْمَعْنِي صَوْتَكَ . قَالَ : هَئِنْدَا  
يَأْبَى أَنْتَ وَأُمِّي يَا سَاقِيَ الْحَبِيبِ أُرِدْفَنِي ؛ فَأَرَدَفَهُ حَتَّى دَخَلَ مَكَّةَ ؛ فَقَالَ حُذَافَةُ  
هَذَا الشَّعْرُ .

قَالَ الزَّيْبِرُ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسَازٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَبِي شَهَابٍ ، قَالَ : أَوَّلُ  
مَا ذَكَرَ مِنْ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَنْ قَرِيشًا خَرَجَتْ قَارَةً مِنَ الْحَرَمِ خَوْفًا مِنْ أَصْحَابِ الْقَيْلِ ،  
وَعَبْدُ الْمَطْلَبِ يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَخْرُجُ مِنْ حَرَمِ اللَّهِ أَبْنَى الْعِزِّ فِي غَيْرِهِ !  
فَجَلَسَ فِي الْبَيْتِ وَأُجِيتَ <sup>(١)</sup> قَرِيشٌ عَنْهُ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ :

لَا هُمْ إِنْ لَرَّ يَمُّ نَعُ رَحْلُهُ فَا مَنَعُ حَلَالِكُ

لَا يَغَايِنُ صَلِيْبُهُمْ وَمَحَالُّهُمْ أَبَدًا مَحَالَكُ <sup>(٢)</sup>

فَلَمْ يَزَلْ ثَابِتًا فِي الْحَرَمِ حَتَّى أَهْلَكَ اللَّهُ الْقَيْلِ وَأَصْحَابَهُ ، فَرَجَعَتْ قَرِيشٌ وَقَدْ عَظُمَ فِيهِمْ  
بَصِيرُهُ <sup>(٣)</sup> وَتَعَظَّمَتْ مَحَارِمُ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا ؛ فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ - وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِهِ وَهُوَ الْحَارِثُ  
ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ قَدْ بَلَغَ الْحُلُمَ - أَرَى عَبْدُ الْمَطْلَبِ فِي الْمَنَامِ ، فَقِيلَ لَهُ : احْفَرْ زَمْزَمَ ، خَبِيثَةَ  
الشَّيْخِ الْأَعْظَمِ . فَاسْتَيْقِظَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لِي الشَّيْخَ ، فَأَرَى فِي الْمَنَامِ مَرَّةً أُخْرَى :

(٢) الْحَالُ : الْقُدْرَةُ .

(١) أُجِيتَ : تَفَرَّقَتْ .

(٣) بَ : بِصِيرَتِهِ ، تَحْرِيفٌ ، صَوَابُهُ فِي أ .

أَحْفَرْتُكُمْ<sup>(١)</sup> بين القَرْنِ والْدَم ، في مَبْعَثِ الغراب ، في قَرْيَةِ النمل ، مستقبلَةَ الأنصاب  
 الحُر . فقام عبد المطلب فمشى حتى جلس في المسجد الحرام ينتظر ما يُحْيِي له من الآيات ،  
 فَتَحَرَ بَقْرَةً في الحَزْوَرة ، فأفلتت من جازِرِها بِحُشَاةٍ نَفْسِها حتى غَلَبَ عليها الموتُ في  
 المسجد في موضع زَمَزَم ، فاحتمل لحمها من مكانِها ، وأقبلَ غراب يَهْوِي حتى وقع في  
 القَرْنِ فَبَحَثَ عن قَرْيَةِ النمل ، فقام عبد المطلب يُخْفِرها ، فجاءته قريش فقالت له : ما هذا  
 الصنع ، إنا لم نكن نراك بالجهل ؛ لِمَ تحفِر في مسجدنا ؟ فقال عبد المطلب : إني لحافر  
 هذا البئر ، ومجاهدٌ من صدقي عنها ، فطَفِقَ يحفِر هو وابنه الحارث ، وليس له يومئذ  
 ولد غيره ، فبَسَفَهُ عليهما الناسُ من قريش فيَنَارِعُونِهما ويقاتِلُونِهما . وتناهى عنه ناسٌ من  
 قريش لِمَا يَعلَمون من زَعِيقِ نسبهِ وصدِّقهِ ، واجتهاده في دينهم يومئذ ، حتى إذا أتعبه  
 الحفر ، واشتدَّ عاِيهِ الأذى نَذَرَ إِنْ وَفَى له عشرة من الولدان يَنَحَرَ أَحَدَهُمْ ، ثم حفَرَ فأدرك  
 سُيُوقًا دُفِنَتْ في زَمَزَم حين دَفِنَتْ ، فلما رأت قريش أنه قد أدرك السيوف قالت :  
 يا عبد المطلب ، اُخْذُنَا<sup>(٢)</sup> مما وجدت . فقال عبد المطلب : بل هذه السيوف لبيت الله ، ثم  
 حَفَرَ حتى أنبِطَ المساء ، فحفرها في القَرار ، ثم بَمَرَّها حتى لا تَنَزِف ، ثم بنى عليها حَوْضًا  
 وطَفِقَ هو وابنه يَنزِعَان فيمَلآنِ ذلك الحوض ، فيشرب منه الحاج ، وَيَكْسِرُهُ قوم حَسَدَةٍ  
 له من قريش بالليل ، فَيُصْلِحُهُ عبد المطلب حين يُصْبِح ، فلما أَكثَرُوا فسادَهُ دعا عبد المطلب  
 رَبَّهُ ، فَأَرَى ، فقليل له : قل : اللَّهُمَّ إني لا أَحِلُّها لِمُقْتَسِلٍ ، وهى لشارب حلّ وبلّ ، ثم  
 كَفَيْتَهُمْ ، فقام عبد المطلب حين اِخْتَلَفَ قريش في المسجد ، فنَادَى بِالَّذِي أَرَى ، ثم انصرف  
 فلم يَكُنْ يُفْسِدُ حَوْضَهُ عليه أَحَدٌ من قريش إِلَّا رُمِيَ في جَسَدِهِ بَدَاءٌ ، حتى تَرَكَوا حَوْضَهُ  
 ذَلِكَ وسَقَاتِهِ . ثم تزوج عبد المطلب النساء ، فوُلِدَ له عشرة رَهْطٌ ، فَمَالَ : اللَّهُمَّ إني

(١) تَكُم ، يضم فسكون : اسم بئر زمزم .

(٢) اخذنا : اعطنا .



كنتُ نذرتُ لك نحرَ أحدهم ، وإني أقرع بينهم ، فأصيب بذلك من شئت ، فأقرع بينهم ، فطارَت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان أحبَّ ولده إليه ، فقال عبدُ المطلب : اللهم هو أحبُّ إليك أم مائة من الإبل ! فنحَرها عبدُ المطلب مَكَانَ عبد الله ، وكان عبد الله أحسنَ رجل رُئي في قريش قط .

وروى الزبير أيضا قال : حدثني إبراهيم بن المنذر ، عن عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله ابن عثمان بن سليمان قال : سمعتُ أبي يقول : لما حفرت زمزم ، وأدرك منها عبدُ المطلب ما أدرك ، وجَدت قريش في أنفسها مما أعطى عبدُ المطلب ، فلقبته خويلد بن أسد بن عبد العزى فقال : يا بن سلمى ، لقد سقيت ماء رغدا ، وثَلثت عادية حسدا ، فقال : يا بن أسد ، أما إنك تشرك في فضلها ، والله لا يساعدنى أحدٌ عليها ببر ، ولا يقوم معي بارِزا إلا بذلتُ له خيرَ الصَّهر ، فقال خويلد بن أسد :

أقول وما قولي عليهم بسبةٍ إليك ابن سلمى أنت حافرُ زمزم

حقيرة إبراهيم يوم ابن هاجر ورَكضة جبريل على عهد آدم

فقال عبدُ المطلب : ما وجدت أحدا ورث العلم إلا قدم غيرَ خويلد بن أسد .

قال الزبير : فأما رَكضة جبريل فإن سعيد بن المسيب قال : إن إبراهيم قدم بإسماعيل وأمه مكة ، فقال لهما : كلاً من الشجر ، واشربا من الشعاب . وفارقهما ، فلما ضاقت الأرضُ تقطعت المياه ، فعطشا ، فقالت له أمه : اصعد وانصب في هذا الوادي فلا أرى موتك ولا ترى موتى ، ففعل ، فأنزل الله تعالى ملكا من السماء على أم إسماعيل ، فأمرها فصرحت به ، فاستجاب لها ، وطار الملك فضربَ بجناحيه مكانَ زمزم ، فقال : اشربا ، فكان سيحاً يسبح ، ولو تركا ما زال كذلك أبدا ، لكنها فرقت<sup>(١)</sup> عليه من العطش ، فقرت<sup>(٢)</sup> له في السماء ، وحفرت في البطحاء ، فلما نضب الماء طويلاه ؛ ثم



هلك الناس ، ودفنته السيول . ثم أرى عبد المطلب في المنام أن أحفر زمزم لا تثرَب<sup>(١)</sup> ولا تدم ، تروى الحبيص الأعظم . ثم أرى مرة أخرى أن أحفر الزواء ، أعطيتها على رَغم الأعداء . ثم أرى مرة أخرى ، أن أحفر تُكُم ، بين الأنصاب الحمر ، في قرية النمل . فأصبح يحفر حيث أرى . فطفت قريش يستهزئون به ، حتى إذا بدا عن الطي وجد فيها غزالا من ذهب ، وحلية سيف ؛ فضرب عليها بالسهم ؛ فخرج سهم البيت ؛ فكان أول حلي حلي به الكعبة .

قال الزبير : وكان حرب بن أمية بن عبد شمس نديم عبد المطلب ، وكان عبيد بن الأبرص تزبه ، وبلغ عبيد مائة وعشرين سنة ، وبقي عبد المطلب بعده عشرين سنة .

قال : وقال بعض أهل العلم : توفي عبد المطلب عن خمس وتسعين سنة ، ويقال : كان يُعرف في عبد المطلب نور النبوة ، وهيبة الملك ، وفيه يقول الشاعر :

إنني واللات والبيست الذي لَزَّ بالهبرز عبد المطلب<sup>(٢)</sup>

قال الزبير : حدثني عمي مصعب بن عبد الله ، قال : بينا عبد المطلب يطوف بالبيت بعد ما أسن وذهب بصره ، إذ زحجه رجل ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقيل : رجل من بني بكر . قال : فما منعه أن يُنكَّب عني وقد رآني لا أستطيع لأن أنكَّب عنه ! فلما رأى بنيه قد توالوا عشرة قال : لا بد لي من العصا ؛ فإن أخذتها طويلة شقت علي ؛ وإن أخذتها قصيرة قويت عليها ، ولكن ينحذب لها ظهري ؛ والحديّة ذلّ ، فقال بتوه : أو غير ذلك ؟ يوافيك كل يوم منّا رجل تتوكأ عليه فتطوف في حوائجك . قال : ولذلك قال الزبير : ومكارم عبد المطلب أكثر من أن يحاط بها ؛ كان سيّد قريش غير مدافع نفّسا وأبا وبيتا وجمالا وبهاء وكالا وفعالا ؛ قال أحد بني كنانة يمدحه :

(٢) الهبرز : الأسد .

(١) لا تثرَب عليه : لا تعنه .

إني وما سترت قريشٌ والذي  
وَوَحَّقَ مَنْ رَفَعَ الْجِبَالَ مُنِيفَةً<sup>(٢)</sup> والأرضَ مَدًّا فَوْقَهُنَّ سَمَاءً<sup>(٣)</sup>  
مُنًى وَمَهْدٍ لِبْنِ سُلَى مِدْحَةً فِيهَا أَدَاءُ ذِمَامِهِ وَوَفَاءُ

قال الزبير : فأما أبو طالب بن عبد المطلب - واسمه عبد مناف ، وهو كافلُ رسول  
الله صلى الله عليه وآله ، وحاميه من قريش وناصره ، والرفيق به ، الشفيق عليه ، ووصي  
عبد المطلب فيه - فكان سيد بني هاشم في زمانه ، ولم يكن أحد من قريش يسود في  
الجاهلية بمالٍ إلا أبو طالب وعُتْبَةُ بن ربيعة .

قال الزبير : أبو طالب أول من سَنَّ الْقِسَامَةَ<sup>(٤)</sup> في الجاهلية في دم عمرو بن علقمة ،  
ثم أثبتتها السنة في الإسلام ، وكانت السُّقَايَةُ في الجاهلية بيد أبي طالب ، ثم سلمها إلى  
أخيه العباس بن عبد المطلب .

قال الزبير : وكان أبو طالب شاعراً مجيداً ، وكان نديمه في الجاهلية مسافراً بن عمرو  
ابن أمية بن عبد شمس ، وكان قد حِينَ<sup>(٥)</sup> تَفَرَّجَ لِيَتَدَاوَى بِالْحَيْرَةِ ، فمات بهيالة<sup>(٥)</sup> ،  
فقال أبو طالب يرثيه :

لَيْتَ شَعْرِي مَسَافِرُ ابْنُ أَبِي عَمٍّ رَوِّ وَلَيْتُ يَقُولُهَا الْحَزُونُ  
كَيْفَ كَانَتْ مَذَاقَةُ الْمَوْتِ إِذَا مِتَ وَمَاذَا بَعْدَ الْمَمَاتِ يَكُونُ !  
رَحَلَ الرَّكْبُ قَافِلِينَ إِلَيْنَا وَخَلِيلِي فِي مَرَمْسٍ مَذْفُونُ  
بُورِكَ الْمَيْتِ الْغَرِيبُ كَمَا بُو رَكَ نَضْرُ الرِّيحَانِ وَالزَّيْتُونُ

(١) تَعَزُّو : تنسب ؛ وفي ب : « كَأَنَّهُنَّ » تحريف .

(٢) الْمُنِيفَةُ : العالية .

(٣) الْقِسَامَةُ بِالْفَتْحِ : الأيمان تقسم على أولياء القتل إذا ادعوا الدم .

(٤) الْحِينَ بِالضَّمِّ : الاستثناء . (٥) هَيْالَةً : موضع .

رُزِهَ مَيِّتٍ عَلَى هُبَالَةٍ قَدْ حَا لَتْ قَيَافٍ مِنْ دُونِهِ وَحُزُونُ  
مِذْرَةٍ يَدْفَعُ الْخَصُومَ بِأَيْدٍ وَبَوَاجِهِ يَزِيضُ الْعَرَيْنُ<sup>(١)</sup>  
كَمْ خَلِيلٍ وَصَاحِبٍ وَابْنِ عَمٍّ وَحِمٍ قَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَنُونُ  
فَتَعَزَّيْتُ بِالْجَلَادَةِ وَالصَّبْرِ وَإِنِّي بِصَاحِبِي لَضَنِينُ

قال الزبير : فلما هلك مسافر نادى أبو طالب بعده عمرو بن عبد بن أبي قيس بن  
عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، ولذلك قال عمرو لعلي عليه السلام  
يوم الخندق حين بارزه : إن أبالك كان لي صديقا .

قال الزبير : وحدثني محمد بن حسن ، عن نصر بن مزاحم ، عن معروف بن خربوذ ،  
قال : كان أبو طالب يحضر أيام الفجار ، ويحضر معه النبي صلى الله عليه وآله وهو  
غلام ، فإذا جاء أبو طالب هُزِمَتْ قيس ، وإذا لم يجيء هُزِمَتْ كنانة ، فقالوا لأبي طالب :  
لأبالك ! لا تنب عنا ، ففعل .

قال الزبير : فأما الزبير بن عبد المطلب فكان من أشرف قريش ووجوهها ،  
وهو الذي استثنته بنو قصي على بني سهم حين هجا عبد الله بن الزبير بن قصي  
فأرسلت بنو قصي عتبة بن ربيعة بن عبد شمس إلى بني سهم ، فقال لهم : إن قومكم قد  
كروهوا أن يعجلوا عليكم ، فأرسلوني إليكم في هذا السفيف الذي هجاكم في غير ذنب  
اجتدموا إليه ، فإن كان ما صنع عن رأيكم فيئس الرأي رأيكم ، وإن كان عن غير  
رأيكم فادفعوه إليهم . فقال القوم : نبرأ إلى الله أن يكون عن رأينا . قال : فأسلوه  
إليهم ، فقال بعض بني سهم : إن شئتم فعلنا ؛ على أن من هجانا منكم دفعتموه إلينا .  
فقال عتبة : ما يمنعني أن أقول ما تقول إلا أن الزبير بن عبد المطلب غائب بالطائف ،

(١) الأيد : الشدة . والعرين : الألف .

وقد عرفت أنه سيفرغ لهذا الأمر فيقول : ولم أكن أجعل الزبير خطراً لابن الزبير ، فقال قائل منهم : أيها القوم ، ادفعوه إليهم ، فلمعري إن لكم مثل الذي عليكم ، فكثرت في ذلك الكلام واللغط ، فلما رأى العاص بن وائل ذلك دعا برمة ، فأوثق بها عبد الله ابن الزبير ، ودفعه إلى عتبة بن ربيعة ، فأقبل به مربوطاً حتى أتى به قومه ؛ فأطلقه حمزة بن عبد المطلب وكساه ، فأعزى ابن الزبير أناس من قريش بقومه بني سهم ، وقالوا له : أهجهم كما أسلموك ، فقال :

لعمري ما جاءت بذكر عشيرتي      وإن صالحت إخوانها لا ألومها  
فودَّ جناة الشر أن سيوفنا      بأيماننا مسلولة لا نقيمها  
فيقطع ذو الصهر القريب ويركوا      غناغم منها إذ أجدة يريمها<sup>(١)</sup>  
فإن قصياً أهل مجد وثروة      وأهل فعال لا يرأم قديمها  
هم ممنعوا يومئ عكاظ نساءنا      كما منع الشول الهجان قرومها<sup>(٢)</sup>  
وإن كان هيج قد تموا فتقدموا      وهل يمنع الخزاة إلا حميمها  
محاشيد للعقرى سراع إلى الندى      مرازية غلب رزان حلومها<sup>(٣)</sup>  
قال : فقدم الزبير بن عبد المطلب من الطائف ، فقال قصيدته التي يقول فيها :

فلولا الحس لم يلبس رجال      ثياب أعزة حتى يموتوا<sup>(٤)</sup>  
وقد ذكرنا قطعة منها فيما تقدم .

قال الزبير : وقال الزبير بن عبد المطلب أيضاً في هذا المعنى :

- 
- (١) يريمها : يطلبها .  
(٢) الشائلة من الإبل : التي أتى عليها من حملها سبعة أشهر نفث لبنها . وجمعه شول ، وهجان الإبل : كرامها .  
(٣) المرزبان : الفارس الشجاع التقدم على القوم دون الملك ، معرب ؛ والأصل فيه أحد مرازية الفرس ، وغلب : جمع أغلب ، وهو في الأصل الفايط الرقية ، يصفون أبدأ السادة بلفظ الرقية وطولها .  
(٤) الحس هنا : قريش ومن ولدت ؛ سموا حساً لأنهم تحمسوا في دينهم ؛ أي تشددوا .

قوى بنو عبد مناف إذا أظلم من حولي بالجنادل  
لا أسدّان يسليوني ولا تميم ولا زهرة للنيطل<sup>(١)</sup>  
ولا بنو الحارث إن سرّ بي يوم من الأيام لا ينجلي  
بأيّها الشاتم قوى ولا حقّ له عندهم أقبل  
إني لهم جارّ لئن أنت لم تقصر عن الباطل أو تعدل

قال الزبير : ومن شعر الزبير بن عبد المطلب :

يأليت شعري إذا ما تحسّتي وقعت ماذا تقول ابنتي في النوح تنعاني !  
تنعى أبا كان معروف الدّفاع عن مولى المضاف وفكاً كآ عن العاني<sup>(٢)</sup>  
ونعم صاحب عانٍ كان رافده إذا تضجّع عنه العاجز الواني<sup>(٣)</sup>

قال الزبير : وكان الزبير بن عبد المطلب ذا نظر وفكر ، أتى قتيل له : مات فلان  
- لرجل من قريش كان ظالوما - فقال : بأيّ عقوبة مات ؟ قالوا : مات حتف أنفه اقتال :  
لئن كان ما قلتموه حقاً إنّ للناس معاداً يؤخذ فيه للظالم من الظالم .

قال : وكان الزبير يكنى بأبي الطاهر ، وكانت صفية بنت عبد المطلب كنت ابنها  
الزبير بن العوام أبا الطاهر دهرأً بكنية أخيها ، وكان للزبير بن عبد المطلب ابنٌ يقال له  
الطاهر ، كان من أطرف فتيان مكة ، مات غلاماً ، وبه سمى رسول الله صلى الله عليه  
 وآله ابنه الطاهر ، وباسم الزبير سمّت أخته صفية ابنها الزبير ، وقالت صفية ترثي أخاها  
الزبير بن عبد المطلب :

بَكّي زبيرَ الخير إذ مات إن كنتِ على ذى گرم با كية

(٢) العاني : الأسير .

(١) النيطل : الموت الوحى .

(٣) التضجّع في الأمر : التخصير فيه .

لو لَفَظْتَهُ الْأَرْضُ مَالَتُهَا      أو أَصْبَحَتْ خَاشِعَةً عَارِيَةً  
 قد كَانَ فِي نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَ السَّمَوَاتِ وَلَا أَتَبِعُهُمْ قَافِيَةً  
 فلم أَطِقْ صَبْرًا عَلَى رُزْئِهِ      وَجَدْتُهُ أَقْرَبَ إِخْوَانِيَّةِ  
 لو لم أَقْلُ مِنْ فِي قَوْلِهِ      لَقَضَّتِ الْعَاثِرَةُ أَضْلَاعِيَّةِ  
 فهو الشَّامِي وَالْيَمَانِي إِذَا      مَاخَضَرُوا ، ذُو الشَّفَرَةِ الدَّامِيَّةِ  
 وقال ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ يَبْكِيه :

بَكَى ضُبَاعُ عَلَى أَبِيهِ      لِكَيْ يَكْأَ مُحْزُونٍ أَلِيمٍ  
 قَدْ كُنْتُ أَنْشُدُهُ فَلَا      رَثَّ السَّلَاحِ وَلَا سَلِيمٍ  
 كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ      لو ضَوْءُهُ ضَوْءُ النُّجُومِ  
 زَخَرْتُ بِهِ أَعْرَاقُهُ      وَنَمَاهُ وَالِدُهُ الْكَرِيمِ  
 بَيْنَ الْأَغْرَِّ وَهَاشِمٍ      فَرَعَيْنِ قَدْ قَرَعَا الْقُرُومِ

\*\*\*

فَأَمَّا الْقَتُولُ الْخَنَعَمِيَّةُ الَّتِي اغْتَصَبَهَا نَبِيُّهُ بْنُ الْحَجَّاجِ السَّهْمِيُّ مِنْ أَبِيهَا ، فَقَدْ ذَكَرَ  
 الزَّيْبِرُ بْنُ بَكَّارٍ قِصَّتَهَا فِي كِتَابِ " أَنْسَابِ قُرَيْشٍ " .

قال الزبير : إِنَّ رَجُلًا مِنْ خَثَمِ قَدَمِ مَكَّةَ تَاجَرًا وَمَعَهُ ابْنَةٌ يُقَالُ لَهَا الْقَتُولُ ، أَوْضًا  
 نِسَاءَ الْعَالَمِينَ ، فَعَلِقَهَا نَبِيُّهُ بْنُ الْحَجَّاجِ السَّهْمِيُّ ، فَلَمْ يَبْرَحْ حَتَّى غَلَبَ أَبَاهَا عَلَيْهَا ، وَنَقَلَهَا  
 إِلَيْهِ ، فَقِيلَ لِأَبِيهَا : عَلَيْكَ بِحُلْفِ الْفُضُولِ ، فَأَتَاهُمْ فَشَكَا إِلَيْهِمْ ذَلِكَ ، فَأَتَوْا نَبِيَّهُ  
 الْحَجَّاجَ فَقَالُوا لَهُ : أَخْرِجْ ابْنَتَ هَذَا الرَّجُلِ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مُنْتَبِذٌ <sup>(١)</sup> بِنَاحِيَةِ مَكَّةَ ، وَهِيَ مَعَهُ -  
 وَإِلَّا فَإِنَّا مَنْ قَدْ عَرَفْتَ ، فَقَالَ : يَاقَوْمُ ، مَتَّعُونِي بِهَا اللَّيْلَةَ ، فَقَالُوا : قَبْحَكَ اللَّهُ !

(١) مُنْتَبِذٌ ، أَيْ مُنْتَحَ نَاحِيَةِ مَكَّةَ .

ما أَجْهَلَكَ ، لا والله ولا شُخْبَ لَقْحَةٍ ، فأخرجها إليهم فأعطوها أباهما ، فقال نبيه بن  
الحجاج في ذلك قصيدة أولها :

راح صَحْبِي ولمْ أَحْيِ الْقُتُولَا      لمْ أودُّعِهِمْ ودَاعًا جَمِيلًا <sup>(١)</sup>  
إِذَا جَدَّ الْفُضُولُ أَنْ يَمْنَعُوهَا      قد أَرَانِي ولا أَخَافُ الْفُضُولَا  
في أبيات طويلة .

\*\*\*

وأما قصة البارقي فقد ذكرها الزبير أيضا .

قال : قديم رجل من ثَمَالَةٍ من الأزد مكة ، فباع سلعة من أبي بن خلف الجمحي  
فقطله بالثمن ؛ وكان سَيِّئُ الخالطة ، فأتى الثمالي أهل حلف الفضول فأخبرهم ، فقالوا : اذهب  
فأخبره أنك قد أتيتنا ، فإن أعطاك حقك وإلا فارجم إلينا ، فأتاه فأخبره بما قال أهل حلف  
الفضول ؛ فأخرج إليه حقه فأعطاه ، فقال الثمالي :

أَيْفَجُرُّ بِي بَيْطَنُ مَكَّةَ ظَالِمًا      أَبِي وَلَا قَوْمِي لَدَى وَلَا صَحْبِي  
وَنَادَيْتُ قَوْمِي بَارِقًا لَتُجِيبَنِي      وَكَمْ دُونَ قَوْمِي مِنْ قِيَافٍ وَمِنْ سُهَبٍ <sup>(٢)</sup>  
وَيَأْتِي لَكُمْ حِلْفُ الْفُضُولِ ظَلَامَتِي      بَنِي جُمَحِرٍ وَالْحَقُّ يُوْخِذُ بِالْقَصْبِ

\*\*\*

وأما قصة حلف الفضول وشرفه فقد ذكرها الزبير في كتابه أيضا ، قال : كان بنو سهم  
وبنو جُمَحِرٍ أهل بني وعُدوان ؛ فأكثرُوا من ذلك ، فأجمع بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد  
وبنو زُهْرَةَ وبنو تميم على أن تَحَالَفُوا وتَعَاقدُوا على رَدِّ الظالم بمكة ، وألا يُظْلَمَ أَحَدٌ

(١) ب : د صحى ، تحريف ، صوابه في أ .

(٢) القيف : المغارة التي لا ماء فيها ؛ وإذا أثبت فهي القفاء وجمعها القياق ، والسهب ينتج السين :  
الأرض الواسعة ، يجمع على سهب ( يَضْمَتَيْنِ ) وسكنت الهاء للشعر .



إلا مَنعوه ، وأخذوا له بحقه ، وكان حلفهم في دار عبد الله بن جُدعان ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفاً ما أحب أن لي به حرٌّ النَّعم ، ولو دعيتُ به اليوم لأجبت ، لا يزيد الإسلام إلا شِدَّة » .

قال الزبير : كان رجلٌ من بني أسد قد قدم مكة معتمراً ببضاعة ، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي ، فأواها إلى بيته ، ثم تقيَّب ، فابتغى الأسدى <sup>(١)</sup> متاعه فلم يقدر عليه ، فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه ، فأغلظوا له ، فعرف أن لا سبيل له إلى ماله ، وطَوَّف في قبائل قريش يستنفر بهم ، فتخاذلت القبائل عنه ، فلما رأى ذلك أشرف على أبي قُبيس حين أخذت قريش مجالسها ، ونادى بأعلى صوته :

يَا لَرَجَالٍ مِظْلُومٍ بِضَاعَتِهِ      يَبْطُنُ مَكَّةَ نَائِي الْأَهْلِ وَالنَّفَرِ  
وَمُحَرِّمٍ أَشْعَثَ لَمْ يَقْضِ عُمَرَتَهُ      يَا آلَ فِهْرٍ وَبَيْنَ الْحَجَرِ وَالْحَجَرِ <sup>(٢)</sup>  
هَلْ مُنْصِفٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ فَمَرْتَجِعُ      مَاغِيْبُوا أَمْ حَلَالٌ مَالٍ مُعْتَمِرٍ <sup>(٣)</sup>

فأعظمت ذلك قريش ، وتكلموا فيه ؛ فقال المطيبون : والله إن قنا في هذا لينقضن الأحلاف ؛ وقالت الأحلاف : والله إن قنا في هذا لينقضن المطيبون ؛ فقالت قبائل من قريش : هلموا فلنحتلف حلفاً جديداً ؛ لننصرن المظلوم على الظالم ما بلّ بحرٍّ صوفة . فاجتمعت هاشم والمطلب وأسدٌ وتيم وزهرة في دار عبد الله بن جُدعان ورسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ معهم وهو شاب ابن خمس وعشرين سنة لم يوح إليه بعد ، فتحالفوا ألا يُظلم بمكة غريبٌ ولا قريبٌ ولا حرٌّ ولا عبدٌ إلا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه ، ويردُّوا إليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم ، ثم عمدوا إلى ماء زمزم فجعلوه في جفنة ، ثم بعثوا به إلى البيت ، ففسلوا به أركانَه ، ثم جمعوه وأتوهم به فشرَّبوه ، ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل

(٢) ب : « يا أهل » .

(١) ق ١ ، و ب : « الزبيدي » ، تصحيف .

(٣) ١ ، ب : « ضلال » ، تحريف .

فقالوا له : أدِّ إلى هذا حقّه ، فأدَّ إليه حقّه ، فكشوا كذلك دهرًا لا يُظلم أحد بمكة إلا أخذوا له حقّه ؛ فكان عتبة بنُ ربيعة بن عبد شمس يقول : لو أنَّ رجلاً وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس ؛ حتى أدخل في حلف الفضول .

\*\*\*

قال الزبير : وحدثني محمد بن حسن ، عن محمد بن طلحة ، عن موسى بن محمد ، عن أبيه ، أن الحلف كان على ألا يدعوا بمكة كلها ولا في الأحابيش مظلوما يدعوه إلى نصرته إلا أنجدوه حتى يردوا عليه ماله ومظلمته ، أو يبلوا في ذلك عُذرا ؛ وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى التماسي في المعاش .

قال الزبير : ويقال : إنه إنما سمِّي حلف الفضول لأن رجلا كانوا في وجوههم تحالفوا على ردِّ المظالم ، يقال لهم فضيل وفضال وفضل ومفضل ، فسَمِّيَ هذا الحلف حلف الفضول ؛ لأنه أحياء تلك السنة التي كانت ماتت .

قال الزبير : وقدم محمد بن جبير بن مطعم على عبد الملك بن مروان — وكان من علماء قريش — فقال له : يا أبا سعيد ، ألم نكن — يعني بني عبد شمس — ، وأنتم في حلف الفضول ؟ فقال : أمير المؤمنين أعلم ؛ قال : لتخبرني بالحق ، قال : لا والله يا أمير المؤمنين ؛ لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، وما كانت يدنا ويدكم إلا جميعا في الجاهلية والإسلام .

\*\*\*

قال الزبير : وحدثني محمد بنُ حسن ، عن إبراهيم بن محمد ، عن يزيد بن عبد الله ابن الهادي الليثي ، أن محمد بن الحارث أخبره ، قال : كان بين الحسين بن علي عليه السلام وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان كلام في مال كان بينهما يذئ المروءة ، والوليد يومئذ أمير المدينة في أيام معاوية ، فقال الحسين عليه السلام : أيستطيع الوليد على سلطانة !

أقسم بالله لينصفني من حتى أو لاخذن سيفي ثم أقوم في مسجد الله فأدعو بحلف الفضول ! فبلغت كلمته عبد الله بن الزبير ، فقال : أحلف بالله لئن دعا به لأخذن سيفي ، ثم لأقومن معه حتى ينتصف أو تموت جميعاً . فبلغت السور بن محرمة بن نوفل الزهري ، فقال مثل ذلك ، فبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله النخعي ، فقال مثل ذلك ، فبلغ ذلك الوليد بن عتبة ، فأنصف الحسين عليه السلام من نفسه حتى رضى .

\*\*\*

قال الزبير : وقد كان للحسين عليه السلام مع معاوية قصة مثل هذه ، كان بينهما كلام في أرض للحسين عليه السلام ، فقال له الحسين عليه السلام : اختر مني ثلاث خصال ؛ إما أن تشتري مني حتى ، وإما أن ترد علي ، أو تجعل بيني وبينك ابن عمراً وابن الزبير حكماً ؛ وإلا فالرابعة ، وهي الصلیم . قال معاوية : وما هي ؟ قال : أعتف بحلف الفضول ، ثم قام نفرج وهو مضطرب ، فرأى بعبد الله بن الزبير فأخبره ، فقال : والله لئن هتفت به وأنا مضطجع لأفقدن ، أو قاعد لأقومن ، أو قائم لأمشين ، أو ماشي لأسعين ، ثم لتفقدن روحي مع روحك ، أو لينصفنك . فبلغت معاوية ، فقال : لا حاجة لنا بالصليم ؛ ثم أرسل إليه أن ابعث فائتقد مالك ؛ فقد ابتعناه<sup>(١)</sup> منك .

قال الزبير : وحدثني بهذه القصة علي بن صالح عن جدّي عبد الله بن مصعب ، عن أبيه ، قال : خرج الحسين عليه السلام من عند معاوية وهو مضطرب ، فلقى عبد الله بن الزبير ، فحدثه بما دار بينهما ، وقال : لأخبرن في خصال ، فقال له ابن الزبير ما قال ، ثم ذهب إلى معاوية ، فقال : لقد لقيني الحسين فخيرت في ثلاث خصال ، والرابعة الصلیم ، قال معاوية : فلا حاجة لنا بالصليم ، أظنك لقيته مضطرباً ! فهات الثلاث ، قال : أن تجمعاني

أو ابن عمر بينك وبينه . قال : قد جعلتك بيني وبينه ، أو جعلت ابن عمر أو جعلتك كما جميعا . قال أو تقر له بحقه ثم تسأله إياه . قال : قد أقررت له بحقه وأنا أسأله إياه ، قال : أو تشره منه ، قال : قد اشتريته منه ، فما الصيلم ؟ قال : يهتف بخلف الفضول ، وأنا أول من يجيبه . قال : فلا حاجة لنا في ذلك .

وبلغ الكلام عبد الله بن أبي بكر والمسور بن مخرمة ، فقالا للحسين مثل ما قاله ابن الزبير .

\*\*\*

فأما تفجر الماء من تحت أخفاف بعير عبد المطلب في الأرض الجرّز فقد ذكره محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة ، قال : لما أنبط<sup>(١)</sup> عبد المطلب الماء في زمزم حسدته قريش ، فقالت له : يا عبد المطلب ، إنها بشر أينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقّا فأشركنا معك . قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر أمرٌ خصصت به دونكم وأعطيتُهُ من بينكم ، قالوا له : فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال : فاجعلوا بيني وبينكم حكما أحاكمكم إليه ، قالوا : كاهته بنى سعد بن هذيم ، قال : نعم ، وكانت بأشراف الشام ، فركب عبد المطلب في نفرٍ من بنى عبد مناف ، وخرج من كل قبيلة من قبائل قريش قوم ، والأرض إذ ذاك مفاوز<sup>(٢)</sup> ، حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فبدأهم كان مع عبد المطلب وبنى أبيه من الماء فعطشوا عطشا شديدا ، فاستسقوا قومتهم ، فأبوا أن يسقوهم ، وقالوا : نحن بمفازة ونحشى على أنفسنا مثل الذي أصابكم . فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم وخاف على نفسه وأصحابه الهلاك ، قال لأصحابه : ماترّون ؟ قالوا : ما رأينا إلا تتبع لرأيتك ، فمرنا بما أحببت ، قال : فإني أرى أن يحفر كل رجل منا حفرة لنفسه بمامعه الآن من القوة ؛ فكلما مات رجل دفنّه أصحابه في حفرة ؛ حتى يكون رجل واحد ، فضيعة

(١) أنبط الماء : استخرجه وطلبه .

(٢) المفاوز : جمع مفازة ، وهي البرية القفر ، أو التي لا ماء فيها ؛ وسميت مفازة لأن من خرج منها وتبعد عنها فاز وغنم .

رجل واحد أيسر من ضيعة ركب ، قالوا : نعم ما أشرت ! فقام كل رجل منهم فحفر حفرة لنفسه ، وقعدوا ينتظرون الموت . ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا كذا للموت ؛ لا نضرب في الأرض فنطلب الماء لنعجز ؛ قوموا فمسي الله أن يرزقنا ماء ببعض الأرض ، ارتحلوا ، فارتحلوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم مام صانعون ، فتقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها ، فلما انبعثت به انفجر من تحت خفها عين من ماء عذب ، فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه ، واستقوا حتى ملأوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش فقال لهم : هلموا إلى الماء ، فقد أسقانا الله ، فاشربوا واستقوا ، فجاءوا فشربوا واستقوا ، ثم قالوا : قد والله قضى الله لك علينا ، والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً ، فرجع ورجموا معه ، لم يصلوا إلى السكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم<sup>(١)</sup> .



وروى صاحب كتاب الواقدي أن عبد الله بن جعفر فاخر يزيد بن معاوية بين يدي معاوية ؛ فقال له : بأي آباءك تفاخرنى ؟ أبحرب الذى أجرناه ، أم بأمية الذى ملكناه ، أم بعبد شمس الذى كفلناه ! فقال معاوية : لحرب بن أمية يقال هذا ! ما كنت أحسب أن أحداً فى عصر حرب يزعم أنه أشرف من حرب ! فقال عبد الله : بلى أشرف منه من كفنا عليه إناؤه وجلاله<sup>(٢)</sup> بردائه ! فقال معاوية ليزيد : رويدا يا بني ، إن عبد الله يفخر عليك بك لأنك منه وهو منك . فاستحيا عبد الله وقال : يا أمير المؤمنين يدان انتشطنا<sup>(٣)</sup> وأخوان اضطرا . فلما قام عبد الله ، قال معاوية ليزيد : يا بني إياك ومنازعة

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) جلله بردائه : قطاه ؛ وفى حديث على : « اللهم جلل ثلاثة عثمان خزياء » ، أى غطهم به وألبسهم لباسه .

(٣) انتشطنا ، على البناء للمجهول ؛ انتزعنا واختلفنا .

بنى هاشم فإنهم لا يحكمون ماعلموا، ولا يجدُ مبغضهم لهم سبًا، قال: «أما قوله: أبحرَب الذى أجريناه»، فإن قریشا كانت إذا سافرت فصارَت على العقبة لم يتجاوزها أحدٌ حتى تجوزَ قریش، فخرج حربٌ ليلةً فلما صار على العقبة لقيه رجلٌ من بنى حاجب بن زُرارة تميميَ فتنحَّح حربٌ بنُ أمية وقال: أنا حرب بن أمية، فتنحَّح التميميَ وقال: أنا ابن حاجب ابن زُرارة، ثم بدر فجاز العقبة، فقال حرب: لاها الله لا تدخل بعدها مكة وأنا حي! فكث التميميَ حينًا لا يدخل، وكان متجرُّهُ بمكة، فاستشار بها بمن يستجير من حرب، فأشيرَ عليه بعبدِ المطلب أو بابنِ الزبير بن عبدِ المطلب. فركب ناقته وصار إلى مكة كيلاً، فدخلها وأناخ ناقته بباب الزبير بن عبد المطلب، فرغت<sup>(١)</sup> الناقة؛ فخرج إليه الزبير فقال: أمستجير فتجار، أم طالبٌ قرئ فتقرى! فقال:

لا قيتُ حربًا بالذنية مُقبلاً	والليلُ أبلجُ نوره للشاري
فملا بصوتٍ واكتفى ليروعي	ودعا بدعوة مُعلنٍ وشعار
فتركته خلتى وجزئت أمامه	وكذاك كنتُ أكونُ فى الأسفار
فمضى بهدًى ويمنع مكة	ألا أحلَّ به — ا — بدارٍ قرار
فتركته كالكلب يذبح وحده	وأبيتُ قرمَ مكارمٍ ونخار <sup>(٢)</sup>
كيتاً هزبراً يستجارُ بقربه	رحبَ اللبابة مكرماً للجار <sup>(٣)</sup>
وحلفتُ بالبيتِ العتيق وحجته	وبزمزمٍ والحجرِ والأستار
إن الزبير كمانى بمهند	صافى الحديد صارمٍ بشار

فقال الزبير: اذهب إلى المنزل فقد أجزتكَ. فلما أصبح نادى الزبير أخاه الفيداق،

(١) يقال: رغت الناقة ترغو رغاء: صوتت وضجت. وفي المثل: «كنى برغائها منادياً»، أى أن رغاء الناقة يقوم مقام النداء في التعرض للضيافة والغرى.

(٢) القرم من الرجال: السيد العظيم.

(٣) الهزبر: الأسد، واللبابة: المراح الذى تبيت فيه الإبل.

تفجرا متقاتلين سيفيهما ، وخرج التميمي معهما ، فقالا له : إنا إذا أجرنا رجلا لم نمش أمامه ، فامش أمامنا ترمقك أبصارنا كي لا تختلس من خلفنا . فجعل التميمي يشق مكة حتى دخل المسجد ، فلما بصر به حرب قال : وإنتك لها هنا ! وسبق إليه فلقمه ، وصاح الزبير : تكلك أمك ! أتلقمه وقد أجرته ! فثنى عليه حرب فلقمه ثانية ، فانتضى الزبير سيفه ، فحمل على حرب بين يديه ، وسعى الزبير خلفه فلم يرجع عنه حتى هجم حرب على عبد المطلب داره ، فقال : ما شأنك ؟ قال : الزبير ، قال : اجلس ، وكفأ عليه إناء كان هاشم يهشم فيه الثريد ، واجتمع الناس ، وانضم بنو عبد المطلب إلى الزبير ، ووقفوا على باب أبيهم بأيديهم سيوفهم ، فأرر عبد المطلب حربا بإزار كان له ، ورداه برداء له طرّفان ، وأخرجه إليهم ، فعملوا أن أباهم قد أجاره .

وأما معنى قوله : « أم بامية الذي ملكناه ! » ، فإن عبد المطلب راحن أمية بن عبد شمس على فرسين ، وجعل الخطر ممن سبقت فرسه مائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر إماء واستعباد سنة ، وجزّ الناصية . فسبق فرس عبد المطلب فأخذ الخطر فقسمه في قريش ، وأراد جزّ ناصيته ، فقال : أو أفندي منك باستعباد عشر سنين ! ففعل ، فكان أمية بعد في حشم عبد المطلب وعضاريطه<sup>(١)</sup> عشر سنين .

وأما قوله : « أم بعبد شمس الذي كفلناه ! » فإن عبد شمس كان مملقا لا مال له ، فكان أخوه هاشم يكفله ويمونه إلى أن مات هاشم .

\*\*\*

وفي كتاب " الأغاني " ، لأبي الفرج أن معاوية قال لدغفل<sup>(٢)</sup> النسابة : أرايت عبد المطلب ؟ قال : نعم ، قال : كيف رأيت ؟ قال : رأيت رجلا نبيلاً جميلاً وضيئاً ، كأن على

(١) العضاريط : جمع عضرط ، وهو الرجل الذي يخدم بطعام بطنه .

(٢) في الأصول : « دغبل » ، تصحيف ؛ وصوابه من الأغاني .



وجهه نور النبوة<sup>(١)</sup> . قال : أفرأيت أمية بن عبد شمس<sup>(٢)</sup> ؟ قال : نعم ، قال : كيف رأيته ؟ قال : رأيته رجلاً ضئيلاً<sup>(٣)</sup> متحنياً أحمر يقوده عبده ذكوان ، فقال معاوية : ذلك ابنه أبو عمرو ، قال : أنتم تقولون ذلك ، فأما قريش فلم تكن تعرف إلا أنه عبده<sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

ونقلت من كتاب " هاشم وعبد شمس " لابن أبي ربيعة الدياس .  
قال : روى هشام بن الكلبي عن أبيه ، أن نوفل بن عبد مناف ظلم عبد المطلب ابن هاشم أركاحاً له بمكة - وهي الساحات - وكان بنو نوفل يداً مع عبد شمس ، وعبد المطلب يداً مع هاشم ، فاستنصر عبد المطلب قوماً من قومه فقصروا عن ذلك ، فاستنجد أخواله من بني النجار ببيثرب ، فأقبل معه سبعون راكباً ، فقالوا لنوفل : لا والله يا أبا عدي ، ما رأينا بهذا الغائط ناشئاً أحسن وجهاً ، ولا أمداً جسمًا ، ولا أعف نفساً ، ولا أبعد من كل سوء من هذا الفتى - يعمون عبد المطلب - وقد عرفت قرابته منا ، وقد منعتنا ساحات له ، ونحن نحب أن ترد عليه حقه ، فردّه عليه ، فقال عبد المطلب :

تأبى مازنٌ وبنو عديٍّ      وذبيانُ بنُ تيم اللاتِ ضيعي  
وزادت مالكٌ حتى تنهت      ونسكب بعد نوفل عن حرمي

قال : ويقال إن ذلك كان سبب مخالفة خزاعة عبد المطلب .

قال : وروى أبو اليقظان سحيم بن حفص ؛ أن عبد المطلب جمع بنيه عند وفاته - وهم عشرة يومئذ - فأمرهم ونهأهم وأوصاهم وقال : إياكم والبغى ، فوالله ما خلق الله شيئاً

(١) الأغاني : « من رأيت من عليّة قريش ؟ فقال : رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمّية بن عبد شمس ، فقال : صفهما لي ، فقال : كان عبد المطلب أبيض مديد القامة حسن الوجه ، في جبينه نور النوة وعز الملك ، يطيف به عشرة من بنيه كأنهم أسد غاب » .

(٢) الأغاني : « قال : فصف لي أمية » . (٣) الأغاني : « نحيف الجسم ضريراً » .

(٤) الأغاني ١ : ١٢ ( طبعة دار الكتب ) .

أَجَلْ عَقُوبَةٍ مِنَ الْبَغْيِ ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى الْبَغْيِ إِلَّا إِخْوَتَكُمْ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ .  
 وَرَوَى الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ قَعْدَمٍ ، قَالَ : قَالَ عُمَانُ يَوْمًا : وَدِدْتُ أَنِّي رَأَيْتُ رَجُلًا  
 قَدْ أَدْرَكَ الْمَلُوكَ يَحْدِثُنِي عَمَّا مَضَى ؛ فَذُكِرَ لَهُ رَجُلٌ بِحَضْرَةِ مَوْتٍ ، فَبِعِثَ إِلَيْهِ فَخَذَ مِنْهُ حَدِيثَنَا  
 طَوِيلًا تَرَكْنَا ذِكْرَهُ إِلَى أَنْ قَالَ : أَرَأَيْتَ عَبْدَ الْمُطَلِّبِ بْنِ هَاشِمٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، رَأَيْتُ رَجُلًا  
 قَعْدًا <sup>(١)</sup> أَبْيَضَ طَوِيلًا مَقْرُونًا الْحَاجِبِينَ ، بَيْنَ عَيْنَيْهِ غُرَّةٌ يُقَالُ إِنَّ فِيهَا بَرَكَةً ، وَإِنْ فِيهِ  
 بَرَكَةٌ ، قَالَ : أَفَرَأَيْتَ أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ شَمْسٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، رَأَيْتُ رَجُلًا آدَمَ دُمِيًّا قَصِيرًا  
 أَعْمَى يُقَالُ : إِنَّهُ نَسَكْدُ ، وَإِنْ فِيهِ نَسَكْدٌ ، فَقَالَ عُمَانُ : « يَكْفِيكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ <sup>(٢)</sup> »  
 وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِ الرَّجُلِ .

وَرَوَى هِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ أَنَّ أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ شَمْسٍ لَمَّا كَانَ غُلَامًا ، كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ  
 فَسَمِيَ حَارِسًا .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي رُوَيْبَةَ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ أَوَّلَ قَتِيلٍ قَتَلَهُ بَنُو هَاشِمٍ مِنْ  
 بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ عَفِيفُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، قَتَلَهُ حِمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى  
 هَذَا الْخَبَرِ إِلَّا مِنْ كِتَابِ ابْنِ أَبِي رُوَيْبَةَ .

قَالَ : وَمِمَّا يَصْدُقُ قَوْلُ مَنْ رَوَى أَنَّ أُمَيَّةَ بْنَ عَبْدِ شَمْسٍ اسْتَعْبَدَهُ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ شَعْرَ  
 أَبِي طَالِبٍ بْنِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ حِينَ تَظَاهَرَتْ عَبْدُ شَمْسٍ وَنَوَافِلُ عَلَيْهِ وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَصَرُوهُمَا فِي الشَّعْبِ ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ :

تَوَالَى عَلَيْنَا مَوْلَانَا كِلَاهُمَا إِذَا سَثَلَا قَالَا إِلَى غَيْرِنَا الْأَمْرُ  
 بِسَلَى لَهَا أَمْرٌ وَلَكِنْ تَرَأَجَا كَمَا أَرْتَجَمَتْ مِنْ رَأْسِ ذِي الْقَلْعِ الصَّخْرُ  
 أَخَصَّ نَحْصًا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوَافِلَا هُمَا نَبَذَانَا مِثْلَ مَا تُنْبِذُ الْحُمْرُ  
 هُمَا أَغْمَضَا لِلْقَوْمِ فِي أَخَوِيهِمَا فَقَدْ أَصْبَحَتْ أَيْدِيهِمَا وَهْمَا صِفْرُ

(١) القعد : الحسن الهيئة .

(٢) مثل ، ولفظه في مجمع الأمثال ١ : ١٩٤ : « حبسك من شر سماعه » ، وأول من قاله أم الربيع  
 ابن زياد العيسى .

قَدِيمًا أَبُوهُمْ كَانَتْ عِبَادًا لَجَدْنَا      بَنِي أُمَّةٍ شَهْلَاءَ جَاشَ بِهَا الْبَحْرُ  
لَقَدْ سَفَّهُوا أَحْلَامَهُمْ فِي مُحَمَّدٍ      فَكَانُوا كَجُفَرٍ بَنَسَ مَا ضَفَطَتْ جُفَرُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

ثم نرجع إلى حكاية شيخنا أبي عثمان ، وقد نمزجه بكلام آخر لنا أولغير نائمٍ تعاطى  
الموازنة بين هذين البيتين.

قال أبو عثمان : فإن قالت أمية : لنا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم  
ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أربعة خلفاء في نسق ،  
قلنا لهم : ولبنى هاشم : هارون الوائلي بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن  
عبد الله المنصور بن محمد الكامل بن علي السجّاد ، كان يصلي كل يوم ليلة ألف ركعة ،  
فكان يقال له السجّاد لعبادته وفضله ، وكان أجمل قريش على وجه الأرض وأوسمها ،  
وُلِدَ ليلة قتل علي بن أبي طالب عليه السلام فُسِّيَ باسمه ، وكفى بكنيته ، فقال عبد الملك :  
لا والله لا أحتمل لك الاسم ولا الكنية ، فغير أحدهما ، فغير الكنية فصيرها أبا محمد بن  
عبد الله ، وهو البحر ، وهو حَبْر قريش ، وهو الملقب في الدين المعلم التأويل ، ابن العباس  
ذو الرأي ، وحليم قريش ، بن شعبة الحمد ، وهو عبد المطلب سيد الوادي بن عمرو ، وهو  
هاشم ، هَشم الثريد ، وهو القمر سُمِّيَ بذلك لجماله ، ولأنهم كانوا يقتدون ويهتدون برأيه ،  
ابن المغيرة وهو عبد مناف ، بن زيد ، وهو قصي وهو مجمع ، فهؤلاء ثلاثة عشر سيّدا  
لم يُحَرِّمَ منهم واحد ، ولا قصر عن الغاية ، وليس منهم واحد إلا وهو ملقب بلقب اشتق  
له من فعله الكريم ، ومن خلقه الجميل ، وليس منهم إلا خليفة ، أو موضع للخلافة أو سيّد  
في قديم الدهر منيع ، أو ناسك مُقَدِّم ، أو فقيه بارع ، أو حلیم ظاهر الرِّكَاة<sup>(٢)</sup> ؛ وليس  
هذا لأحد سواهم ، ومنهم خمسة خلفاء في نسق ، وهم أكثر مما عدته الأموية ، ولم يكن

(١) ضفطت : أحدثت ، والجمر : جمع جمرات ، وهي الاست .

(٢) الركاة : الوفاة والهيبة .

مروانُ كالمصور لأنَّ المنصور مَلَك البلاد ودَوَّخ الأقطار ، وضَبَط الأطراف اثنتين وعشرين سنةً ، وكانت خلافة مروانَ على خلاف ذلك كله ، وإِنَّمَا بَقِيَ في الخلافة تسعة أشهر حتى قتلته امرأته عاتكة بنت يزيدَ بن معاوية حين قال لابنها خالد من بَعْلِهَا الأول : يا بن الرطبة . ولئن كان مروان مستوجبالاسم الخلافة مع قلة الأيام وكثرة الاختلاف واضطراب البلدان فضلاً عن الأطراف ، فابن الزبير أولى بذلك منه ، فقد كان مَلَك الأرض إلا بعضَ الأزدنَ ، ولكن سَاطِئَ عبد الملك وأولاده لما اتَّصل بساطن مروان اتَّصل عند القوم ما انقطع منه وأخفى مَوْضِعَ الوَهْن عند من لا عِلْمَ له ، وسِنُو المَهْدَى كانت سِنِي سلامة ، وما زال عبدُ الملك في انتقاض وأتسكاث ، ولم يكن ملك يزيد كملك هارون ، ولا ملك الوليد كملك المعتصم .

قلت : رحم الله أبا عثمان ! لو كان اليومَ كَعَدَّ من خلفاء بني هاشم تسعةً في نَسَقٍ : المستعصم بن المستنصر بن الطاهر بن المستضيء بن المستنجد بن المقتفي بن المستظهر بن المقتدر . والطالبيون بمصر يعدُّون عشرةً في نَسَقٍ : الأمير بن المستعلي بن المستنصر بن الطاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعتز بن المنصور بن القائم بن المهدي .

قال أبو عثمان : وتفخَّر عليهم بنو هاشم بأن سِنِي مُلْكِهِمْ أَكْثَرُ ، ومدَّته أطولُ ، فَإِنَّهُ قد بلغتْ مدَّةُ مُلْكِهِمْ إلى اليوم أربعاً وتسعين سنة . ويفخرون أيضاً عليهم بأنَّهم ملكوا بالميراث وبحقِّ العصبة والعمومة ، وأنَّ مُلْكِهِمْ في مَعْرِسِ نبوة ، وأنَّ أسبابهم غير أسباب بني مروان ، بل ليس لبني مروانَ فيها سبب ، ولا بينهم وبينها نَسَبٌ ، إلا أن يقولوا : إِنَّا من قريش فيسأووا في هذا الاسم قريش الظواهر ، لأن رواية الراوي : «الأئمة من قريش» واقعة على كلِّ قرشيٍّ ، وأسباب الخلافة معروفة ، وما يدَّعيه كلُّ جيل معلوم ؛ وإلى كلِّ ذلك قد ذهبَ الناس ، فمنهم من ادَّعاه لعلِّي عليه السلام لاجتماع القرابة والسابقة والوصية ؛ فإن كان الأمرُ كذلك فليس لآل أبي سفيان وآل مروانَ فيها دعوى ، وإن كانت

إنما تُنال بالوراثه ، وتُستحقّ بالعمومه ، وتُستوجب بحقّ العصبه ، فليس لهم أيضا فيها دعوى . وإن كانت لا تُنال إلا بالسوابق والأعمال والجهاد ، فليس لهم في ذلك قدم مذكور ، ولا يوم مشهور ، بل كانوا إذ لم تكن لهم سابقة ، ولم يكن فيهم ما يستحقّون به الخلافه ، ولم يكن فيهم ما يمنعهم منها أشدّ المنع ، لكان أهون ، ولكان الأمر عليهم أيسر ، قد عرفنا كيف كان أبو سُفيان في عداوة النبی صلی الله علیه وآله وفي محاربه له ، وإجلا به عليه وغزوه إياه ، وعرفنا إسلامه حيث أسلم ، وإخلاصه كيف أخلص ، ومعنى كلمته يوم الفتح حين رأى الجنود وكلامه يوم حنين ، وقوله يوم صعد بلال على السكبه ، فأذن . على أنه إنما أسلم على يدى العباس رحمه الله ، والعباس هو الذى منع الناس من قتله ، وجاء به رديفا إلى رسول الله صلی الله علیه وآله ، وسأله فيه أن يُشرّفه وأن يكرّمه وينوّه به ، وتلك يدٌ بيضاء ، ونعمة غراء ، ومقام مشهود ، ويوم حنين غير مجحود ، فكان جزاءه بنى هاشم من بنيه أن حاربوا عليّا ، وسمّوا الحسن ، وقتلوا الحسين ، وحمّلوا النساء على الأقتاب حواسر<sup>(١)</sup> ، وكشفوا عن عورة عليّ بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه كما يصنع بذرارى المشركين إذا دخلت دُورهم عثوة ، وبعمش معاوية بسُر بن أرطاة إلى اليمن ؛ فقتل أثنى عبيد الله بن العباس ، وها غلامان لم يبلغا الحلم ، وقتل عبيد الله بن زياد يوم الطّف تسعة من صُلب عليّ عليه السلام ، وسبعة من صُلب عقيل ، ولذلك قال ناعيم :

عين جودي بمنبره وعويل      وأندبى إن تدبّت آل الرسول  
تسعة كلهم لصُلب عليّ      قد أصيبوا وسبعة لعقيل

ثم إن أمية تزعم أن عقيلًا أعان معاوية على عليّ عليه السلام ، فإن كانوا كاذبين فما أولاهم بالكذب ! وإن كانوا صادقين فما جازوا عقيلًا بما صنع ! وضرب عنق مسلم

(١) حواسر : كواشف .

ابن عقيل صبراً وغدراً بعد الأمان ، وقتلوا معه هاني بن عروة لأنه آواه ونصره ،  
ولذلك قال الشاعر :

فإن كنت لا تدرين ما الموتُ فأنظري إلى هاني في السوق وابن عقيل<sup>(١)</sup>  
ترى بطلاً قد هشم السيف وجهه<sup>(٢)</sup> وآخر يهوى من طمار قتييل  
وأكلت هند كبد حمزة ، فمنهم آكلة الأكباد ، ومنهم كنف النفاق ، ومنهم  
من نقر بين نديتي الحسين عليه السلام بالقضيب ، ومنهم القاتل يوم الحرّة عون بن  
عبد الله بن جعفر ، ويوم الطفّ أبا بكر بن عبد الله بن جعفر . وقتل يوم الحرّة أيضاً  
من بني هاشم الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والعبّاس بن  
عُتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب ، وعبد الرحمن بن العبّاس بن ربيعة بن الحارث  
ابن عبد المطلب .



\*\*\*

قلت : إن أبا عثمان قايّس بين مدّتي ملكهما وهو حينئذ في أيام الواقع ، ففضل  
هؤلاء عليهم ، لأن ملكهم أطول من ملكهم بعشر سنين ، فكيف به لو كان اليوم  
حيّاً ، وقد امتدّ ملكهم خمسمائة وستّ عشرة سنة ! وهذا أكثر من ملك البيت  
الثالث من ملوك الفرس بنحو ثلاثين سنة . وأيضاً فإن كان الفخر بطول مدّة الملك  
فينو هاشم قد كان لهم أيضاً ملكٌ بمصر نحو مائتين وسبعين سنة ، مع ما ملكوه بالمغرب  
قبل أن ينتقلوا إلى مصر .

\*\*\*

(١) البيتان في اللسان ٦ : ١٧٤ ؛ ونسبهما إلى سليم بن سلام الخنقي .  
(٢) اللسان : قد عقر السيف . وطمار : المكان العالي ؛ قال صاحب اللسان : « وينشد من طمار  
بفتح الراء وكسرهما ، مجرى وغير مجرى » قال : « ويروى : قد قرح السيف وجهه » .



قال أبو عثمان : وقالت هاشمٌ لأُمِّيَّة : قد علم الناسُ ما صنعتمُ بنا من القتلِ  
والنشرِ ، لا لذنوبِ أئمتنا إلكم ، ضربتمُ عليَّ بنَ عبدِ الله بنِ عباسٍ بالسيِّاطِ  
مرتين ، على أن تزوجَ بنتَ عمِّه الجعفرية التي كانت عند عبدِ الملك ، وعلى أن نَحْكُمُوهُ  
قتلِ سليط ، وسمَّيتمُ أبا هاشمٍ عبدَ الله بنَ محمد بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام ،  
ونَبَشْتُمُ زَيْدًا وصَلَبْتُمُوهُ ، وألقيتمُ رأسَه في عَرَصَةِ الدارِ تَوَطَّأُ بالأقدام ، وينقرُ دماغه  
الدَّجَاجُ ، حتى قال القاتلُ :

اطرُدِ الدَّيْلَكَ عَنْ ذُوَابَةِ زَيْدٍ طالما كان لا تطأهُ الدَّجَاجُ

وقال شاعرُكم أيضاً :

صَلَبْنَا لَكُمْ زَيْدًا عَلَى جَذَعِ نَخْلَةٍ وَلَمْ نُرْ مَهْدِيًّا عَلَى الْجَذَعِ يُصَلَبُ  
وَقَسَّمْتُمْ بَعْمَانَ عَلِيًّا سَفَاهَةً وَعُمَانَ خَيْرًا مِنْ عَلِيٍّ وَأَطْيَبُ

فَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الصَّالِحِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا  
فَسَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ ، فخرج يوماً بسفرٍ له ، فعرضَ له الأسدُ فافترسه . وقتلتمُ الإمامَ  
جعفرًا الصادقَ عليه السلام ، وقتلتمُ يحيى بنَ زيد ، وسميتمُ قاتله : ناثر مروان ،  
وناصر الدين ، هذا إلى ما صنع سليمان بن حبيب بن المهلب عن أسركم وقولكم بعبد الله  
أبي جعفر المنصور قبلَ الخلافة ، وما صنع مروان إبراهيمَ الإمام ، أدخل رأسه في جرابِ  
نُورَةٍ حتى مات ، فإن أنشدتمُ :

أَفَاضَ الْمَادَامِيعَ قَتَلَى كَدَى وَقَتَلَى بِكُنُوتَةٍ لَمْ تَرَمَسْ  
وَبِالزَّابِيَيْنِ نَفْسٌ ثَوَتْ وَأُخْرَى بِبَهَرِ أَبِي فَطْرَسٍ  
أَنشَدْنَا نَحْنُ :

وَاذْكُرُوا مَصْرَعَ الْحُسَيْنِ وَزَيْدًا وَقَتِيلًا بِجَانِبِ الْمَهْرَاسِ



والقتيل الذي بنجران أمسى ثلويًا بين غربةٍ وتناسٍ  
وقد علمت حال مروان أيكم وضعفه ، وأنه كان رجلاً لافقه له ، ولا يعرف بالزهد ولا  
الصلاح ، ولا برواية الآثار ، ولا بصحبة ولا ببعده ، وإنما ولي رستاقاً من رساتيق  
دار بجرّد لابن عامر ، ثم ولي البحرين لمعاوية ، وقد كان جمع أصحابه ومن تابعه ليبيع ابن  
الزبير حتى رّده عبيد الله بن زياد ، وقال يوم مرج راهط ، والرهوس تنذر<sup>(١)</sup> عن كواهاها  
في طاعته :

وما ضرّهم غير حين النفوس وأى غلامى قريش غلب  
هذا قول من لا يستحق أن يلي ربعاً من الأرباع ، ولا خمسا من الأخماس ، وهو أحد  
من قتلته النساء لكلمة كان حنّفه فيها .  
وأما أبوه الحكم بن العاص فهو طريدُ رسول الله صلى الله عليه وآله ولعينه والمتخلى  
في مشيته ، الحاكي لرسول الله صلى الله عليه وآله ، والمستمع عليه ساعة خلوته ، ثم صار طريداً  
لأبي بكر وعمر ، امتنعاً عن إعادته إلى المدينة ، ولم يقبل شفاعَةَ عثمان ، فلما ولى أدخله ،  
فكان أعظم الناس شؤماً عليه ، ومن أكبر الحجاج في قتله وخلعه من الخلافة ، فعبد  
الملك أبو هؤلاء الملوك الذين تفتخر الأموية بهم أعرقُ الناس في الكفر لأب أحد  
أبويه الحكم هذا ، والآخر من قبل أمّه معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ؛ كان النبي صلى  
الله عليه وآله طرده من المدينة ، وأجله ثلاثاً ، فخبره الله تعالى حين خرج ، وبقي متردداً  
متلذذاً حولها لا يهتدى لسبيله ، حتى أرسل في أثره عليّاً عليه السلام وعماراً ، فقتلاه ، فأنتم  
أعرقُ الناس في الكفر ، ونحن أعرقُ الناس في الإيمان ؛ ولا يكون أمير المؤمنين إلا  
أولاهم بالإيمان ، وأقدمهم فيه .

قال أبو عثمان : وتفتخر هاشم بأن أحداً لم يجد تسعين عاماً لا طواعين فيها إلا منذ  
ملكوا ، قالوا : لو لم يكن من بركة دعوتنا إلا أن تعذيب الأسماء بحال الخراج

(١) تنذر ؛ أى تسقط فلا يحسب بها .

بالتعليق والزَّهْق والتجريد والتسمير والمساله والنورة والجورتين والعذراء والجامعة  
والتشطيب قد ارتفع لكان ذلك خيرا كثيرا ، وفي الطاعون يقول العُمَافِيّ الراجز  
يذكر دَوْلَتنا :

قد رفعَ اللهُ رِمَاحَ الجنِّ وأذهبَ التعذيبَ والتَّجَنِّي  
والعرب تسمي الطواعين رِمَاحَ الجنِّ ، وفي ذلك يقول الشاعر :

لعمرك ما خَشِيتُ على أبيِّ رِمَاحَ بنى مقيِّدة الحمارِ  
ولكنِّي خَشِيتُ على أبيِّ رِمَاحَ الجنِّ أو إِيَّاكَ حارِ  
يقول بعضُ بنى أسد للحارث النسانيّ الملك .

قال أبو عثمان : وتفخر هاشمٌ عليهم بأنهم لم يهدموا الكعبة ، ولم يحوّلوا القبلة ، ولم  
يحملوا الرسول دون الخليفة ، ولم يحنتموا في أعناق الصحابة ، ولم يغيّروا أوقات الصلوات ، ولم  
ينقشوا أكفّ المسلمين ، ولم يأكلوا الطعام ويشرّبوا على منبر رسول الله صلى الله عليه  
 وآله ، ولم يهبطوا الحرم ، ولم يطنوا السلطات دار في الإسلام بالسَّباء .

\*\*\*

قلت : نقلت من كتاب " افتراق هاشم وعبد شمس " لأبي الحسين محمد بن علي بن  
نصر المعروف بابن أبي رُوَيْبة الدباس قال : كان بنو أمّية في ملكهم يؤذّنون ويقيمون  
في العيد ويخطبون بعد الصلاة ، وكانوا في سائر صلاتهم لا يجهرون بالتكبير في الركوع  
والسجود ، وكان لهشام بن عبد الملك خصيٌّ إذا سجد هشام وهو يصلي في المقصورة قال :  
لا إله إلا الله ؛ فيسمع الناس فيسجدون ، وكانوا يقيمون في إحدى خطبتي العيد والجمعة  
ويقومون في الأخرى ، قال : ورأى كعب مروان بن الحكم يخطب قاعدا ، فقال : انظروا

إلى هذا يَخْطُبُ قاعداً ، واللهُ تعالى يقول لرسوله : ﴿ وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ <sup>(١)</sup> .

قال : وأوّل من قعد في الخطب معاوية ، وأوّل من أذن وأقام في صلاة العيد بشرُّ ابنِ مروان ، وكان عمّال بني أمية يأخذون الجزية ممن أسلم من أهل الذمة ، ويقولون : هؤلاء قرّوا من الجزية ، ويأخذون الصدقة من الخيل ، وربما دخلوا دار الرجل قد نفق <sup>(٢)</sup> فرسه أو باعه ، فإذا أبصروا الآخية ، قالوا : قد كان هاهنا فرس ، فهات صدقها ، وكانوا يؤخّرون صلاة الجمعة تشاغلاً عنها بالخطبة ، ويُطيلون فيها ، إلى أن تتجاوز وقت العصر ، وتسكاد الشمس تصفرّ ؛ فعل ذلك الوليدُ بن عبد الملك ويزيدُ أخوه والحجاجُ عاملهم ، ووكل بهم الحجاج المسالخ معه والسيوف على رؤوسهم ، فلا يستطيعون أن يصلّوا الجمعة في وقتها .

وقال الحسن البصري : واعجباً من أخيفش <sup>(٣)</sup> أعيمش إجماعاً ففتننا عن ديننا ، وصعد على منبرنا ، فيخطب والناس يلتفتون إلى الشمس فيقول : ما بالكم تلتفتون إلى الشمس ! إنّا والله ما نصلى للشمس ، إنما نصلى لربّ الشمس ! أفلا تقولون : ياعدو الله ، إن الله حقاً بالليل لا يقبله النهار ، وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل ؛ ثم يقول الحسن : وكيف يقولون ذلك وعلى رأس كل واحد منهم عِج <sup>(٤)</sup> قائمٌ بالسيف !

قال : وكانوا يسبون ذراري الخوارج من العرب وغيرهم ؛ لما قتل قريب وزخاف الخارجيان ، سبي زياد ذراريهما ، فأعطى شقيق بن ثور السدوسي إحدى بناتهما ، وأعطى عباد بن حصين الأخرى . وسُبيت بنت لمبيدة بن هلال اليشكري ، وبنت لقطريّ ابن الفجاءة المازني ، فصارت هذه إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك ، واسمها أم سلمة ؛

(٢) نفق فرسه ؛ أي مات .

(١) سورة الصنف ١١ .

(٣) الخفش بالتحريك : ضيق في البصر وضعف في العين . (٤) العج : الرجل القوي الضخم .

( ١٦ - نهج - ١٥ )

فوطئها بملك اليمن على رأيهم ، فوكدت له المؤمل ، ومحمدا ، وإبراهيم ، وأحمد ، وحصينا ؛  
 بنى عباس بن الوليد بن عبد الملك . وسبي وأصل بن عمرو القنا واسترق ، وسبي سعيد  
 الصغير الحروري واسترق ، وأم يزيد بن عمر بن هبيرة ، وكانت من سبي عمان الذين  
 سباهم جماعة ، وكانت بنو أمية تبع الرجل في الدين يلزمه وترى أنه يصير بذلك رقيقا .  
 كان معن أبو عمير بن معن الكاتب حرا مولى لبني العنبر ، فبيع في دين عليه ،  
 فاشتراه أبو سعيد بن زياد بن عمرو المتكفي ، وباع الحجاج على بن بشير بن الماحوز لكونه  
 قتل رسول المهلب على رجل من الأزد .

فأما الكعبة فإن الحجاج في أيام عبد الملك هدمها ، وكان الوليد بن يزيد يصلي  
 إذا صلى أوقات إفاقته من السكر إلى غير القبلة ، فقل له ، فقرا : ﴿ فَأَيْتَمَّا تَوَلَّوْا فَنِمَّ  
 وَجْهَهُ اللَّهُ ﴾ (١) .

وخطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله صلى الله عليه وآله  
 بالمدينة ، فقال : تبأ لهم ! إنما يطوفون بأعواد ورمية بالية ! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين  
 عبد الملك ! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله !

قال : وكانت بنو أمية تحميم في أعناق المسلمين كما توسم الخيل علامة لاستعبادهم .  
 وباع مسلم بن عقبة أهل المدينة كفة ، وفيها بقايا الصحابة وأولادها وصلحاء التابعين  
 على أن كلاً منهم عبد قن (٢) لأمر المؤمنين يزيد بن معاوية ، إلا علي بن الحسين  
 عليه السلام ، فإنه بايعه على أنه أخوه وابن عمه .

قال : ونقشوا أكف المسلمين علامة لاسترقاقهم ، كما يصنع بالعلوج من الروم  
 والحيشة . وكانت خطباء بني أمية تأكل وتشرب على المنبر يوم الجمعة لإطالتهم

(١) سورة البقرة ١١٥ .

(٢) المبد القن : الذي ولد عندك ولا يستطيع أن يخرج عنك .

في الخطبة ، وكان المسلمون تحت منبر الخطبة يأكلون ويشربون .

\*\*\*

قال أبو عثمان : وتفخر بنو العباس على بني مروان ، وهاشم على عبد شمس ؛ بأن الملك كان في أيديهم فأنزعوه منهم ، وغلبوهم عليه بالبطش الشديد ، وبالحيلة اللطيفة ، ثم لم ينزعوه إلا من يد أشجعهم شجاعة ، وأشدّهم تدبيراً ؛ وأبعدهم غوراً ، ومن نشأ في الحروب ورُبّي في الثغور ، ومن لا يعرف إلا الفتوح وسياسة الجنود ، ثم أعطى الوفاء من أصحابه والصبر من قوّاده ، فلم يغدر منهم غادر ، ولا قصر منهم مقصر ، كما قد بلغك عن حنظلة بن نباتة ، وعامر بن ضبارة ، ويزيد بن عمر بن هبيرة ، ولا أحد من سائر قوّاده حتى من أحبّابه وكتبابه كعبد الحميد الكاتب ، ثم لم يلقه ، ولا لقي تلك الحروب في عامّة تلك الأيام إلا رجال ولد العباس بأنفسهم ، ولا قام بأكثر الدولة إلا مشايخهم كعبد الله بن عليّ ، وصالح بن عليّ ، وداود بن عليّ ، وعبد الصمد بن عليّ ، وقد لقيهم المنصور نفسه .

قال : وتفخر هاشم أيضاً عليهم بقول النبي صلى الله عليه وآله - وهو الصادق المصدّق : « نَقَلْتُ مِنَ الْأَصْلَابِ الزَّاكِيَةَ ، إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ ، وَمَا أَفْتَرَقْتُ فِرْقَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا » . وقال أيضاً : « بعثت من خيرة قريش » .

ومعلوم أن بني عبد مناف افترقوا فكانت هاشم والمطلب بدءاً ، وعبد شمس ونوفاً بدءاً . قال : وإن كان الفخر بكثرة العدد فإنه من أعظم مفاخر العرب ، فولد علي بن عبد الله بن العباس اليوم مثل جميع بني عبد شمس ، وكذلك ولد الحسين بن عليّ عليه السلام ، هذا مع قرب ميلادها ؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وآله : شوهاه ولؤوده خير من حسناء عقيم » . وقال : « أنا مكائر بكم الأمم » .

وقد روى السعبي عن جابر بن عبد الله ؛ أن النبي صلى الله عليه وآله قدّم من سفر ،

فأراد الرجال أن يَطْرُقُوا النساءَ لَيْلًا ، فقال : « امهلوا حتى تَمْتَشِطَ <sup>(١)</sup> الشَّعْثَةَ ،  
وتستحِدَّ <sup>(٢)</sup> المَغِيبَةَ ، فإذا قَدِمْتُمْ فَالْكَيْسُ الْكَيْسُ » . قالوا : ذهب إلى طَلَبِ الْوَلَدِ ،  
وكانت العربُ تَفْخَرُ بِكَثْرَةِ الْوَلَدِ ، وَتَمْدَحُ الْفَحْلَ الْقَبِيْسَ <sup>(٣)</sup> ، وَتَذُمُّ الْعَاقِرَ وَالْعَقِيمَ .  
وقال عامرُ بْنُ الطَّفِيلِ يعني نفسه :

لَبِئْسَ الْفَتَى إِنْ كُنْتُ أَعْوَرَ عَاقِرًا جَبَانًا فَمَا عُذْرِي لَدَى كُلِّ مُحَضَّرٍ !  
وقال عاتمةُ بْنُ عَلَانَةَ يَفْخَرُ عَلَى عَامِرٍ : آمَنْتُ وَكَفَرْتُ ، وَوَفَيْتُ وَعَدَرْتُ ،  
وَوَلَدْتُ وَعَقَرْتُ .

وقال الزُّبَيْرُ قَان :

فَأَسْأَلُ بَنِي سَعْدِ وَغَيْرَهُمْ يَوْمَ الْفَخَارِ فَمَنْهُمْ خُبْرِي  
أَيَّ امْرَأَةٍ أَنَا حِينَ يَحْضُرُنِي رَفْدُ الْمَطَاءِ وَطَالِبُ النَّصْرِ  
وَإِذَا هَلَكْتُ تَرَكْتُ وَسْطَهُمْ وَلَدِي الْكِرَامُ وَنَابَهُ الذُّكُورُ <sup>(٤)</sup>  
وقال طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ :

فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بْنَ خَالِدٍ وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْرُو بْنَ مَرْثَدٍ <sup>(٥)</sup>  
فَأَصْبَحْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَعَادَنِي بَنُونَ كِرَامٍ سَادَةٌ لِمَسُودٍ  
وَمَدَحَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ نَاسًا فَقَالَ :

لَمْ يَحْرَمُوا طَيْبَ النِّسَاءِ وَأَمَتَهُمْ طَفَحَتْ عَلَيْكَ بَنَاتِي مِذْكَارٍ <sup>(٦)</sup>

(١) تَمْتَشِطُ : تَرْجُلُ شَعْرَهَا وَتَصَفِّفُهُ ، وَالشَّعْثَةُ : الْمَلْبَدَةُ الشَّعْرُ .

(٢) الْمَغِيبَةُ : الَّتِي غَابَ عَنْهَا وَجْهُهَا . وَالِاسْتِحْدَادُ حُلْيُ الْعَانَةِ (٣) الْقَبِيْسُ كَأَمِيرٍ : الْفَعْلُ السَّرِيعُ الْإِلْقَاحِ .

(٤) يُقَالُ : تَبِهَ فُلَانٌ أَيَّ شَرَفٍ فَهُوَ نَابَهُ وَنَبِيهِ .

(٥) دِيْوَانُهُ ٥٨ .

(٦) دِيْوَانُهُ ٣٧ ، وَرَوَاتُهُ : « لَمْ يَحْرَمُوا حَسَنَ الْفِئَاءِ » . وَطَفَحَتْ : انْبَعَثَ وَغَلَبَتْ . وَالنَّاتِقُ ،

مَأْخُوذٌ مِنْ نَتَقِ السَّيْفِ ، يُقَالُ : انْتَقَى سَيْفًا ، أَيَّ انْفَضَّ مَا فِيهِ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنَّهَا تَنْفُضُ مَا فِي رَحِمِهَا .

وَالْمَذْكَارُ : الَّتِي تَلِدُ الذُّكُورَ .



وقال نهشل بن حرّى :

على بنى يشدّ الله عظمهم      والذئب يُذبت قُضباناً فيكتهل  
ومسكت الفرزدق زماناً لا يولد له فغيرته امرأته ، فقال :

قالت أراه واحداً لا أخاله      يؤمله فى الوارئين الأبعد<sup>(١)</sup>

لعلك يوما أن ترىنى كأنما      بنى حوالى الليوث الخوارد<sup>(٢)</sup>

فإن تما قبل أن يلد ألصا      أقام زماناً وهو فى الناس واحد

وقال الآخر ، وقد مات إخوته ، وملاً حوضه ليسقى ، فجاء رجل صاحب عشيرة

وعترة ، فأخذ بضبعه ففتحاه ، ثم قال لراعيه : اسقى إبلك :

لو كان حوض حمارٍ ما شربت به      إلا بإذن حمارٍ آخر الأبد

لكنه حوض من أودى بإخوته      ريب المنون فأمسى بيضة البلد

لو كان يشكى إلى الأموات مالى      أحياء بعدهم من قلة العدد

ثم أشتكى لأشكائى وأنجدنى      قبرٌ بسنجار أو قبرٌ على فخذ<sup>(٣)</sup>

وقال الأعشى وهو يذكر الكثرة :

واستُ بالأكثر منهم حصى      وإتسا العيزة للكثير

قال : وقد ولد رجال من العرب كلٌّ منهم يلد لصلبه أكثر من مائة ، فصاروا

بذلك مفخراً ، منهم عبدُ الله بن عمير اللثي ، وأنس بن مالك الأنصارى ، وخليفة بن

برّ السعدى ، أتى على عامتهم الموت الجارف . ومات جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله

ابن العباس عن ثلاثة وأربعين ذكراً وخمس وثلاثين امرأة كلهم لصلبه ، فما ظنك بمن

مات من ولده فى حياته ! وليس طبقة من طبقات الأئمان الموت إليها أسرع ، وفيها أعم

(١) ديوانه ١٧٢ ، وروايته : « تقول أراه » .

(٢) الخوارد : العثرون ؛ ورواية الديوان :

فإن عسى أن تبصرينى كأنما      بنى حوالى الأسود اللوابد

(٣) سنجار : بلد على ثلاثة أيام من الوصل .



وأفشى من سنّ الطُّفُولِيَّة ، وأمرُ جعفر بنِ سليمانَ قد عاينه عالمٌ من الناس ، وعامتهم  
أحياء ، وليس خبر جعفر كخبر غيره من الناس .

قال الهيثم بن عديّ : أفضى الملك إلى ولده العباس ، وجميع ولد العباس يومئذٍ من  
الذكور ثلاثة وأربعون رجلاً ، ومات جعفر بن سليمانَ وحده عن مثل ذلك العدد من  
الرجال . ومن قرُب ميلاده وكثر نسله حتى صار ك بعض القبائل والعماثر أبو بكر صاحبُ  
رسول الله صلى الله عليه وآله ، والمطلب بن أبي صُفْرة ، ومسلم بن عمرو الباهليّ ، وزِيَاد  
ابن عبيد أميرُ العراق ، ومالك بن مِسْمَع . وولّد جعفر بن سليمانَ اليومَ أكثرُ عدداً من  
أهل هذه القبائل . وأربعةٌ من قريش ترك كل واحد منهم عشرةً بنين مذكورين  
معروفين وهم : عبدُ المطلب بن هاشم ، والمطلب بن عبد مناف ، وأمّية بن عبد شمس ،  
والغيرة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وليس على ظهر الأرض هاشمياً إلا من  
ولّد عبد المطلب ، ولا يشك أحدٌ أن عددَ الهاشميين شبيه بعدد الجميع ، فهذا ما في  
الكثر والقلّة .

قلتُ : رحمَ الله أبا عثمان ! لو كان حيّاً اليومَ لرأى ولّد الحسن والحسين - عليهما  
السلام - أكثرَ من جميع العرب الذين كانوا في الجاهلية على عصرِ النبي صلى الله عليه  
وآله المسلمين منهم والكافرين ، لأنهم لو أحصوا لما نقص ديوانهم عن مائتي  
ألف إنسان .

قال أبو عثمان : وإن كان الفخر ينبل الرأي ، وصواب القول ، فمن مثلُ عباس بن  
عبد المطلب وعبد الله بن العباس ! وإن كان في الحكم والسُّودد وأصالة الرأي والقناء  
العظيم فمن مثلُ عبد المطلب ! وإن كان إلى الفقه والعلم بالتأويل ومعرفة التأويل وإلى القياس  
الشديد وإلى الألسنة الحداد والخطب الطوال ، فمن مثلُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام  
وهيّد الله بن عباس !

قالوا : خطبنا عبد الله بن عباس خطبة بمكة أيام حصار عثمان لو شهدها الترك والديلم لأسلموا .

وفي عبد الله بن العباس يقول حسان بن ثابت :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ      بملتقطاتٍ لا ترى بينها فضلاً  
شقي وكفى مافي النفوس فلم يدع      لذي إريفة في القول جدّاً ولا هزلاً

وهو البحر ، وهو الخبير ؛ وكان عمرُ يقول له في حديثه عند إجابة الرأي : غصن ياغواص<sup>(١)</sup> ؛ وكان يقدمه على جلة السلف .

قلت : أبي أبو عثمان إلا إعراضاً عن علي عليه السلام ، هلاً قال فيه كما قال في عبد الله ! فلمعمرى لو أراد لو جد مجالا ، ولألفي قولاً وسيعا ؛ وهل تعلم الناس الخطب والمهود والفصاحة إلا من كلام علي عليه السلام ! وهل أخذ عبد الله رحمه الله الفقه وتفسير القرآن إلا عنه ! فرحم الله أبا عثمان ، لقد غلبت البصرة وطينتها على إصابته رأيه ! قال أبو عثمان : وإن كان الفخر في البسالة والنجدة وقتل الأقران وجزر الفرسان ، فمن كحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب ! وكان الأحنف إذا ذكر حمزة قال : أ كيس ، وكان لا يرضى أن يقول : شجاع ، لأن العرب كانت تجعل ذلك أربع طبقات ، فتقول : شجاع ، فإذا كان فوق ذلك قالت : بطل ، فإذا كان فوق ذلك قالت : بهمة ، فإذا كان فوق ذلك قالت : أ كيس . وقال المعجاج :

\* أ كيس عن حوَّائه سخي \*

وهل أكثر ما يعد الناس من جرّحاهما وصرّعاها إلا سادتكم وأعلامكم ! قتل حمزة وعلي عليه السلام عتبة والوليد ، وقتلاً شبيهاً أيضاً ، شرّ كما عبدة بن الحارث فيه ؛ وقتل علي عليه السلام حنظلة بن أبي سفيان . فأما آباء ملوككم من بني مروان فلا يهم كما قال

(١) يريد أنه درب بالأمور ، عارف بدقيقها وجليلها .

عبدُ الله بن الزبير لما أتاه خبر المصعب : إنا والله مائتوت حَبَجًا<sup>(١)</sup> كما يموت آلُ أبي العاص ، والله ما قُتِلَ منهم قَتِيلٌ في جاهليّة ولا إسلام ، وما يموت إلا قَتْلًا ؛ قَعَصًا<sup>(٢)</sup> بالرماح ، ومَوْتًا تحتَ ظلالِ السيوف .

قال أبو عثمان : كأنه لم يعد قتل معاوية بن المنيرة بن أبي العاص قتلًا، إذ كان إنما قتل في غير معركة ، وكذلك قتل عثمان بن عفان ؛ إذ كان إنما قتل محاصرًا ، ولا قتل مروان ابن الحَكَم ؛ لأنه قتل خَنَقًا ، خَنَقَتُهُ النِّسَاء . قال : وإنما نغر عبدُ الله بنُ الزبير بما في بني أسد بن عبد العزى من القَتْلِ ، لأن من شأن العرب أن يفخروا بذلك ، كيف كانوا قاتلين أو مَقْتُولِينَ ، ألا ترى أنك لا تصيب كثرة القَتْلِ إلا في القوم المعروفين بالبأس والنَّجْدَة وبكثرة اللِّقاء والمُحَارَبَة ، كآل أبي طالب ، وآل الزبير ، وآلِ المهلب !

قال : وفي آل الزبير خاصة سبعة مقتولون في نسق ولم يوجد ذلك في غيرهم ، قُتِلَ عمارَةُ وحمزةُ أبنا عبدِ الله بن الزبير يومَ قُدَيْدٍ في المعركة ، قتلها الإياضيّة ، وقُتِلَ عبد الله بن الزبير في مُحارَبَةِ الحجاج ، وقتل مصعب بن الزبير يدَيُرُ الجاثليق<sup>(٣)</sup> في المعركة أكرمَ قَتْل ، وبإِزائه عبدُ الملك بنُ مروان ، وقُتِلَ الزبير بوادي السَّبَاع مُنْصَرَفَةً عن وقعة الجمل ، وقُتِلَ العوّام بنُ خُوَيْلِدٍ في حربِ الفجار ، وقُتِلَ خُوَيْلِدُ بنُ أسد بن عبد العزى في حرب خُزاعة ، فهؤلاء سبعة في نسق .

قال : وفي بني أسد بن عبد العزى قَتْلَى كثيرون غير هؤلاء ، قُتِلَ المنذر بنُ الزبير بمَكَّة ، قَتَلَهُ أَهْلُ الشَّامِ في حربِ الحجاج ، وهو على بغل ورْد كان نَقَرَ به فأصعد به في الجبل .

(١) في الأصول : « حَجَجًا » تحريف ؛ وفي اللسان : « الحجج بفتح الحيم » ، من أكل البعير لحاء العرفج ويسمى عليه وربما يشم منه فقتله ، يعرض ببني مروان لكثرة أكلمهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالنخمة . وانظر نهاية ابن الأثير .

(٢) القعص : الموت الوحى ، يقال : مات قعصًا ؛ إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

(٣) الجاثليق : رئيس النصارى في بلاد الإسلام .

وإياه يعنى يزيد بن مفرغ الحميرى وهو يهجو صاحبكم عبيد الله بن زياد ويعيره بفراره يوم البصرة :

لأبن الزبير غداة تدمر منذراً أولى بكل حفيظة ودفاع  
وقتل عمرو بن الزبير، قتله أخوه عبد الله بن الزبير، وكان فى جوار أخيه عبيدة بن  
الزبير فلم يفر عنه، فقال الشاعر يحرّض عبيدة على قتل أخيه عبد الله بن الزبير، ويعيره  
بإخفاره جوار عمرو أخيهما :

أعبيد لو كان الحمير لولت بعد الهدوء برنة أسماء  
أعبيد إنك قد أجرت وجاركم تحت الصفيح تنوبه الأصداه<sup>(١)</sup>  
أضرب بسيفك ضربة مذكورة فيها أداه أمانة ووفاه  
وقتل بجير بن العوام أخو الزبير بن العوام، قتله سعد بن صفح الدؤسى جد  
أبى هريرة من قبل أمه، قتله بناحية اليمامة، وقتل معه أصرم وبعلك أخويه ابني العوام  
ابن خويلد، وقد قتل منهم فى محاربة النبی صلی الله علیه وآله قوم مشهورون، منهم  
زمنة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، كان شريفاً، قتل يوم بدر،  
وأبوه الأسود، كان المثل يضرب بعزته بحكمة، وفيه قال رسول الله صلی الله علیه وآله وهو  
يذكر عاقر الناقة : « كان عزيزاً مئيعاً كأبى زمنة »، ويكنى زمنة بن الأسود بأحكيمة، وقتل  
الحارث بن الأسود بن المطلب يوم بدر أيضاً، وقتل عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث  
ابن الأسود بن المطلب بن أسد يوم بدر أيضاً، وقتل نوفل بن خويلد يوم بدر أيضاً،  
قتله على بن أبى طالب عليه السلام، وقتل يوم الحرة يزيد بن عبد الله بن زمنة بن  
الأسود، ضرب عنقه مسرف بن عقبة صبراً<sup>(٢)</sup> قال له : بايع لأمر المؤمنين يزيد

(١) الصفيح : الحجارة الرقاق، والأصداه : جم صدى، وهو ما يرد على الصوت .

(٢) صبرا، أى حيا .

ابن معاوية على أنك عبد قن له ، قال : بل أباعه على أني أخوه وابن عمه ، ف ضرب عنه . وقُتِلَ إسماعيل بن هبار بن الأسود ليلاً ؛ وكان أدعى حيلةً فخرج مُصرخاً لمن استصرخه ؛ فقتل ؛ فاتهم به مُصعب بن عبد الله بن عبد الرحمن ، فأحلفه معاوية حسين يمينا ، وخلق سبيله ، فقال الشاعر :

ولا أجيب بليلٍ داعياً أبداً      أخشى الغرور كما غرَّ ابن هبارٍ  
باتوا يجرّونه في الحشّ مُنعيراً      بنس الهدية لابن الممّ والجار

وقُتِلَ عبدُ الرحمن بنُ العوّام بنِ خويلد في خلافة عمر بن الخطاب في بعض المغازي ، وقُتِلَ أبْنُه عبدُ الرحمن يومَ الدار مع عثمان ، فعبد الله بن عبد الرحمن بن العوّام بن خويلد قتيل ابن قتيل ابن قتيل أربعة . ومن قتلاهم عيسى بن مُصعب ابن الزبير ، قُتِلَ بين يدي أبيه بمسكن<sup>(١)</sup> في حرب عبد الملك ، وكان مُصعب [ يُكنى أبا عيسى وأبا عبد الله وفيه يقول الشاعر ] :

لَتَبَكَ أبا عيسى ، وعيسى كلاهما      موالٍ قرّيشٍ كلّها وصميمها

ومنهم مُصعب بن عكاشة بن مُصعب بن الزبير ، قُتِلَ يوم قديد في حرب الخوارج ، وقد ذكره الشاعر فقال :

قَمْنٌ فاندُبْنَ رِجَالاً قَالُوا      بقديدٍ ولُنقصانِ العَدَدِ  
ثم لا تعدلنَ فيها مُصعباً      حين يُبكي من قتيلٍ بأحدٍ  
إنّه قد كان فيها باسلاً      صارماً يُقدِّم إقدامَ الأسدِ

ومنهم خالد بن عثمان بن خالد بن الزبير ، خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن ابن حسن ، فقتله أبو جعفر وصلّبه . ومنهم عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير ، قُتِلَ بقديد أيضاً ، وسُمّي عتيقاً باسم جدّه أبي بكر الصّدِّيق .

(١) مسكن ، كسجد : موضع بالكوفة .

قلت : هذا أيضا من تحامل أبي عثمان ، هَلَّا ذَكَرَ قَتْلَ الطِّفْلِ عَشْرُونَ سَيِّدًا مِنْ بَيْتٍ وَاحِدٍ قُتِلُوا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ! وَهَذَا مَا لَمْ يَقَعْ مِثْلُهُ فِي الدُّنْيَا لَا فِي الْعَرَبِ وَلَا فِي الْعَجَمِ . وَلَمَّا قُتِلَ حَذِيفَةُ بْنُ بَذْرٍ يَوْمَ الْهَبَاءِ <sup>(١)</sup> وَقُتِلَ مَعَهُ ثَلَاثَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ضَرَبَتْ الْعَرَبُ بِذَلِكَ الْأَمْثَالِ وَاسْتَعْظَمُوهُ ، فَجَاءَ يَوْمَ الطَّفِّ ، « جَرَى الْوَادِي فَطَمَ عَلَى الْقَرْيِ » <sup>(٢)</sup> .

وَهَلَّا عَدَدَ الْقَتْلَى مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ فَانْتَهَمَ إِذَا عُدُّوا إِلَى أَبْنَامِ أَبِي عُمَانَ كَانُوا عَدَدًا كَثِيرًا أَضْعَافَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ قَتْلِ الْأَسَدِيِّينَ !

قَالُوا أَبُو عُمَانَ : وَإِنْ كَانَ الْفَخْرُ وَالْفَضْلُ فِي الْجُودِ وَالْإِمْلَاحِ فَمِنْ مِثْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ! وَمَنْ مِثْلُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ! وَقد اعترضت الأموية هذا الموضع فقالت : إِنْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ يَهَبُ مَا كَانَ مُعَاوِيَةُ وَيَزِيدُ يَهَبَانِ لَهُ ، فَمِنْ فَضْلِ جُودِنَا جَادَ .

قَالُوا : وَمُعَاوِيَةُ أَوَّلُ رَجُلٍ فِي الْأَرْضِ وَهَبَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَبْنُهُ أَوَّلُ مَنْ ضَاعَفَ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحْيِزُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ابْنَيْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كُلِّ عَامٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَحْيِزُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، فَلَمَّا مَاتَ وَقَامَ يَزِيدُ وَفَدَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةَ كَانَ يَصِلُ رَحِيٍّ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، قَالَ : فَلَكَ أَلْفَا أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! أَمَا إِنِّي مَا قُتِلْتُهَا لِأَبْنِ أَثْنَى قَبْلِكَ ، قَالَ : فَلَكَ أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَهَذَا الْإِعْتِرَاضُ سَاقِطٌ ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنْ صَحَّ لَمْ يَعُدَّ جُودًا وَلَا جَائِزَةً وَلَا صِلَةً رَحِيمٍ ، هُوَ لَا

(١) يَوْمُ الْهَبَاءِ مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورَةِ .

(٢) قَالَ صَاحِبُ مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ ١ : ١٥٨ « أَيُّ جَرَى سَبِيلَ الْوَادِي فَطَمَ ، أَيُّ دَفَنَ ، يُقَالُ : طَمَ السَّبِيلَ الرِّكْبَةَ ، أَيُّ دَفَنَهَا . وَالْقَرْيُ : جَرَى الْمَاءُ فِي الرُّوْضَةِ وَالْجَمْعُ أَقْرِيَّةٌ وَقَرِيَانٌ . . . أَيُّ أَتَى عَلَى عَلَى الْقَرْيِ ، يَعْنِي أَهْلَكَ بِأَنْ دَفَنَهُ .

قومٌ كان يخافهم على مُلكِهِ ، ويعرف حقهم فيه ، وموقعهم من قلوب الأُمّة ، فكان يدبّر في ذلك تدبيراً ، ويرعى <sup>(١)</sup> أموراً ، ويصانع عن دولته ومملكته ، ونحن لم نعد قطّ ما أعطى خلفاء بني هاشم قوادهم وكتّابهم وبنى عمّهم جوداً ، فقد وهب المأمونُ للحسن ابن سَهل غلّة عشرة آلاف ألفٍ فما عُدّ ذلك منه مَكْرمةً ، وكذلك كلُّ ما يكون داخلًا في باب الدّجارة وأسئلة القلوب ، وتدير الدّولة ، وإتّما يكون الجود ما يدفعه الملوك في الوفود والخطباء والشعراء والأشراف والأدباء والسّماو ونحوهم ؛ ولولا ذلك لكان الخليفة إذا وفّى الجندَ أعطياتهم احتسب ذلك في جوده ؛ فالعاملاتُ شئٌ ، والإعطاء على دَفْع المَكروه شئٌ ، والتفَضُّل والجود شئٌ . ثم إنَّ الذين أعطاهم معاويةُ ويزيدُ هو بعضُ حقّهم ، والذي فضّل عليهما أكثرُ ممّا خرج منهما .

وان أريد الموازنة بين ملوك بني العبّاس وملوك بني أميّة في العطاء افتضح بشو أميّة وناصرهم فضيحةً ظاهرة ، فإنّ نساء خلفاء بني عبّاس أكثرُ معروفًا من رجال بني أميّة ، ولو ذكرتُ معروفَ أمّ جعفر وحدها لآتى ذلك على جميع صنائع بني مروان ، وذلك معروف ، ولو ذكر معروف الخيزران وسَلَسَبيل لمِلِكْت الطّوامير الكثيرة به ، ومائظنّ خالصة موالاهم إلّا فوق أجواد أجوادهم ، وإن شئتَ أن تذكّر موالاهم وكتّابهم فاذكّر عيسى بن ماهان ، وابنه عليّاً ، وخالد بن برمك وابنه يحيى ، وابنه جعفرًا والفضل وكتّابهم منصور بن زياد ومحمد بن منصور وفقى العسكر ، فإنّك تجد لكلّ واحد من هؤلاء ما يحيط بجميع صنائع بني عبد شمس .

فأمّا ملوك الأمويّة فليس منهم إلّا من كان يُبَخّل على الطعام ، وكان جعفر بن سليمان كثيرًا ما يذكر ذلك ؛ وكان معاويةُ يُبغض الرّجل النّهم على مائدته ، وكان

(١) يربح : يزيد .



التصور إذا ذكرهم يقول : كان عبدُ الملك جباراً لا يُبالي ما صنع ، وكان الوئيدُ يُجنونا ، وكان سليمان همهُ بطنهُ وفرجُهُ ، وكان عمرُ أعور بين عيان ، وكان هشامُ رجل القوم ، وكان لا يذكر ابن عاتكة . ولقد كان هشام مع ما استثناه به يقول : هو الأحوال السَّراق ، ما زال يُدخل إعطاء الجند شهراً في شهرٍ وشهراً في شهرٍ ، حتى أخذ لنفسه مقدار رِزق سنةٍ ، وأنشده أبو النجم العجلي أرجوزته التي أولها :

\* الحمد لله الوهوب المجزل \*

فما زال يُصفقُ بيديه أستحساناً لها حتى صار إلى ذكر الشمس ، فقال :

\* والشمسُ في الأفق كعين الأحوك \*

فأمر بوج<sup>(١)</sup> عنقه وإخراجه ، وهذا صَغف شديد ، وجهلٌ عظيم .

وقال خاله إبراهيم بن هشام الخزومي : ما رأيتُ من هشام خطأ قط إلا مرتين :

حدّا به الحادي مرة فقال :

إِنَّ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْبُخْتِيُّ أَكْرَمَ مَنْ تَمْشَى بِهِ الْمِطِيُّ

فقال : صدقت . وقال مرة : والله لأشكون سليمان يوم القيامة إلى أمير المؤمنين

عبد الملك . وهذا صَغف شديد ، وجهل مُفْرِط .

وقال أبو عثمان : وكان هشام يقول : والله إني لأستحي أن أعطي رجلاً أكثر من

أربعة آلاف درهم ، ثم أعطى عبد الله بن الحسن أربعة آلاف دينار فاعتدّها في جوده

وتوسّع ، وإنما اشترى بها ملكه ، وحصّن بها عن نفسه وما في يديه . قال له أخوه مسلمة :

أتطمع أن تلي الخلافة وأنت بخيل جبان ! فقال : ولكني حلیمٌ عفيف ، فأعترف بالجبن

والبخل ؛ وهل تقوم الخلافة مع واحد منهما ! وإن قامت فلا تقوم إلا مع الخطر العظيم ،

والتفكير الشديد . ولو سلمت من الفساد لم تسلم من العيب .

(١) الوج : الضرب .

ولقد قَدَّم المنصورُ عليهم عمرَ بنَ عبد العزيز بقوله : أَعَوُّرُ بَيْنَ عُثْمَانَ ؛ وزعمتم أنه كان ناسكاً ورعاً تقياً ، فكيف وقد جلد خُبَيْب بن عبد الله بن الزبير مائة جلدة ، ووصَّبه على رأسه جَرَّة من ماء بارد في يوم شاتٍ ، حتى كُرَّ<sup>(١)</sup> فمات ، فما أَقَرَّ بَدَمَهُ ، ولا خرج إلى وليه من حَقِّه ، ولا أعطى عقلاً ولا قوداً ؛ ولا كان خُبَيْب ممن أتت عليه حدود الله وأحكامه وقصاصه ؛ فيقال : كان مطيعاً بإقامتها ، وأنه أزهقَ الحدُّ نفسه ! واحتسبوا الضرب كان أدباً وتمزيقاً ، فما عذره في الماء البارد في الشتاء ، على أثر جلد شديد ! ولقد بلغه أن سليمان بن عبد الملك يوصي ، فجاء حتى جلس على طريق من يجلس عنده أو يدخل إليه ، فقال رجاء بن حيوة في بعض من يدخل ومن يخرج : نشدتك الله أن تذكرني لهذا الأمر ، أو تشير بي في هذا الشأن ؛ فوالله مالي عليه من طاقة ! فقال له رجاء : قاتلك الله ؛ ما أحرصك عليها !

ولما جاء الوليد بن عبد الملك بنعي الحجاج ؛ قال له الوليد : مات الحجاج بأباحفص ؟ فقال : وهل كان الحجاج إلا رجلاً من أهل البيت ! وقال في خلافته : لولا بيعة في أعناق الناس ليزيد بن عاتكة بلعلت هذا الأمر شورى بين صاحب الأعوص إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد الأشدق وبين أحسن قریش القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وبين سالم بن عبد الله بن عمر ؛ فما كان عليه من الضرر والخرج ، وما كان عليه من الوَكف<sup>(٢)</sup> والنقص أن لو قال : بين علي بن العباس وعلي بن الحسين بن علي ! وعلى أنه لم يرد التيمم ولا العدوى ، وإنما دبر الأمر للأُموي ، ولم يكن عنده أحدٌ من هاشم يصلح للشورى ، ثم دبر الأمر ليبياع لأخيه أبي بكر بن عبد العزيز من بعده حتى عُوجل بالسم . وقَدِّم عليه عبدُ الله بنُ حسن بن حسن ، فلما رأى كماله وبيانه وعرف نسبه ومركبه

(١) كُرَّ ، أي أصابه كزاز ؛ كثراب ورمات ؛ وهو داء يجيء من شدة البرد .

(٢) الوكف ، محرّكة : الإثم .

وموضعه وكيف ذلك من قلوب المسلمين وفي صدور المؤمنين لم يدعه يبيت بالشام ليلة واحدة ، وقال له : الحق بأهلك ، فإنك لم تفهم شيئا هو أنفس منك ولا أرد عليهم من حياتك . أخاف عليك طواعين الشام ، وستحققك الحوائج على ما تشهى وتحب . وإنما كره أن يروه ويسمعوا كلامه ، فقلعه يذُر في قلوبهم بذرا ، ويفرس في صدورهم غرسا ، وكان أعظم خلق قولا بالجبر حتى يتجاوز الجهمية ، ويربى على كل ذى غاية ، صاحب شُنة ، وكان يصنع ذلك الكتب ، مع جهله بالكلام وقلة اختلافه إلى أهل النظر . وقال له شوذَّب الخارجي : لم لا تلعن رهطك وتذكر أباك إن كانوا عندك ظلمة فجرة ؟ فقال عمر : متى عهدك بلعن فرعون ! قال : مالى به عهد . قال : أفيسعك أن تمسك عن لعن فرعون ، ولا يسعني أن أمسك عن لعن أبائي ! فرأى أنه قد خصمه <sup>(١)</sup> وقطع حجته ، وكذلك يظنه كل من قصر عن مقدار العالم ، وجاوز مقدار الجاهل ، وأى شبه لفرعون بآل مروان وآل أبي سفيان ! هؤلاء قوم لهم حزب وشيعة ، وناس كثير يدينون بتفضيلهم وقد اعتورتهم الشبهة في أمرهم ، وفرعون على خلاف ذلك ، وضده لا شيعة له ولا حزب ولا نسل ولا موالى ولا صنائع ولا فى أمره شبهة . ثم إن عمر ظنين <sup>(٢)</sup> فى أمر أهله فيحتاج إلى غل ذلك عنه بالبراءة منهم ، وشوذَّب ليس بظنين فى أمر فرعون ، وليس الإمساك عن لعن فرعون والبراءة منه مما يعرفه الخوارج ، فكيف استويا عنده !

وشكا إليه رجل من رهطه دينا فادحا ، وعيالا كثيرا ؛ فاعتل عليه ، فقال له : فهلا اعتلت على عبد الله بن الحسن ! قال : ومتى شاورتك فى أمرى ! قال : أو مشيرا

ترانى ! قال : أو هل أعطيته إلا بعض حقه ! قال : ولم قصرت عن كله ؟ فأمر بإخراجه وما زال إلى أن مات محروماً منه .

وكان عمالُ أهله على البلاد عماله وأصحابه . والذي حسن أمره ، وشبهه على الأغنياء حاله ، أنه قام بعقوب قوم قد بدّلوا عامة شرائع الدين وسنن النبي صلى الله عليه وآله ، وكان الناس قبله من الظلم والجور والتهاون بالإسلام في أمر صغر في جنبه عابنوا منه ، وألقوه عليه ، فجعلوه بما نقص من تلك الأمور الفظيعة في عداد الأئمة الراشدين ، وحسبك من ذلك أنهم كانوا يلعنون علياً عليه السلام على منابرهم ، فلما نهى عمرُ عن ذلك عدّ محسناً ، ويشهد لذلك قولُ كثيرٍ فيه :

وَلَيْتَ قَلَمٌ تَشْتُمُ عَلِيًّا وَلَمْ تُخَفِ بَرِيًّا وَلَمْ تَقْبَسِ مَقَالَةَ مُجْرِمٍ

وهذا الشعر يدلّ على أن شتم عليّ عليه السلام قد كان لهم عادة ، حتى مدح من كفّ عنه ؛ ولما وليّ خالد بن عبد الله القسريّ مكة - وكان إذا خطب بها لعن عليّاً والحسن والحسين عليهم السلام - قال عبيد الله بن كثير السهميّ :

لَعَنَ اللَّهُ مَنْ يَسُبُّ عَلِيًّا	وَحُسَيْنًا مِنْ سُوقَةٍ وَإِمَامٍ
أَيُّسَبُّ لِلطَّاهِرُونَ جُدُودًا	وَالْكَرَامُ الْآبَاءُ وَالْأَعْمَامُ
يَأْمَنُ الطَّيْرُ وَالْحَمَامُ وَلَا يَأْ	مَنْ آلَ الرَّسُولِ عِنْدَ الْمَقَامِ !
طَبَتَ بَيْتًا وَطَابَ أَهْلُكَ أَهْلًا	أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ وَالْإِسْلَامِ !
رَحِمَهُ اللَّهُ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ	كَلَّمَا قَامَ قَائِمٌ بِسَلَامِ !

وقام عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان - وكان ممن يناله بزعمهم إلى هشام بن عبد الملك ، وهو يخطب على المنبر بعرفة - فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا يومٌ كانت

الخلفاء تستحب فيه لمن أبي تراب<sup>(١)</sup> ، فقال هشام : ليس لهذا جثنا ، ألا ترى أن ذلك يدل على أنه قد كان لعنه فيهم فاشيا ظاهرا ، وكان عبد الله بن الوليد هذا يلعن عليا عليه السلام ويقول : قتل جدّي جميعا ؛ الزبير وعثمان .

وقال المغيرة وهو عامل معاوية يومئذ لصمصعة بن صوحان : قم فالعن عليا ، فقام فقال : إن أميركم هذا أمرني أن ألعن عليا ، فالعنوه لعنه الله ! وهو يضمر المغيرة . وأما عبد الملك فحسبك من جهله بتبديله شرائع الدين والإسلام ، وهو يريد أن يلي أمور أصحابها بذلك الدين بعينه ، وحسبك من جهله أنه رأى من أبلغ التدبير في منع نبي هاشم الخلافة أن يلعن علي بن أبي طالب عليه السلام على منابرهم ، ويرمي بالفجور في مجالسه ، وهذا قرّة عين عدوّه وعير وليه ، وحسبك من جهله قيامه على منبر الخلافة قائلا : إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف ولا بالخليفة المداهن ، ولا بالخليفة المأفون<sup>(٢)</sup> . وهو لا سلفه وأئمتّه ، وبشفقتهم قام ذلك المقام ، وبثقتهم وتأسيسهم نال تلك الرياسة ، ولولا العادة المتقدمة ، والأجناد المجتدة ، والصنائع القائمة ، لكان أبعد خلق الله من ذلك المقام ، وأقربهم إلى التهلكة إن دام ذلك الشرف . وعنى بالمستضعف عثمان ، وبالمداهن معاوية ، وبالمأفون يزيد بن معاوية ؛ وهذا الكلام تقصّ سلطانه ، وعداوة لأهله ، وإفساد لقلوب شيعته ، ولو لم يكن من عجز رأيه إلا أنه لم يقدر على إظهار قوته ، إلا بأن يظهر عجز أئمتّه لكفالك ذلك منه . فهذا ما ذكرته هاشم لأنفسها .

### [مفاخر بني أمية]

قالت أمية : لنا من نوادر الرجال في العقل والدهاء والأدب والمكر ما ليس لأحد ،

(١) أبو تراب ؛ من كني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

(٢) المأفون : الضعيف .

ولنا من الأجواد وأصحاب الصنائع ما ليس لأحد ، زعم الناس أن الدهاة أربعة : معاوية بن أبي سفيان ، وزيد ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، فمنا رجلا ، ومن سائر الناس رجلا . ولنا في الأجواد سعيد بن العاص ، وعبد الله بن عامر ؛ لم يوجد لها نظير إلى الساعة . وأما نوادر الرجال في الرأي والتدبير فأبو سفيان بن حرب ، وعبد الملك بن مروان ، ومسلة بن عبد الملك ، وعلى أنهم يعدون في الحكماء والرؤساء ، فأهل الحجاز يضربون المثل في الحلم بمعاوية ، كما يضرب أهل العراق المثل فيه بالأحنف .

فأما الفتوح والتدبير في الحرب فليعاوية غير مدافع ؛ وكان خطيبا مصقعا ، ومجربا مظفرا ، وكان يصدق قول الشعر إذا آثر أن يقوله ، وكان عبد الملك خطيبا حازما مجربا مظفرا ، وكان مسلة شجاعا مدبرا وسائسا مقدما ، وكثير الفتوح كثير الأدب . وكان يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا ، وكان الوليد بن يزيد خطيبا شاعرا ، وكان مروان بن الحكم وعبد الرحمن بن الحكم شاعرين ، وكان بشر بن مروان شاعرا ناسبا ، وأديبا عالما ؛ وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا ، جيد الرأي ، أديبا كثير الأدب ، حكما ؛ وكان أول من أعطى التراجمة والفلاسفة ، وقرب أهل الحكمة ورؤساء أهل كل صناعة ، وترجم كتب النجوم والطب والكيمياء والحروب والآداب والآلات والصناعات .

قالوا : وإن ذكرت البأس والشجاعة فالعباس بن الوليد بن عبد الملك ، ومروان ابن محمد ، وأبوه محمد بن مروان بن الحكم ، وهو صاحب مصعب ، وهؤلاء قوم لهم آثار بالروم لا يُجمل ، وآثار بأرمينية لا تُنكر ، ولهم يوم العقر ؛ شهده مسلة والعباس ابن الوليد .

قالوا : ولنا الفتوح العظام ، ولنا فارس ، وخراسان ، وأرمينية ، وسجستان ، وإفريقية ، وجميع فتوح عثمان ؛ فأما فتوح بني مروان فأكثر وأعم وأشهر من أن



تحتاج إلى عدد أو إلى شاهد . والذين بلغوا في ذلك الزمان أقصى ما يمكن صاحب خُفٍ وحافر أن يبلغه؛ حتى لم يحتجز منهم إلا ببحر أو خليج بحر أو غياض أو عقاب أو حصون وصياصي ثلاثة رجال : قتيبة بن مسلم بخراسان ، وموسى بن نصير بإفريقية ، والقاسم ابن محمد بن القاسم الثقفي بالسند والهند ؛ وهؤلاء كلهم عمالنا وصنائعنا . ويقال : إن البصرة كانت صنائع ثلاثة رجال : عبدالله بن عامر ، وزيد ، والحجاج ، فرجلان من أنفسنا والثالث صليعنا .

قالوا : ولنا في الأجواد وأهل الأقدار بنو عبدالله بن خالد بن أسيد بن أمية ، وأخوه خالد ، وفي خالد يقول الشاعر :

إلى خالدٍ حتى أئمتنا بخالدٍ      فنعم الفتى يرعى ونعم المؤمل !  
ولنا سعيد بن خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، وهو عقيد الندي ، كان يسب ستة أشهر ويقيق ستة أشهر ، ويرى كحيلا من غير اكتحال ، ودهينا من غير تذهين ؛ وله يقول موسى شهوات :

أبا خالدٍ أعني سعيد بن خالدٍ      أبا العرف لأعني ابن بنت سعيد<sup>(١)</sup>  
ولكنني أعني ابن عائشة الذي      أبو أبويه خالد بن أسيد  
عقيد الندي ما عاش يرعى به الندي      فإن مات لم يرص الندي بعقيد<sup>(٢)</sup>  
قالوا : وإنما تمكن فينا الشعر وجاد ، ليس من قبل أن الذين مدحونا ما كانوا غير من مدح الناس ، ولكن لما وجدوا فينا مما يتسع لأجله القول ، ويصدق فيه القائل .  
قدم مدح عبدالله بن قيس الرقيات من الناس : آل الزبير عبدالله ومصعبا وغيرها ، فكان يقول كما يقول غيره ، فلما صار إلينا قال :

ما تقوموا من بني أمية إلا      أنهم يحملون إن غضبوا<sup>(٣)</sup>

(١) الأغاني ٣ : ٣٥٢ ( طبعة دار الكتب ) .

(٢) عقيد الندي : الكرم بطبعه .

(٣) ديوانه ٤ .



وَأَنَّهُمْ مَعْدَنُ الْمُلُوكِ فَمَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ  
وَقَالَ نُصَيْبٌ :

مِنَ النَّفَرِ الشَّمُّ الَّذِينَ إِذَا أُتْجَوْا أَقْرَتْ لَنَجْوَاهُمْ لَوْيُ بْنُ غَالِبٍ (١)  
يُحْيُونَ بَسَامِينَ طَوْرًا وَتَارَةً يُحْيُونَ عَبَّاسِينَ شُوسَ الْحَوَاجِبِ (٢)  
وَقَالَ الْأَخْطَلُ :

شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهَا وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَّرُوا (٣)  
قَالُوا : وَفِينَا يَقُولُ شَاعِرُكُمْ وَالتَّشْيِيعُ لَكُمْ، السَّكْمِيَّةُ بْنُ زَيْدٍ :  
فَالآنَ صِرْتَ إِلَى أُمِّيَّةٍ وَالْأُمُورُ لَهَا مَصَايِرُ (٤)

وَفِي مَعَاوِيَةَ يَقُولُ أَبُو الْجَهْمِ الْعَدَوِيُّ :

نُقَلِّبُهُ لَنَخْبِرَ حَالَتِيهِ فَنَخْبِرُ مِنْهَا كَرَمًا وَلِينًا  
نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا إِذَا مِلْنَا نَمِيلُ عَلَى أَيْنَا

وَفِيهِ يَقُولُ :

تَرْيَعُ إِلَيْهِ هَوَادِي الْكَلَامِ إِذَا ضَلَّ خُطْبَتَهُ الْمِهْدَرُ (٥)

قَالُوا : وَإِذَا نَظَرْتُمْ فِي امْتِدَاحِ الشُّعْرَاءِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ عَرَفْتُمْ صَدَقَ مَا نَقُولُهُ.  
قَالُوا : وَفِي إِرسَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ عَثَانَ ، وَاسْتَعْمَالِهِ عَلَيْهَا  
عَثَابُ بْنُ أَسِيدٍ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً دَلِيلٌ عَلَى مَوْضِعِ الْمَنَعَةِ أَنَّ تَهَابَ الْعَرَبُ  
وَتَعَزَّزَ قَرِيشٌ ؛ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلَ الْفَتْحِ : « فَتَيَانُ أَضْنَ بَهُمَا عَلَى النَّارِ :  
عَثَابُ بْنُ أَسِيدٍ ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ » قَوْلِي عَثَابَا ، وَتَرَكَ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ .

(١) الشَّمُّ : جَمْعُ أَشْمٍ ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ الرَّفْعَةِ وَالْعُلُوِّ وَشَرَفِ النَّفْسِ .

(٢) شُوسٌ : جَمْعُ أَشُوسٍ ؛ وَالشُّوسُ بِالْمَعْرِكِ : النَّظَرُ بِمُؤَخَّرِ الْعَيْنِ تَكْبِيرًا وَغَيْظًا .

(٣) دَبْرَانَهُ ١٤ ، وَشَمْسٌ : جَمْعُ شَمْسٍ ؛ وَهُوَ الرَّجُلُ الْعَسِرُ فِي عِدَاوَتِهِ ؛ الشَّدِيدُ الْخِلَافِ عَلَى  
مَنْ عَانَدَهُ .

(٤) الْأَغَانِي ١٥ : ١١١ ، وَرَوَاتُهُ : « وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَايِرِ » .

(٥) الْمِهْدَرُ : الْكَثِيرُ الْخَطَأُ فِي الْكَلَامِ .

وقال الشعبي : لو وُلِد لي مائة ابنٍ لسميتهم كلهم عبد الرحمن ؛ للذي رأيت في قريش من أصحاب هذا الاسم ، ثم عدَّ عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ، وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص ؛ فأما عبد الرحمن بن عتاب فإنه صاحب الخيل يوم الجمل ، وهو صاحب الكفت والخاتم ، وهو الذي مرَّ به عليٌّ وهو قتيلٌ فقال : لهنِّي عليك يعسوب قريش ، هذا الباب المحض من بني عبد مناف ؛ فقال له قائل : لشدَّ ما أتيتَه اليوم يا أمير المؤمنين ! قال : إنه قام غنى وعنه نسوة لم يقمن عنك .

قالوا : ولنا من الخطباء معاوية بن أبي سفيان ، أخطبُ الناس قائماً وقاعداً ، وعلى منبرٍ ، وفي خطبةٍ نكاح . وقال عمرو بن الخطاب : ما تصعدني شيء من الكلام كما تصعدني خطبة النكاح ، وقد يكون خطيباً من ليس عنده في حديثه ووصفه للشيء احتجاجة في الأمر لساناً بارع . وكان معاوية يجري مع ذلك كله .

قالوا : ومن خطبائنا يزيد بن معاوية ، كان أعرابى اللسان ، بدوى اللهجة ، قال معاوية : وخطب عنده خطيب فأجاد : لأرميته بالخطيب الأشدق يريد يزيد بن معاوية ، ومن خطبائنا سعيد بن العاص ، لم يوجد كتحبيره تحبير ، ولا كارتجاله ارتجال . ومنا عمرو بن سعيد الأشدق ، لقب بذلك لأنه حيث دخل على معاوية وهو غلام بعد وفاة أبيه ، فسمع كلامه ، فقال : إن ابن سعيد هذا الأشدق .

وقال له معاوية : إلى من أوصى بك أبوك ؟ قال : إن أبي أوصى إلى ولم يوصني ، قال : فم أوصى إليك ؟ قال : ألا يفقد إخوانه منه إلا وجهه .

قالوا : ومنا سعيد بن عمرو بن سعيد ، خطيب ابن خطيب ابن خطيب ، تكلم الناس عند عبد الملك قياماً وتكلم قاعداً . قال عبد الملك : فتكلم وأنا والله أحبُّ عشرته وإسكاته ، فأحسن حتى استنطقته واستزدته ؛ وكان عبد الملك خطيباً ، خطب

الناس مرة فقال : ما أنصفتمونا معشر رعيتنا ، طلبتم منا أن نسير فيكم وفي أنفسنا سيرة أبي بكر وعمر في أنفسهما ورعيتهما ، ولم تسيروا فينا ولا في أنفسكم سيرة رعية أبي بكر وعمر فيهما وفي أنفسهما ، ولكل من النصفة نصيب . قالوا : فكانت خطبته نافعة . قالوا : ولنا زياد وعبيد الله بن زياد ، وكانا غنيين في صحة المعاني ، وجودة اللفظ ، ولهما كلام كثير محفوظ .

قالوا : ومن خطبائنا سليمان بن عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك . ومن خطبائنا ونسّاكنا يزيد بن الوليد الناقص . قال عيسى بن حاصر : قلت لعمر بن عبيد : ما قولك في عمر بن عبد العزيز ؟ فكّح<sup>(١)</sup> ، ثم صرّف وجهه عني . قلت : فما قولك في يزيد الناقص ؟ فقال : أو الكامل ، قال بالعدل ، وعمل بالعدل ، وبذل نفسه وقتل ابن عمه في طاعة ربه ، وكان نكالا لأهله ، ونقص من أعطياتهم مازادته الجبارة ، وأظهر البراءة من آبائه ، وجعل في عهده شرفا ولم يجعله جزما ؛ لا والله لكانه ينطق عن لسان أبي سعيد - يريد الحسن البصري - قال : وكان الحسن من أنطق الناس .

قالوا : وقد قرئ في الكتب القديمة : يامبذر الكنوز ، ياساجدا بالأسعار ، كانت ولايتك رحمة بهم ، وحجة عليهم . قالوا : هو يزيد بن الوليد .

ومن خطبائنا ثم من ولد سعيد بن العاص عمرو بن خولة ، كان ناسبا فصيحاً خطيباً . وقال ابن عائشة الأكبر : ما شهد خطيباً قط إلا ولجلج هيبة له ومعرفة بانتقاده . ومن خطبائنا عبد الله بن عامر ، وعبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، وكانا من أكرم الناس ، وأبين الناس ، كان مسلمة بن عبد الملك يقول : إني لأنحى كور عماتي على أذني لأسمع كلام عبد الأعلى .

(١) كتح ، كنع : كسر في عبوس .

وكانوا يقولون : أشبه قريش نعمة وجهارة واقتداراً وبياناً بعمر بن سعيد عبد الأعلى بن عبد الله .

قالوا : ومن خطبائنا ورجالنا الوليد بن عبد الملك ، وهو الذي كان يقال له غل بني مروان ، كان يركب معه ستون رجلاً لصليبه .

ومن ذوى آدابنا وعلماؤنا وأصحاب الأخبار ورواية الأشعار والأنساب بشر بن مروان أمير العراق .

قالوا : ونحن أكثر نساءكم ، منا معاوية بن يزيد بن معاوية ، وهو الذي قيل له في مرضه الذي مات فيه : لو أقمت للناس ولياً عهداً ؟ قال : ومن جعل لي هذا العهد في أعناق الناس ؟ والله لولا خوفاي للفتنة لما أقمت عليها طرفة عين ، والله لا أذهب بمرارتها ، وتذهبون بحملاتها ؛ فقالت له أمه : لوددت أنك حيضة ، قال : أنا والله وددت ذلك . قالوا : ومنا سليمان بن عبد الملك الذي هدم الديماس <sup>(١)</sup> ورده السيرين ، وأخرج المسجونين ، وترك القريب . واختار عمر بن عبد العزيز ، وكان سليمان جواداً خطيباً جليلاً صاحب سلامة ودعة وحب للعافية وقرب من الناس ، حتى سُمي المهدي ، وقيلت الأشعار في ذلك .

قالوا : ولنا عمر بن عبد العزيز ، شبه عمر بن الخطاب ، قد ولده عمر ، وباسمه سُمي ؛ وهو أشجع قريش المذكور في الآثار المنقولة في الكتب ، العدل في أشد الزمان ، وظلف <sup>(٢)</sup> نفسه بعد اعتياد النعم ، حتى صار مثلاً ومفخراً . وقيل للحسن : أما زويت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لا يزداد الزمان إلا شدة ، والناس إلا شحاً ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ! قال : بلى ؛ قيل : فما بال عمر بن عبد العزيز وعدله

(١) الديماس : سجن كان للعجاج .

(٢) ظلف نفسه : منعها .

وسيرته ! فقال : لا بد للناس من متنفّس . وكان مذكوراً مع الخطباء ، ومع النّسك ، ومع الفقهاء .

قالوا : ولنا ابنه عبدُ الملك بن عمر بن عبد العزيز ، كان ناسكاً زكياً طاهراً ، وكان من أتقى النّاس وأحسنهم معونة لأبيه ، وكان كثيراً ما يعظ أباه وينهاه .

قالوا : ولنا من لا نظير له في جميع أموره ، وهو صاحب الأعوص ، إسماعيل بن أمية ابن عمرو بن سعيد بن العاص ؛ وهو الذي قال فيه عمر بن عبد العزيز : لو كان إلى من الأمر شيء لجمعتها شوري بين القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وصاحب الأعوص .

قالوا : ومن نساكنا أبو حراب من بني أمية الصغرى ، قتله داود بن عليّ ، ومن نساكنا يزيد بن محمد بن مروان ، كان لا يهدب <sup>(١)</sup> ثوباً ولا يصبغه ، ولا يتخلّق بمخلوق <sup>(٢)</sup> ، ولا اختار طعاماً على طعام ، ما أطعم أكله ، وكان يكره التّكلف ، وينهى عنه . قالوا : ومن نساكنا أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان ؛ أراد عمر أخوه أن يجعله وليّ عهده لما رأى من فضله وزهده ، فسما فيهما جميعاً .

ومن نساكنا عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان ، كان يصليّ كلّ يوم ألف ركعة ، وكان كثير الصدقة ، وكان إذا تصدّق بصدقة قال : اللهمّ إنّ هذا لوجهك ، تخفف عني الموت . فانطلق حاجباً ، ثمّ تصبّح بالنوم فذهبوا يُنبّهونه للرّحيل ، فوجدوه ميتاً ، فأقاموا عليه المأتم بالمدينة ، وجاء أشعبُ فدخل إلى المأتم وعلى رأسه كبة من طين ، فالتّم <sup>(٣)</sup> مع النّساء ، وكان إليه محسناً .

ومن نساكنا عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

(١) يهدب : يقطع .

(٢) المخلوق : الطيب .

(٣) التّم مع النّساء : ضرب صدره معهن في النياحة .

قالوا : ففحن نعدّ من الصلاح والفضل ما سمعتموه ، وما لم نذكره أكثر ، وأنتم تقولون : أمية هي الشجرة الملعونة في القرآن ، وزعم أن الشجرة الخبيثة لا تثمر الطيب ، كما أن الطيب لا يثمر الخبيث ، فإن كان الأمر كما تقولون ، فعثمان بن عفان ثمرة خبيثة ، وينبغي أن يكون النبي صلى الله عليه وآله دفع ابنته إلى خبيث ، وكذلك يزيد بن أبي سفيان صاحب مقدمة أبي بكر الصديق على جيوش الشام ، وينبغي لأبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون كذلك ، وينبغي لحمد ابن عبد الله المديح أن يكون كذلك ، وإن ولدته فاطمة عليها السلام ، لأنه من بني أمية ، وكذلك عبد الله بن عثمان بن عفان سبط رسول الله صلى الله عليه وآله ، الذي مات بعد أن شدن<sup>(١)</sup> ونقر الديك عينه فمات ، لأنه من بني أمية ، وكذلك ينبغي أن يكون عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم وآله مكة أم القرى وقبلة الإسلام ، مع قوله عليه السلام « فتیان أضن بهما عن النار : عتاب ابن أسيد ، وجبير بن مطعم » . وكذلك ينبغي أن يكون عمر بن عبد العزيز بن عمر بن الخطاب كذلك ، وكذلك معاوية بن يزيد بن معاوية ، وكذلك يزيد الناقص ؛ وينبغي ألا يكون النبي صلى الله عليه وسلم عدّ عثمان في العشرة الذين بشرهم بالجنة ؛ وينبغي أن يكون خالد بن سعيد بن العاص شهيد يوم مرج الصفر<sup>(٢)</sup> والخبيث في سبيل الله ، وإلى النبي صلى الله عليه وسلم على اليمن ، وإلى أبي بكر على جميع أجناد الشام ، ورابع أربعة في الإسلام ، والمهاجر إلى أرض الحبشة كذلك . وكذلك أبان ابن سعيد بن العاص المهاجر إلى المدينة ، والقديم في الإسلام ، والخبيث على الجهاد ، ويجب أن يكون ملعونا حينئذ ، وكذلك أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وهو بدرى من المهاجرين الأولين ، وكذلك أمانة بنت أبي العاص بن الربيع ، وأمه زينب بنت

(١) شدن : قوى وترعرع ؛ وأصله في الطباء .

(٢) مرج الصفر : موضع .

رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكذلك أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وكان النبي صلى الله عليه وآله يخرجها من الغار ، ويضرب لها بسهم ، ويصالحها ، وكذلك فاطمة بنت أبي معيط ، وهي من مهاجرة الحبشة .

قالوا : ومما نفخر به وليس لبني هاشم مثله ؛ أن من أربعمائة سنة منها عشرون سنة خليفة ، وهو معاوية بن أبي سفيان . ولنا أربعة أخوة خلفاء : الوليد ، وسليمان ، وهشام ، بنو عبد الملك ، وليس لكم يزيد ، إلا ثلاثة إخوة : محمد ، وعبد الله ، وأبي إسحاق أولاد هارون .

قالوا : ومما رجل ولد سبعة من الخلفاء وهو عبد الله بن يزيد بن عبد الملك بن مهران ، أبوه يزيد بن عاتكة ، خليفة ، وجدّه عبد الملك خليفة ، وأبو جدّه مروان الحكم خليفة ، وجدّه من قبل عاتكة ابنة يزيد بن معاوية أبوها يزيد بن معاوية وهو خليفة ، ومعاوية بن أبي سفيان وهو خليفة ، فهؤلاء خمسة ، وأم عبد الله هذا عاتكة بنت عبد الله بن عثمان بن عفان ، وحفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب ؛ فهذان خليفتان ، فهذه سبعة من الخلفاء ولدوا هذا الرجل .

قالوا : ومما امرأة أبوها خليفة ، وجدّها خليفة ، وابنتها خليفة ، وأخوها خليفة ، وبعلها خليفة ، فهؤلاء خمسة ، وهي عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، أبوها يزيد بن معاوية خليفة ، وجدّها معاوية بن أبي سفيان خليفة ، وابنتها يزيد بن عبد الملك بن مروان خليفة ، وأخوها معاوية بن يزيد خليفة ، وبعلها عبد الملك بن مروان خليفة . قالوا : ومن ولد المدبج محمد بن عبد الله الأصغر امرأة ولدّها النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير ، وهي عائشة بنت محمد بن عبد الله بن عمر ابن عثمان بن عفان ، وأما خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير ، وأم عروة أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر الصديق ، وأم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - وهو



المدبج - فاطمة بنت الحسين بن علي عليه السلام ، وأم الحسين بن علي عليه السلام  
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وأم فاطمة بنت الحسين بن علي عليهما السلام  
أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله ، وأم عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ابنة  
عبد الله بن عمر بن الخطاب .

قالوا : ولنا في الجبال والحسن ما ليس لكم ، منا المدبج ، والدباج ، قيل ذلك لجاله .  
ومنا المطرف ، ومنا الأرجوان ، فالمطرف وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان ، سمي  
المطرف لجاله ، وفيه يقول الفرزدق :

نمّا الفاروقُ إنك وابن أروى أبوكَ فأنتَ مُنْصَدِعُ النَّهَارِ

والمدبج هو الدباج ، كانت أطول الناس قياماً في الصلاة ، وهلك في  
سجن المنصور .

قالوا : ومنا ابن الخلائف الأربعة ، دعى بذلك وشهر به ، وهو المؤمل بن العباس  
ابن الوليد بن عبد الملك ، كان هو وأخوه الحارث أبنى العباس بن الوليد من الفجاءة  
بنت قطري بن الفجاءة ، إمام الخوارج ، وكانت سبيت فوقعت إليه ، فلما قام عمر بن  
عبد العزيز أتت وجوه بني مازن وفيهم حاجب بن ذبيان المازني الشاعر ،  
فقال حاجب :

أَتَيْنَاكَ زَوَّارًا وَوَقَدْنَا إِلَى التِّي أَضَاءَتْ فَلَا يَخْفَى عَلَى النَّاسِ نُورُهَا  
أَبُوها عَمِيدُ الْحَيِّ جَمْعًا وَأُمُّهَا مِنْ الْحَنْظَلِيَّاتِ الْكِرَامِ حُجُورُهَا  
فَإِنْ تَكُ صَارَتْ حِينَ صَارَتْ فَلَهَا إِلَى نَسَبِ زَاكِ كِرَامِ نَفِيرُهَا

فبعث عمر بن عبد العزيز إلى العباس بن الوليد إما أن تردّها إلى أهلها ، وإما أن  
تزوجها ، فقال قائل ذات يوم للمؤمل : يا ابن الخلائف الأربعة ، قال : ويلك من الرابع !

قال : قطري ، فأما الثلاثة فالوليد وعبد الملك ومروان ، وأما قطري فبُويع بالخلافة ،  
وفيه يقول الشاعر :

\* وأبو نعام سَيِّدُ الْكُفَّارِ \*

قالوا : ومن أين صار محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أحق بالدعوة والخلافة  
من سائر إخوته ! ومن أين كان له أن يضعها في بيته دون إخوته ! وكيف صار بنو الأنس  
أحق بها من الأعمام !

وقالوا : إن يكن هذا الأمر إنما يستحق بالميراث ، فالأقرب إلى العباس أحق ،  
وإن كان بالسِّنِّ والتجربة فالعمومة بذلك أولى .

قالوا : فقد ذكرنا جلا من حال رجالنا في الإسلام ، وأما الجاهلية فلنا الأعياص  
والعباس<sup>(١)</sup> .

ولنا ذو العصابة أبو أحيحة سعيد بن العاص كان إذا اعتم لم يعتم<sup>(٢)</sup> بمكة أحد ،  
ولنا حرب بن أمية رئيس يوم الفجار ، ولنا أبو سفيان بن حرب رئيس أحد والحنظلق ،  
وسيد قريش كلها في زمانه .

وقال أبو الجهم بن حذيفة العدوي لعمر حين رأى العباس وأبا سفيان على فراشه :  
دون الناس : ما نرانا نستريح من بني عبد مناف على حال ! قال عمر : بش أخو المشيرة :  
أنت ! هذا عم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذا سيد قريش .

(١) في الأغاني ١ : ١٤ ( طبعة دار الكتب ) يستدعي عن الزبير بن بكار شيوخة : « الأعياص :  
العاص وأبو العاص والعيس وأبو العيس والمويس ؛ ومنهم العباس ؛ وهم : حرب وأبو حرب وسفيان  
وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو ؛ وإنما سموا العباس ؛ لأنهم تبتوا مع أخيههم حرب بن أمية بمكة ،  
وعقلوا أنفسهم وقتلوا قتالا شديدا ؛ فنبهوا بالأسد ، والأسد يقال لها : العباس ، واحدا عنبسة . »  
(٢) اعتم : أرخى عمامته .

قالوا : ولنا عتبة بن ربيعة ، ساد مملقا ، ولا يكون السيد إلا مترقا ، لولا مارأوا عنده من البراعة والتبل والكمال . وهو الذي لما تحاكت بجيلة وكلب في منافرة جرير والفرافصة ، وترأهتوا بسوق عكاظ ، وصنموا الرحمن على يده دون جميع من شهد على ذلك المشهد ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ، ونظر إلى قريش مقبلة يوم بدر : « إن يكن منهم عند أحد خير فعتد صاحب الجمل الأحمر » ، وما ظنك بشيخ طلبوا له من جميع العكر عند المبارزة بيضة فلم يقدرُوا على بيضة يدخل رأسه فيها ، وقد قال الشاعر :

• وإنا أناسٌ يملأ البيض هَامُنَا •

قالوا : وأمية الأكبر صنفان : الأعياص والعنابس ، قال الشاعر :

من الأعياص أو من آل حربٍ أغرَّ كغرةِ الفرسِ الجوادِ<sup>(١)</sup>

سُمُّوا بذلك في حرب الفجار حين حَقَرُوا لأرجلهم الحفائر وثبتوا فيها ، وقالوا : نموت جميعاً أو نظفر . وإنما سُمُّوا بالعنابس لأنها أسماء الأسود ، وإنما سُمُّوا الأعياص لأنها أسماء الأصول ، فالعنابس : حرب وسُفَيان وأبوسُفَيان وعمرو ، والأعياص : العيص ، وأبو العيص ، والعاص ، وأبو العاص وأبو عمرو ، ولم يعقب من العنابس إلا حرب ، وما عَقَّب الأعياص إلا العيص ، ولذلك كان معاوية يشكو القلة .

قالوا : وليس لبني هاشم والمطلب مثل هذه القسمة ، ولا مثل هذا اللقب المشهور . وهذا ما قالته أمية عن نفسها .

\*\*\*

(١) من أبيات في الأغاني ١ : ١٤ - ١٦ ؛ ونسبها إلى عبد الله بن قضاة الأسدي .

## [ ذكر الجواب عما فخرت به بنو أمية ]

ونحن نذكر ما أجاب به أبو عثمان عن كلامهم ، ونضيف إليه من قبلنا أموراً لم يذكرها ، فنقول : قالت هاشم : أما ذكرتم من الدهاء والمكر فإن ذلك من أسماء فجّار العقلاء ، وليس من أسماء أهل الصواب في الرأي من العقلاء والأبرار ، وقد بلغ أبو بكر وعمر من التدبير وصواب الرأي ، والخبرة بالأمور العامة ، وليس من أوصافهما ولا من أسمائهما أن يقال : كانا داهيتين ، ولا كانا مكيرين . وما عامل معاوية وعمر بن العاص علياً عليه السلام قطّ بمعاملة إلا وكان عليّ عليه السلام أعلم بهما منهما ، ولكن الرجل الذي يحارب ولا يستعمل إلا ما يحلّ له أقلّ مذاهب في وجوه الحيل والتدبير من الرجل الذي يستعمل ما يحلّ وما لا يحلّ ، وكذلك من حدّث وأخبر ، ألا ترى أن الكذاب ليس لكذبه غاية ، ولا لما يؤلّد ويصنع نهاية ، والصدوق إنما يحدث عن شيء معروف ، ومعنى محدود ! ويدلّ على ما قلنا أنكم عدّدتم أربعة في الدهاء ، وليس واحد منهم عند المسلمين في طريق المتقين ، ولو كان الدهاء مرتبة والمكر منزلة لكان تقدّم هؤلاء الجميع السابقين الأولين عبيداً شديداً في السابقين الأولين ، ولو أن إنساناً أراد أن يمدّح أبا بكر وعمر وعلياً ثم قال : الدهاء أربعة ، وعدّهم ، لكان قد قال قولاً مرغوباً عنه ، لأن الدهاء والمكر ليس من صفات الصالحين ؛ وإن علوا من غامض الأمور ما يجهله جميع العقلاء ، ألا ترى أنه قد يحسن أن يقال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله أكرم الناس ، وأحلم الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، ولا يجوز أن يقال : كان أمكر الناس ، وأدهى الناس ، وإن علماً أن علمه قد أحاط بكل مكبر وخديعة ، وبكل أدب ومكيدة !

وأما ما ذكرتم من جود سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر ، فإن أنتم من عبد الله ابن جعفر ، وعبيد الله بن العباس ، والحسن بن علي ! وأين أنتم من جود خلفاء بني

العباس ، كعبد المهدى ، وهارون ، ومحمد بن زبيدة ، وعبد الله المأمون ، وجعفر المقتدر ! بل لعلّ جود بعض صنائع هؤلاء كفى برّمك وبنى القرات ، أعظم من جود الرّجالين اللّذين ذكرتموها ، بل من جميع ما جاء به خلفاء بني أمية .

وأما ما ذكرتم من حلم معاوية ، فلو شئنا أن نجعل جميع ساداتنا حلماً لكانوا مُحتملين لذلك ، ولكن الوجه في هذا ألا يشتقّ للرجل اسمٌ إلا من أشرف أعماله وأكرم أخلاقه ، وإلا أن يتبين بذلك عند أصحابه حتى يصير بذلك اسماً يستى به ، ويصير معروفاً به ، كما عُرِف الأحنف بالحلم ، وكما عُرِف حاتم بالجود ، وكذلك هريم ، قالوا : هريم الجواد ، ولو قلتم : كان أبو العاص بن أمية أحلم الناس ، لقلنا : ولعله يكون قد كان حلماً ، ولكن ليس كل حلم يكون صاحبه به مذكورا ، ومن إشكاله باننا .

وإنكم لتظنون خصومكم في تسميتكم معاوية بالحلم ، فكيف من دونه ، لأنّ العرب تقول : أحلم الحلين ألا يتعرض ثم يحلم ، ولم يكن في الأرض رجلاً أكثر تعرضاً من معاوية ، والتعرض هو السّفه ، فإن ادّعيتم أن الأخبار التي جاءت في تعرضه كلّها باطلة ، فإن لقائل أن يقول ، وكلّ خبر رويتموه في حلمه باطل ، ولقد شُهر الأحنف بالحلم ، ولكنه تكلم بكلام كثير يجرّح في الحلم ويثلم في العرض <sup>(١)</sup> ، ولا يستطيع أحد أن يحكي عن العباس بن عبد المطلب ولا عن الحسن بن علي بن أبي طالب لفظاً فاحشاً ، ولا كلمة ساقطة ، ولا حرفاً واحداً مما يحكي عن الأحنف ومعاوية . وكان المأمون أحلم الناس ، وكان عبد الله السفاح أحلم الناس . وبعد ، فمن يستطيع أن يصف هاشماً أو عبد المطلب بالحلم دون غيره من الأخلاق والأفعال حتى يسميه بذلك ، ويخصّ به دون كل شيء فيه من الفضل ! وكيف وأخلاقهم متساوية ، وكلّها في الغاية ! ولو أن رجلاً كان أظهر الناس زهداً ، وأصدقهم للعدوّ لقاء ، وأصدق الناس لساناً ،

(١) يثلم في العرض ؛ أي ينال منه ويقع فيه .

وأجود الناس كفاً ، وأفصحهم منطقاً ، وكان بكل ذلك مشهوراً ، لمنع بعض ذلك من بعض ، ولما كان له اسم السيد المقدم ، والكامل المعظم ، ولم يكن الجواد أغلب على اسمه ، ولا البليغ ولا النجدة .

وأما ما ذكرتم من الخطابة والفصاحة والسؤدد والعلم بالأدب والنسب ، فقد علم الناس أن بني هاشم في أجلة أرق السنة من بني أمية ، كان أبو طالب والزيير شاعرين ، وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب شاعراً ، ولم يكن من أولاد أمية بن عبد شمس لصليبه شاعر ، ولم يكن في أولاد أمية إلا أن تعدوا في الإسلام العرجي من ولد عثمان ابن عفان ، وعبد الرحمن بن الحكم ، فتعد نحن الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، وعبد الله بن معاوية بن جعفر ، ولنا من التأخرين محمد بن الحسين بن موسى المعروف بالرضي ، وأخوه أبو القاسم ، ولنا الحناني ، وعلي بن محمد صاحب الزنج ، وكان إبراهيم ابن الحسن صاحب باغري<sup>(١)</sup> أدبياً شاعراً فاضلاً ؛ ولنا محمد بن علي بن صالح الذي خرج في أيام المتوكل .

قال أبو الفرج الأصفهاني : كان من فتيان آل أبي طالب وقتنا كهم وشجعانهم وظرافهم وشعرائهم ، وإن عدتكم الخطابة والبيان والفصاحة لم تعدوا كملئ بن أبي طالب عليه السلام ، ولا كعبد الله بن العباس ؛ ولنا من الخطباء زيد بن علي بن الحسين ، وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، وجعفر بن الحسين بن الحسن ، وداود بن علي بن عبد الله بن العباس ، وداود وسليمان ابنا جعفر ابن سليمان .

قالوا : كان جعفر بن الحسين بن الحسن يزارع زيد بن علي بن الحسين في الوصية ،

(١) باغري : بلدة قرب الكوفة بها قبر إبراهيم بن عداقة بن الحسن بن الحسن بن علي .

وكان الناس يجتمعون ليستمعوا محاورتهما ، وكان سليمان بن جعفر بن سليمان بن علي والي مكة ، فكان أهل مكة يقولون : لم يرد علينا أميرٌ إلّا وسليمان آيين منه قاعداً ، وأخطب منه قائماً . وكان داود إذا خطب استخفّر<sup>(١)</sup> فلم يردّه شيء .

قالوا : ولنا عبد الملك بن صالح بن علي ، كان خطيباً بليغاً ، وسأله الرشيد - وسليمان بن أبي جعفر وعيسى بن جعفر حاضران - فقال له : كيف رأيت أرض كذا ؟ قال : مساقى ريح ، ومنابت شيع . قال : فأرض كذا ، قال : هضبات<sup>(٢)</sup> حُر ، وربوات<sup>(٣)</sup> عَفْر ، حتى أتى علي جميع ما سأله عنه ، فقال عيسى لسليمان : والله ما ينبغي لنا أن نرضى لأنفسنا بالذُّون من الكلام .

قالوا : وأما ما ذكرتم من نَسَاك الملوك ؛ فلنا علي بن أبي طالب عليه السلام ، وبزُهده وبدينه يضرب المثل ، ولنا محمد بن الواثق من خلفاء بني العباس ، وهو الملقب بالهمدي ، كان يقول : إني لأتفُ لبني العباس إلّا يكون منهم مثل عمر بن عبد العزيز ، فكان مثله وفوقه . ولنا القادر أبو العباس بن إسحاق بن المقتدر ، ولنا القائم عبد الله بن القادر ، كانا على قديم عظمة من الزهد والدين والنسك ، وإن عددتم النساك من غير الملوك فأين أنتم عن علي بن الحسين زين العابدين ! وأين أنتم عن علي بن عبد الله بن العباس ! وأين أنتم عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، الذي كان يقال له : علي الخير ، وعلي الأغر ، وعلي العابد ، وما أقسم على الله بشيء إلّا وأبرّ قَسَمه ! وأين أنتم عن موسى بن جعفر بن محمد ! وأين أنتم عن علي بن محمد الرضا ، لا بس الصوف طول عمره ، مع سعة أمواله ، وكثرة ضياعه وغلاته !

(١) استخفّر الرجل في منطقة : مضى فيه .

(٢) الهضبات : جمع هضبة ؛ وهي الجبل الطويل المنح ، ولا يكون ذلك إلّا في حمر الجبال .

(٣) الربوات ، جمع ربوة ، وهي أعلى الجبل .



وأما ما ذكرتم من الفتوح، فلنا الفتوح المعتصمية التي سارت بها الركبان، وضربت بها الأمثال، ولنا فتوح الرشيد، ولنا الآثار الشريفة في قتل بابك الخرمي بعد أن دامت فنته في دار الإسلام نحو ثلاثين سنة. وإن شئت أن تعد فتوح الطالبين بإفريقية ومصر وما ملكوه من مَدَن الروم والفرنج والجلالة<sup>(١)</sup> في سني ملكهم، عددت الكثير الجَم الذي يخرج عن الحصر، ويحتاج إلى تاريخ مُقَرَّد يشمل على جلود كثيرة.

فأما الفقه والعلم والتفسير والتأويل فإن ذكرتموه لم يكن لكم فيه أحد، وكان لنا فيه مثل علي بن أبي طالب عليه السلام، وعبد الله بن العباس، وزيد بن علي، ومحمد بن علي، وأبي علي بن الحسين بن علي، وجعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه. ويقال: إن أبا حنيفة من تلامذته، وكذلك سُفْيَان الثَّوْرِي، وحسبك بهما في هذا الباب، ولذلك نسب سُفْيَان إلى أنه زَيْدِي المذهب، وكذلك أبو حنيفة.

ومن مثل علي بن الحسين زين العابدين! وقال الشافعي في الرسالة في إثبات خبر الواحد: وجدت علي بن الحسين وهو أفتة أهل المدينة يُعَوَّل على أخبار الآحاد.

ومن مثل محمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم الذي قرّر علوم التوحيد والمُذَلِّ أو قالت المعزلة: غلبنا الناس كلهم بأبي هاشم الأول، وأبي هاشم الثاني!

وإن ذكرتم النجدة والبسالة والشجاعة فمن مثل علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد وقع اتفاق أوليائه وأعدائه على أنه أشجع البشر!

ومن مثل حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله! ومن مثل الحسين بن علي عليهما السلام! قالوا يوم الطف: مارأينا مكثورا<sup>(٢)</sup> قد أفرد من إخوته وأهله وأنصاره أشجع منه، كان كالليث المحرَّب، يحطم الفرسان حطما، وما ظنك برجل أبت نفسه الدنية وأن يعطى

(١) الجلالة: أهل جلق، وهي دمشق.

(٢) المكثور: المفلوب في الكثرة.

بِيَدِهِ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ هُوَ وَبَنُوهُ وَإِخْوَتُهُ وَبَنُو عَمَّةٍ بِذَلِكَ الْأَمَانِ لَهُمْ ، وَالتَّوْتُقَةُ بِالْأَيْمَانِ الْمُغْلَظَةِ ، وَهُوَ الَّذِي سَنَّ لِلْعَرَبِ الْإِبَاءَ . وَاقْتَدَى بَعْدَهُ أَبْنَاءُ الزَّيْبِرِ وَبَنُو الْمُهَلَّبِ وَغَيْرُهُمْ .

وَمِنْ لَكُمْ مِثْلُ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ! وَمِنْ لَكُمْ كَزَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَهَا حَيْثُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ هِشَامٍ : مَا أَحَبَّ الْحَيَاةَ إِلَّا مَنْ ذَكَ ؛ فَلَمَّا بَاغَتْ هِشَامًا قَالَ : خَارِجُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ! نَخْرُجُ بِالسَّيْفِ ، وَنَهَى عَنِ الْمَنَكْرِ ، وَدَعَا إِلَى إِقَامَةِ شَعَائِرِ اللَّهِ حَتَّى قُتِلَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا .

وَقَدْ بَلَّغْتُمْ شَجَاعَةَ أَبِي إِسْحَاقَ الْمُعْتَصِمِ ، وَوُقُوفَهُ فِي مَشَاهِدِ الْحَرْبِ بِنَفْسِهِ حَتَّى فَتَحَ الْفَتْوحَ الْجَلِيلَةَ . وَبَلَّغْتُمْ شَجَاعَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ ؛ وَهُوَ الَّذِي أزال مُلْكَ بَنِي مَرْوَانَ ، وَشَهِدَ الْحُرُوبَ بِنَفْسِهِ ، وَكَذَلِكَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَهُوَ الَّذِي اتَّبَعَ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ إِلَى مِصْرَ حَتَّى قَتَلَهُ .

قَالُوا : وَإِنْ كَانَ الْفَضْلُ وَالْفَخْرُ فِي تَوَاضُعِ الشَّرِيفِ ، وَإِنْ صَافَ السَّيِّدُ ، وَسَجَّاحَةُ<sup>(١)</sup> أُنْخَلَقَ وَلِيْنِ الْجَانِبِ لِلْمَشِيرَةِ وَالْمُوَالَى ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ ذَلِكَ مَا لِبَنِي الْعَبَّاسِ ؛ وَلَقَدْ سَأَلْنَا طَارِقَ بْنَ الْمُبَارَكِ - وَهُوَ مَوْلَى لَبْنَى أُمِّيَّةَ ، وَصَنِيعَةٌ مِنْ صَنَائِعِهِمْ - فَقُلْنَا : أَيُّ الْقَبِيلَتَيْنِ أَشَدَّ نَحْوَةً وَأَعْظَمَ كِبَرِيَاءً وَجَبَرِيَّةً ؛ أَبْنُو مَرْوَانَ ؟ أَمْ بَنُو الْعَبَّاسِ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ لِبَنُو مَرْوَانَ فِي غَيْرِ دَوْلَتِهِمْ أَعْظَمُ كِبَرِيَاءً مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي دَوْلَتِهِمْ ، وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَ الدَّوْلَتَيْنِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ شَاعِرُهُمْ :

إِذَا نَابَهُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ رَأْيَتُهُ      يَتْبَعُهُ فَرَشَّحَهُ لِكُلِّ عَظِيمٍ

(١) سَجَّاحَةُ الْخَاقِ : سَهْوَانَتُهُ وَلِينُهُ .

وإن تآه تَبَاهُ سِوَاهُمْ فَأَمَّا يَتِيهُ لَنُوكَ أَوْ يَتِيهِ لِلُومِ<sup>(١)</sup>

ومن كلامهم : مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ تَبَاهَا فَهُوَ دَعَى .

قالوا : وإن كان الكبرُ مَفْخَرًا يَمْدَحُ به الرجال ويُعَدُّ من خِصال الشرف والفضل ،  
فهل لنا عمارة بنُ حَمْزَةَ أعْظَمُ كِبَرًا من كلِّ أُمَوِيٍّ كان ويكون في الدنيا ، وأخبارُهُ في  
كِبَرِهِ وَرَتَبِهِ مشهورة مُتَعَالِمَةٌ .

قالوا : وإن كان الشرف والفَخْرُ في الجِمال وفي السِّكَال وفي البَسْطَةِ في الجِسم وتَمَامِ  
القَوَامِ ، فمن كان كالعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ !

قالوا : رأينا العَبَّاسَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَكَأَنَّهُ فُسْطَاطٌ<sup>(٢)</sup> أبيض .

ومن مِثْلِ عَلِيِّ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ ، وكان كلُّ واحدٍ منهم إذا قام إلى  
جَنْبِ أَبِيهِ كان رأسُهُ عند شَحْمَةِ أُذُنِهِ ، وكانوا من أطوَلِ النَّاسِ ، وإِنَّكَ لتَجِدُ مِيرَاثَ  
ذَلِكَ الْيَوْمِ في أولادِهِمْ .

ثم الَّذِي رَوَاهُ أَصْحَابُ الْأَخْبَارِ وَحَالَ الْأَثَرُ في عَبْدِ الْمَطْلِبِ مِنَ التَّامِّ وَالْقَوَامِ وَالْجَمَالِ  
وَالْبَهَاءِ ، وما كان من لَقَبِ هَاشِمٍ بِالْقَمَرِ لْجَمَالِهِ ، ولأنَّهُمْ يَسْتَضِيئونَ بِرَأْيِهِ ، وكأرواهُ  
النَّاسُ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلِبِ وَلَدَ عَشْرَةٍ كانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَأْكُلُ في المَجْلِسِ الْجَذْعَةَ<sup>(٣)</sup>  
وَيَشْرَبُ الْفِرْقَ<sup>(٤)</sup> ، وترد أنفُهم قَبْلَ شِفَاهِهِمْ ، وإنَّ عاصِرَ بنَ مالِكٍ لما رآهم يَطُوفُونَ  
بِالْبَيْتِ كَانَتْهُمْ جِمالٌ جُونٌ<sup>(٥)</sup> قال : بهؤلاء تُنَمَّعُ مَكَّةُ ؛ وتشرف مكة !

وقد سمعتم ما ذَكَرَهُ النَّاسُ من جَمالِ السَّفَّاحِ وَحُسْنِهِ ، وكذلك المَهْدِيُّ وابْنُهُ  
هَارُونَ الرَّشِيدُ ، وابْنُهُ مُحَمَّدُ بنُ زُبَيْدَةَ وكذلك هَارُونَ الْوَائِقُ ، ومُحَمَّدُ الْمُنتَصِرُ  
وَالزَّيَّيرُ الْمُعْتَزُ .

(١) ب : « لَنُوكَ » تصحيف ؛ وصوابه في أ . والنوك : الحق ، واللوم أصله « اللؤم » : بالهمزة ،  
وخفف للشر .

(٢) الفسْطاط : الخيمة . (٣) الجذعة من الضأن : الصغيرة .

(٤) الفرق ، بكسر فسكون : مكيال بالمدينة ، يسع ثلاثة أضع ، أو ستة عشر رطلا .

(٥) الجون من الإبل والحيل : جمع جون ، بفتح فسكون ، وهو الأدهم .

قالوا : ما رُئي في العَرَب ولا في العَجَم أحسن صورة منه ؛ وكان المكتفى على بن المعتضد بارع الجلال ، ولذلك قال الشاعر يضرب المثل به :

والله لا كلمته ولو أنه كالشمس أو كالنذر أو كالمكتفى

فجمعه ثالث القمرين . وكان الحسن بن علي عليه السلام أصبح الناس وجها ، كان يشبه برسول الله صلى الله عليه وآله ، وكذلك عبد الله بن الحسن المحض .

قالوا : ولنا ثلاثة في عصر بنو عم ، كلهم يسمى عليا ، وكلهم كان يصلح للخلافة بالفقهاء والنسك والمزك ، والرأى ، والتجربة ، والحال الرفيعة بين الناس : علي بن الحسين بن علي ، وعلي بن عبد الله بن العباس ، وعلي بن عبد الله بن جعفر ، كل هؤلاء كان تاما كاملا بارعا جامعا . وكانت لبابة بنت عبد الله بن العباس عند علي بن عبد الله بن جعفر ، قالت : ما رأيته ضاحكا قط ولا قاطبا ، ولا قال شيئا أحتاج إلى أن يعتذر منه ، ولا ضرب عبدا قط ، ولا ملكا أكثر من سنة .

قالوا : وبعد هؤلاء ثلاثة بنو عم ، وهم بنو هؤلاء الثلاثة ، وكلهم يسمى محمدا ، كما أن كل واحد من أولئك يسمى عليا ، وكلهم يصلح للخلافة ، بكرم النسب وشرف الخصال : محمد بن علي بن الحسين بن علي ، ومحمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ومحمد بن علي ابن عبد الله بن جعفر .

قالوا : كان محمد بن علي بن الحسين لا يسمع المبتلى الاستعانة ، وكان ينهى الجارية والغلام أن يقولوا المسكين : يا سائل ؛ وهو سيد فقهاء الحجاز ؛ ومنه ومن ابنه جعفر تعلم الناس الفقه ، وهو الملقب بالباقر ، باقر العلم ؛ لقبه به رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يخلق بعد ، وبشر به ، ووعد جابر بن عبد الله برؤيته ، وقال : ستراه طفلا ، فإذا رأيته فأبلغه عني السلام ، فعاش جابر حتى رآه ، وقال له : ما وصى به .

وتوعد خالد بن عبد الله القسري هشام بن عبد الملك في رسالة له إليه ، وقال : والله  
إني لأعرف رجلاً حجازي الأصل ، شامي الدار ، عراقي الهوى ، يريد محمد بن  
علي بن عبد الله ابن العباس .

\*\*\*

قالوا : وأما ما ذكرتم من أمر عائكة بنت يزيد بن معاوية فإننا نذكر فاطمة بنت رسول  
الله صلى الله عليه وآله ، وهي سيّدة نساء العالمين ، وأمها خديجة سيّدة نساء العالمين ،  
وبعلها علي بن أبي طالب سيّد المسلمين كافة ، وابن عمها جعفر ذو الجناحين ، وذو  
الهجرتين ، وابناها الحسن والحسين سيّدَا شباب أهل الجنّة ، وجدّها أبو طالب بن  
عبد المطلب أشدّ الناس عارضةً وشكّيةً ، وأجودهم رأياً ، وأشهمهم نفساً ، وأمتهم لها  
وراء ظهره ، منع النبي صلى الله عليه وآله من جميع قريش ، ثم بني هاشم وبني المطلب ،  
ثم منع بني إخوانه من بني أخواته من بني تخزوم الذين أسلموا ، وهو أحد الذين سادوا  
مع الإقلال ، وهو مع هذا شاعر خطيب . ومن يطبق أن يفاخر بني أبي طالب ، وأمهم  
فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي ، وهي التي ربي رسول الله  
في حجرها ، وكان يدعوها أمي ، وتزك في قبرها ، وكان يؤجب حقها كما يؤجب حقّ  
الأم ! من يستطيع أن يسامي رجالاً ولدهم هاشم مرتين من قبل أبيهم ومن قبل أمهم .  
قالوا : ومن العجائب أنها ولدت أربعة كلّ منهم أسنّ من الآخر بشري سنين : طالب ،  
وعقيل ، وجعفر ، وعلي .

ومن الذي يعدّ من قريش أو من غيرهم ما يعدّه الطالبيون عشرة في نسق ؛ كل واحد  
منهم عالم زاهد ناسك شجاع جواد طاهر زاكّ ، فمنهم خلفاء ، ومنهم مرشّعون :  
ابن ابن ابن ، هكذا إلى عشرة ، وهم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن  
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام ؛ وهذا لم يتفق ليبت من بيوت  
العرب ولا من بيوت المعجم .

قالوا : فَإِنْ فَخَرْتُمْ بِأَنْ مِنْكُمْ اثْنَتَيْنِ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ : أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ وَزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ، فَزَيْنَبُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ ، أَدْعَيْتُمُوهَا بِالْحَلْفِ <sup>(١)</sup> لَا بِالْوِلَادَةِ ، وَفِينَا رَجُلٌ وَلَدَتْهُ أَمَانٌ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْمُخَضَّرِ ، وَلَدَتْهُ خَدِيجَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأُمُّ سَلَمَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَلَدَتْهُ مَعَ ذَلِكَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بِنْتِ هَاشِمٍ ؛ وَكَانَ يُقَالُ : خَيْرُ النِّسَاءِ الْفَوَاطِمُ وَالْعَوَاتِكُ وَهُنَّ أُمَّهَاتُهُ .

قالوا : وَنَحْنُ إِذَا ذَكَرْنَا إِنْسَانًا قَبْلَ أَنْ نَعُدَّ مِنْ وَلَدِهِ نَأْتِي بِهِ شَرِيفًا فِي نَفْسِهِ ، مَذْكُورًا بِمَا فِيهِ دُونَ مَا فِي غَيْرِهِ ، قُلْتُمْ لَنَا : عَاتِكَةُ بِنْتُ يَزِيدٍ ، وَعَاتِكَةُ فِي نَفْسِهَا كَلِمَةُ امْرَأَةٍ مِنْ عَرَضِ قُرَيْشٍ ، لَيْسَ فِيهَا فِي نَفْسِهَا خَاصَةٌ أَمْرٌ تَسْتَوْجِبُ بِهِ الْمَفَاخِرَةَ . وَنَحْنُ نَقُولُ : مِثْلُ فَاطِمَةَ ، وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَكَذَلِكَ أُمُّهَا خَدِيجَةُ الْكُبْرَى ، وَإِنَّمَا تَذْكُرَانِ مَعَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ وَآسِيَةَ بِنْتِ مُزَاحِمٍ اللَّتَيْنِ ذَكَرَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَذَكَرَ إِخْدَاهُمَا الْقُرْآنُ ، وَهُنَّ الْمَذْكُورَاتُ مِنْ جَمِيعِ نِسَاءِ الْعَالَمِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ .

وقلتم لنا: عبد الله بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ولده سبعة من الخلفاء ؛ وعبد الله هذا في نفسه ليس هناك ، ونحن نقول : مِثْلُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، كُلُّهُمْ سَيِّدٌ ، وَأُمُّهُ الْعَالِيَةُ بِنْتُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَإِخْوَتُهُ دَاوُدُ وَصَالِحٌ وَسُلَيْمَانُ وَعَبْدُ اللَّهِ رَجَالٌ كُلُّهُمْ أَغْرُهُ مُجَبَّلٌ ، ثُمَّ وَلَدَتْ الرُّسَاءُ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامَ وَأَخَوَيْهِ أَبَا الْعَبَّاسِ وَأَبَا جَعْفَرٍ ، وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمَا مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ .

وقلتم : مِثْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدٍ ، وَقُلْنَا : مِثْلُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ،

(١) الحلف ، بكسر الحاء وسكون اللام : العهد بين القوم .

وأولى الناس بكل مكرمة ، وأظهرهم طهارة ، مع النجدة والبصيرة والفقه والصبر والحلم والألف<sup>(١)</sup> ، وأخوه الحسن سيد شباب أهل الجنة ، وأرفع الناس درجة ، وأشبههم برسول الله خلقا وخلقاً ، وأبو هاشم بن أبي طالب .

قال شيخنا أبو عثمان : وهو الذي ترك وصفه أبلغ في وصفه ، إذ كان هذا الكتاب يجر عنه ، ويحتاج إلى كتاب يفرده ، وعمهما ذو الجناحين ، وأمهما ، فاطمة وجدتهما خديجة ، وأخوالهما : القاسم وعبد الله وإبراهيم ، وخالاتهما زينب ورقية وأم كلثوم ، وجدتاها آمنه بنت وهب والدة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفاطمة بنت أسد بن هاشم ، وجدتها رسول الله صلى الله عليه وآله الخرس لكل فاخر ، والغالب لكل منافر ، قل ماشئت ؛ واذكر أي باب شئت من الفضل ، فإنك تجدهم قد حووه .

وقالت أمية : نحن لا نذكر فخر بني هاشم وفضلهم في الإسلام ، ولكن لافرق بيننا في الجاهلية ، إذ كان الناس في ذلك الدهر لا يقولون : هاشم وعبد شمس ، ولا هاشم وأمية ، بل يقولون : كانوا لا يزيدون في الجميع على عبد مناف ، حتى كان أيام تميزهم في أمر علي وعثمان في الشورى ، ثم ما كان في أيام تحزبهم وحزبهم مع علي ومعاوية .

ومن تأمل الأخبار والآثار علم أنه ما كان يذكروا فرق بين البيتين ، وإنما يقال : بنو عبد مناف ؛ ألا ترى أن أبا قحافة سمع رجلة شديدة ، وأصواتا مرتفعة ، وهو يومئذ شيخ كبير مكفوف ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فما صنعت قريش ؟ قالوا : ولوا الأمر ابنك ؛ قال : ورضيت بذلك بنو عبد مناف ؟ قالوا : نعم . قال : ورضى بذلك بنو المغيرة ؟ قالوا : نعم ، قال : فلا مانع لما أعطى الله ولا معطى

(١) الألف بفتحين ؛ مثل الألف ؛ ومعناها الشتم والإباء .



لما منع أولم يقل : أَرْضَى بِذَلِكَ بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ ؟ وَإِنَّمَا جَمَعَهُمْ عَلَى عَبْدِ مَنَافٍ لِأَنَّهُ كَذَلِكَ كَانَ يُقَالُ .

وهكذا قال أبو سُفْيَانِ بْنِ حَرْبٍ لَعَلَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ سَخِطَ إِيمَارَةُ أَبِي بَكْرٍ : أَرْضَيْتُمْ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْ تَتْلَى عَلَيْكُمْ تَيْمٌ ؟ وَلَمْ يَقُلْ : أَرْضَيْتُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ ؟ وَكَذَلِكَ قَالَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ حِينَ قَدِمَ مِنَ الْيَمَنِ وَقَدْ اسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ : أَرْضَيْتُمْ مَعَشَرَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْ تَتْلَى عَلَيْكُمْ تَيْمٌ ؟

قَالُوا : وَكَيْفَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ هَاشِمٍ وَعَبْدِ شَمْسٍ ، وَهِيَ أَخَوَانٌ لِأَبِ وَأُمٍّ ! وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَمْرَهُمَا كَانَ وَاحِدًا ، وَأَنَّ اسْمَهُمْ كَانَ جَامِعًا ، قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصْنِيْعُهُ حِينَ قَالَ : « مَنَا خَيْرٌ فَارِسٍ فِي الْعَرَبِ ، عُكَّاشَةُ بْنُ مَحْصَنٍ » وَكَانَ أَسَدِيًّا ، وَكَانَ حَلِيفًا لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، وَكُلٌّ مِنْ شَهْدٍ بَدْرًا مِنْ بَنِي كَيْبَرِ بْنِ دَاوُدَ كَانُوا حُلَفَاءَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، فَقَالَ ضَرَارُ بْنُ الْأَزُورِ الْأَسَدِيُّ : ذَلِكَ مَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « بَلْ هُوَ مَنَا بِالْحَلْفِ » ، فَجَعَلَ حَلِيفَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ حَلِيفَ بَنِي هَاشِمٍ ، وَهَذَا بَيِّنٌ لَا يَحْتَاجُ صَاحِبُ هَذِهِ الصِّفَةِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْهُ .

قَالُوا : وَلِهَذَا نَكَحَ هَذَا الْبَيْتَ فِي هَذَا الْبَيْتِ ، فَكَيْفَ رَضَرْنَا نَتَزَوَّجَ بَنَاتِ النَّبِيِّ وَبَنَاتِ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ إِلَّا وَنَحْنُ أَكْفَاءُ ، وَأَمَرْنَا وَاحِدًا ! وَقَدْ سَمِعْتُمْ إِسْحَاقَ بْنَ عِيسَى يَقُولُ لِحَمْدِ بْنِ الْحَارِثِ أَحَدِ بَنِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَابٍ بْنِ أَسِيدٍ : لَوْلَا حَيٌّ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِالرِّسَالَةِ ، لَزَعَمْتَ أَنَّكَ أَشْرَفُ النَّاسِ ؛ أَفَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمْ يَقْدِمْ عَلَيْنَا رَهْطَهُ إِلَّا بِالرِّسَالَةِ !

قَالَتْ هَاشِمٌ : قَلَمٌ : لَوْلَا أَنَا كُنَّا أَكْفَاءَ كَمَا أَنَّكُمْ لَمْ أَنْكَحْتُمُونَا نِسَاءَكُمْ ، فَقَدْ نَجَدَ الْقَوْمُ يَسْتَوُونَ فِي حَسَبِ الْأَبِ ، وَيَفْتَرِقُونَ فِي حَسَبِ الْأَنْفُسِ ، وَرَبَّمَا اسْتَوَوْا فِي حَسَبِ أَبِي

القبيلة ، كاستواء قريش في النضر بن كنانة ، ويختلفون كاختلاف كعب بن لؤي ، وعامر ابن لؤي ، وكاختلاف ابن قصي وعبد مناف وعبد الدار وعبد العزى ، والقوم قد يساوى بعضهم بعضاً في وجوه ، ويفارقونهم في وجوه ، ويستجيزون بذلك القدر منا كحتمهم ، وإن كانت معاني الشرف لم تتكامل فيهم كما تكاملت فيمن زواجهم ، وقد تزوج السيد ابن أخيه وهو حارص ابن حارص<sup>(١)</sup> على وجه صلة الرحم ، فيكون ذلك جائزاً عندهم ، ولو جوه في هذا الباب كثيرة ، فليس لكم أن تزعموا أنكم أ كفاؤنا من كل وجه ، وإن كنا قد زوجناكم وسأويناكم في بعض الآباء والأجداد . وبعد ، فأنتم في الجاهلية والإسلام قد أخرجتم بناتكم إلى سائر قريش وإلى سائر العرب ، أقتزعمون أنهم أ كفاؤكم عيئاً بعين ! وأما قولكم : إن الحيين كان يقال لهما عبد مناف فقد كان يقال لها أيضاً مع غيرها من قريش وبنيتها : بنو النضر . وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، فلم يدع النبي صلى الله عليه وآله أحداً من بني عبد شمس ، وكانت عشيرته الأقربون بنى هاشم وبنى المطلب ، وعشيرته فوق ذلك عبد مناف وفوق ذلك قصي ، ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله لما أتى بعبد الله بن عامر بن كرز بن حبيب بن عبد شمس وأم عامر ابن كرز أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم - قال عليه السلام : هذا أشبه بنا منه بكم ، ثم ثقل في فيه فازدردّه ، فقال : أرجو أن تكون مشفياً ، فكان كما قال . ففي قوله : « هو أشبه بنا منه بكم » خصلتان : إحداهما أن عبد شمس وهاشما لو كانا شيئاً واحداً كما أن عبد المطلب شيء واحد لما قال : « هو بنا أشبه به منكم » ، والأخرى أن في هذا القول تفصيلاً لبني هاشم على بني عبد شمس ، ألا ترون أنه خرج خطيباً جواداً نبيلاً وسيداً مشفياً ، له مصانع وآثار كريمة ، لأنه قال : « هو بنا أشبه به منكم » وأتى عبد المطلب

(١) الحارص : الرجل الرذل الفاسد . (٢) سورة الشعراء ٢١٤ .

بعاصم بن كرز وهو ابن ابنته أم حكيم البيضاء فتأمّله ، وقال : وعظام هاشم ما ولدنا ولدا أحرص منه ، فكان كما قال عبدُ الله يُحقّق ، ولم يقل « وعظام عبد مناف » لأن شرف جدّه عبد مناف له فيه شركاء ، وشرف هاشم أبيه خالص له .

فأما ما ذكرتم من قول أبي سفيان وخالد بن سعيد : أرضيتُم معشرَ بني عبد مناف أن تلى عليكم تيم ! فإن هذه الكلمة كلمة تحريض وتهيج ، فكان الأبلغ فيما يريد من اجتماع قلوب الفريقين أن يدعوهم لأب ، وأن يجمعهم على واحد ، وإن كانا مفترقين ، وهذا المذهب سديد ، وهذا التدبير صحيح .

قال معاوية بن صُصعة للأشهب بن رُميلة ، وهو نَهْشَلِيٌّ وللفَرَزْدَقِ بن غالب ، وهو مُحَاشِيٌّ ولمكن بن أنيف وهو عَيْدَلِيٌّ : أرضيتُم معشرَ بني دارم أن يسبّ آباءكم ويشتم أعراضكم كلب بني كليب ! وإنما نسبهم إلى دارم الأب الأكبر المشتمل على آباء قبائلهم ليستووا في الحمية ويتفقوا على الأنف ، وهذا في مثل هذا الموضع تدبير صحيح .

قالوا : ويدلّ على ما قلنا ما قاله الشعراء في هذا الباب قبل مقتل عثمان وقبل صفين ؛ قال حسّان بن ثابت لأبي سفيان الجارث بن عبد المطلب :

وأنتَ منوطٌ نيطَ<sup>(١)</sup> في آلِ هاشمٍ      كما نيطَ خَلْفَ الرّاكِبِ القَدَحُ الفرْدُ  
لم يقل : « نيط في آل عبد مناف » .

وقال آخر :

ما أنتَ من هاشمٍ في بيتٍ مكرمةٍ      ولا بني جُحجٍ الخضرِ الجلاعيدِ<sup>(٢)</sup>

(١) ب : « نيط » ريف . (٢) الجلاعيد : الصلاب الشداد .

ولم يقل : « ما أنت من آل عبد مناف » ، وكيف يقول هذا ، وقد علم الناس أن عبد مناف ولد أربعة : هاشما والمطلب وعبد شمس ونوفلا ؛ وأن هاشما والمطلب كانا يداً واحدة ، وأن عبد شمس ونوفلا كانا يداً واحدة ، وكانت مما بطأ بيني نوفل عن الإسلام إبطاء إخوتهم من بني عبد شمس ، وكان مما حث بني المطلب على الإسلام فضل محبتهم لبني هاشم ؛ لأن أمر النبي صلى الله عليه وآله كان بيننا ، وإنما كانوا يمتنعون منه من طريق الحسد والبغضة ، فمن لم يكن فيه هذه العلة لم يكن له دون الإسلام مانع ، ولذلك لم يصحب النبي صلى الله عليه وآله من بني نوفل أحدٌ فضلاً أن يشهدوا معه للشاهد الكريمة ، وإنما صحبه حلفاؤهم كيعلى بن منبه وعتبة بن غزوان وغيرها ، وبنو الحارث بن المطلب كلهم بذري : عبيد ، وطفيل ، وحصين ؛ ومن بني المطلب مسطح بن أثانة بذري .

وكيف يكون الأمر كما قلتم وأبو طالب يقول لمطعم بن عدي بن نوفل في أمر النبي صلى الله عليه وآله ، لما تمالأت قريش عليه :

جَزَى اللَّهُ عَنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا      جزاء مَسِيءٍ عاجلاً غيرَ آجلٍ  
أَمْطَعِمَ إِمَّا سَامَنِي الْقَوْمَ خُطَّةً      فَأَيُّ مَتَى أَوْكَلْتُ فَلَسْتُ بِأَكِلٍ  
أَمْطَعِمَ لَمْ أَخْذَلْكَ فِي يَوْمِ شِدَّةٍ      ولا مشهدٍ عند الأمور الجلائل

ولقد قسم النبي صلى الله عليه وآله قسمةً فجعلها في بني هاشم وبني المطلب ، فأتاه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وجبير بن مطعم ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، فقالا له : يا رسول الله ، إن قرابتنا منك وقرابة بني المطلب واحدة ، فكيف أعطيتهم دوننا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : « إنا لم نزل وبني المطلب كهاتين » ، وشبك بين أصابعه ، فكيف تقولون : كنا شيئاً واحداً ، وكان الاسم الذي يجمعنا واحداً !

ثم نرجع إلى أفتخار بنى هاشم ، قالوا : وإن كان الفخر بالأيد<sup>(١)</sup> والقوة ، واهتصار<sup>(٢)</sup> الأقران ومباطشة الرجال ، فمن أين لكم كعبد بن الحنفية ، وقد سمعتم أخباره وأنه قبض على درع فاضلة ، فجذبها فقطع ذيلها ما استدار منه كله . وسمعتم أيضا حديث الأيد<sup>(٣)</sup> القوسى الذى أرسله ملك الروم إلى معاوية يفخر به على العرب ، وأن محمدا قد دل لى ليقينه فلم يستطع ، فكأنما يحرك جبالا ، وأن الرومى قصد ليقينه محمد فرقه إلى فوق رأسه ، ثم جلد به الأرض ؛ هذا مع الشجاعة المشهورة ، والفقہ فى الدين والحلم والصبر والفصاحة والعلم بالملاحم والإخبار عن الغيوب ، حتى ادعى له أنه المهدي ، وقد سمعتم أحاديث أبي إسحاق المعتصم ، وأن أحمد بن أبي دؤاد عض ساعده بأسنانه أشد العض فلم يؤثر فيه ، وأنه قال : ما أظن الأسيئة ولا السهام تؤثر فى جسده ، وسمعتم ما قيل فى عبد الكريم المطيع ، وأنه جذب ذنب نوري فاستلته من بين وركيه .

وإن كان الفخر بالبشر وطلاقة الأوجه وسجاجة الأخلاق ، فمن مثل علي بن أبي طالب عليه السلام وقد بلغ من سجاجة خلقه وطلاقة وجهه أن عيب بالدعابة ! ومن الذى يسوى بين عبد شمس وبين هاشم فى ذلك ! كان الوليد جبّارا ، وكان هشام شرّ من الأخلاق ، وكان مروان بن محمد لا يزال قاطبا عابسا ، وكذلك كان يزيد بن الوليد الناقص ، وكان المهدي المنصور أسرى خلق الله وأطفهم خلقا ، وكذلك محمد الأمين وأخوه المؤمن ، وكان السفاح يضرب به المثل فى السرو وسجاجة الخلق .

قالوا : ونحن نعدّ من رهنطينا رجالا لا تعدّون أمثالهم أبدا ، فمنا الأمراء بالديلم الناصر الكبير ، وهو الحسن الأطروش بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن عمر الأشرف

(١) الأيد ( يفتح فكون ) : القوة . (٢) امتصر القرن : جذبه بشدة .

(٣) الأيد : الشجاع الشديد .

ابن زيد العابدين، وهو الذي أسلمت الديلم على يده، والناصر الأصغر وهو أحمد بن يحيى  
ابن الحسن بن القاسم بن إبراهيم بن طباطبا، وأخوه محمد بن يحيى، وهو الملقب بالمرقضى،  
وأبوه يحيى بن الحسن وهو الملقب بالمهادى، ومن ولد الناصر الكبير الناصر، وهو جعفر  
ابن محمد بن الحسن الناصر الكبير، وهم الأمراء بطبرستان وجيلان وجرجان  
ومازندران وسائر ممالك الديلم؛ ملكوا تلك الأصقاع مائة وثلاثين سنة، وضربوا  
الدنانير والدراهم بأسمائهم، وخطب لهم على المنابر، وحاربوا الملوك السامانية، وكسروا  
جيوشهم، وقتلوا أمراءهم، فهؤلاء واحدٌهم أعظمُ كثيراً من ملوك بني أمية، وأطول  
مدة وأعدل وأنصف وأكثرُ نسكاً وأشدَّ حُصاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،  
ومن يجري مجراهم الداعي الأكبر والداعي الأصغر ملكا الديلم، قادا الجيوش  
واصطنعاً الصنائع.

قالوا: ولنا ملوك مصر وإفريقية، ملكوا مائتين وسبعين سنة، فتَحروا الفتوح  
واستردوا ما تغلب عليه الروم من مملكة الإسلام، واصطنعوا الصنائع الجليلة.

ولهم الكتاب والشعراء والأمراء والقواد، فأولهم المهدي عبيد الله بن ميمون بن  
محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب  
وآخرهم العاضد، وهو عبد الله بن الأمير أبي القاسم بن الحافظ أبي الميمون بن  
الستعلى بن المستنصر بن الطاهر بن الحاكم بن عبد العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم  
ابن المهدي؛ فإن افتخرت الأموية بملوكها في الأندلس من ولد هشام بن عبد الملك،  
واتصال ملكهم وجعلهم بإزاء ملوكنا بمصر وإفريقية، قلنا لهم: ألا إننا نحن أزلنا  
ملككم بالأندلس، كما أزلنا ملككم بالشام والمشرق كله، لأنه لما ملك قرطبة

الظافر من بني أمية وهو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الملقب بالناصر ، خرج عليه علي بن حميد بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقتله ، وأزال ملكه . وملك قرطبة دار ملك بني أمية ، ويلقب بالناصر . ثم قام بعده أخوه القاسم بن حمود ، ويلقب بالعتلى ؛ فنحن قتلناكم وأزلنا ملككم في المشرق والمغرب ، ونحن لكم على الرصد<sup>(١)</sup> حيث كنتم ؛ اتبعناكم قتلناكم وشرّدناكم كلّ مشرّد ، والفخر للغالب على المغلوب ، بهذا قضت الأم قاطبة .

قالوا : ولنا من أفراد الرجال من ليس لكم مثله ، منا يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، كان شجاعاً جريئاً<sup>(٢)</sup> وهو الذي ولي الموصّل لأخيه السفاح فاستعرض أهلها ، حتى ساخت<sup>(٣)</sup> الأقدام في الدّم .

ومنا يعقوب بن إبراهيم بن عيسى بن أبي جعفر المنصور ، كان شاعراً فصيحاً ، وهو المعروف بأبي الأسباط ، ومنا محمد وجعفر ابنا سليمان بن علي ، كانا أعظم من ملوك بني أمية ، وأجل قدرًا وأكثر أموالاً ومكاناً عند الناس . وأهدى محمد بن سليمان من البصرة إلى الخيزران مائة وصيفة في يد كل واحدة منهن جام<sup>(٤)</sup> من ذهب وزنه ألف مثقال ، مملوء مسكاً ، وكان لجعفر بن سليمان ألفا عبد من السودان خاصة ، فكم يكون ليت شعري غيرهم من البيض ومن الإماء ! وما رثي جعفر بن سليمان راكباً قط إلا ظنّ أنه الخليفة .

ومن رجالنا محمد بن السفاح ، كان جواداً أيداً شديد البطش ، قالوا بارئى أخوان

(١) على الرصد : مترصدون لكم . (٢) في به : « حرياً » تصعيف . (٣) ساخت : خاضت . (٤) الجام : إناء من الذهب أو الفضة .



أشدَّ قوَّةً من محمد ورَيلة أخته ولَدَى أَبِي العباس السَّفاح ، كان محمد يأخذ الحديد فيلويه فتأخذه هي فترده .

ومن رجالنا محمد بن إبراهيم طباطبا صاحب أبي السَّرايا ، كان ناسكا عابدا فقيها عظيم القدر عند أهل بيته وعند الزيدية .

ومن رجالنا عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وهو الذي شيد ملك المنصور وحارب أبنى عبد الله بن حسن ، وأقام عمود الخلافة بعد اضطرابه ، وكان فصيحاً أديباً شاعراً .

ومن رجالنا عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ، حج بالناس وولى الشام ، وكان فصيحاً خطيباً .

ومن رجالنا عبد الله بن موسى الهادي ، كان أكرم الناس وجواداً ممدوحاً أديباً شاعراً ، وأخوه عيسى بن موسى الهادي ، كان أكرم الناس ، وأجود الناس ، كان يلبس الثياب ، وقد حدَّد ظفرك فيخْرِقها بظفرك لثلاثاً نادى إليه . وعبد الله بن أحمد ابن عبد الله بن موسى الهادي ، وكان أديباً ظريفاً .

ومن رجالنا عبد الله بن المعتز بالله ، كان أوحداً الدنيا في الشعر والأدب والأمثال الحكيمة والسؤدد والرياسة ، كان كما قيل فيه لما قُتل :

للهِ دَرْكٌ مِنْ مَيِّتٍ بِمَضِيَّةٍ      نَاهِيكَ فِي الْعِلْمِ وَالْأَشْعَارِ وَالْخَطَبِ<sup>(١)</sup>  
مَا فِيهِ لَوْ لَا تَوَلَّى فَتَنَقَّصَهُ      وَإِنَّمَا أَدْرَكْتُهُ حِرَاقَةُ الْأَدَبِ

ومن رجالنا النقيب أبو أحمد الحسين بن موسى شيخ في هاشم الطالبين والعباسيين في عصره ، ومن أطاعه الخلفاء والملوك في أقطار الأرض ورجعوا إلى قوله ، وابناه عليّ ومحمد وهما المرتضى والرضي ، وهما فريدا المعصر في الأدب والشعر والفقه والكلام ، وكان الرضى شجاعاً أديباً شديد الأنف .

(١) لعل بن بام ، ابن خلكان ١ : ٢٥٩ .

ومن رجالنا القاسمُ بن عبدِ الرحيم بن عيسى بن موسى الهادي ، كان شاعراً ظريفاً .  
ومن رجالنا القاسمُ بن إبراهيم طباطبا . صاحب المصنفات والورع والدعاء إلى الله وإلى  
التوحيد والعدل ومنايذة الظالمين ، ومن أولاده أمراء اليمن .

ومن رجالنا محمد الفأفأ بن إبراهيم الإمام ، كان سيّداً مقدّماً ، ولي الموسم وحجّ  
بالناس ، وكان الرشيد يسأره ، وهو مقنّع بطيئلسانه .

ومن رجالنا محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين صاحب أبي السرايا ، ساد  
حدّثنا ، وكان شاعراً أديباً فقيهاً ، بأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، ولما أُسِرَ وحلّ إلى  
الأمون أكرّمه وأفضل عليه ، ورعى له فضله ونسبه .

ومن رجالنا موسى بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، كنيته  
أبو عيسى ، وهو أجلُّ ولدِ عيسى وأنبأهم ، ولى الكوفة وسوادها زماناً طويلاً للهدي ،  
ثم الهادي ، وولى المدينة وإفريقية ومصر الرشيد ، قال له ابن السكّك لما رأى تواضعه :  
إنّ تواضعك في شرفك لأحبُّ إلى من شرفك ؛ فقال موسى : إنّ قومنا - يعني بني هاشم -  
يقولون : إنّ التواضع أحدُ مصائد الشرف .

ومن رجالنا موسى بن محمد أخو السّفاح والمنصور ، كان نبيلاً عندهم ، هو وإبراهيمُ  
الإمام لأُمٍّ واحدة ، رأى في منامه قبل أن يصير من أمرهم ما صار أنّه دخل بُستاناً فلم  
يأخذ إلّا عنقوداً واحداً عليه من الحبّ المتراصّ ما ربّك به عليم ، فلم يؤلّده إلا عيسى ، ثم  
وُلد لعيسى من ظهره أحدٌ وثلاثون ذكراً وعشرون أنثى .

ومن رجالنا عبدُ الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو  
عبدُ الله الحُض ، وأبوه الحسن بن الحسن ، وأُمّه فاطمة بنتُ الحسين ، وكان إذا قيل : مَنْ

أجل الناس؟ قالوا: عبد الله بن الحسن، فإذا قيل: مَنْ أَكْرَمُ الناس؟ قالوا: عبد الله ابن الحسن، فإذا قالوا: مَنْ أَشْرَفُ الناس؟ قالوا: عبد الله بن الحسن.

ومن رجالنا أخوه الحسن بن الحسن، وعمه زيد بن الحسن وبنوه محمد وإبراهيم وموسى ويحيى؛ أما محمد وإبراهيم فأمرهما مشهور، وفضلهما غير متبحور، في الفقه والأدب والنسك والشجاعة والسؤدد. وأما يحيى صاحب الديلم فكان حسن المذهب والهدى، مقدما في أهل بيته، بعيدا عما يُعاب على مثله، وقد روى الحديث وأكثر الرواية عن جعفر بن محمد، وروى عن أكبر المحدثين، وأوصى جعفر بن محمد إليه لما حضرته الوفاة وإلى ولده موسى بن جعفر. وأما موسى بن عبد الله بن الحسن؛ فكان شابا نجيبا صبوراً شجاعاً سخياً شاعراً.

ومن رجالنا الحسن الثالث، وهو الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، كان متألهاً<sup>(١)</sup> فاضلاً ورعاً، يذهب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مذهب أهله. وإبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، كان مقدماً في أهله، يقال: إنه أشبه أهل زمانه برسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن رجالنا عيسى بن زيد، ويحيى بن زيد أخوه، وكانا أفضل أهل زمانهما شجاعة وزهداً وفقهاً ونسكاً.

ومن رجالنا يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد صاحب الدعوة. كان فقيهاً فاضلاً شجاعاً فصيحاً شاعراً، ويقال: إن الناس ما أحبوا طالبياً قط دعاً إلى نفسه حبهم يحيى، ولا رثى أحد منهم بمثل ماريته به.

(١) متألهاً: متعبداً.

قال أبو الفرج الأصفهاني : كان يحيى فارساً شجاعاً شديد البدن ، مجتَمع القلب ، بعيداً عن زهو الشباب وما يُعَابُ به مثله ، كان له حمودٌ حديدٌ ثقيلٌ يصحبه في منزله ، فإذا سَخِطَ على عبده أو أمة من حشمه لَوَاهُ في عنقه فلا يَقْدِرُ أحدٌ أن يحمله عنه حتى يحمله هو <sup>(١)</sup> .  
ومن رجالنا محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام صاحب الطالِقَانِ ؛ لُقِبَ بالصوفي لأنه لم يكن يلبس إلا الصوف الأبيض ، وكان عالماً قتيهاً ، ديناً زاهداً ، حسن المذهب ، يقول بالعدل والتوحيد .

ومن رجالنا محمد بن علي بن صالح بن عبد الله بن موسى بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام . كان من فتيان آل أبي طالب وفتناً كههم وشُجَمَانِهِمْ وظُرَفَائِهِمْ وشُعْرَائِهِمْ ، وله شعرٌ لطيف محفوظ .

ومنهم أحمد بن عيسى بن زيد ، كان فاضلاً عالماً مقدماً في عَشِيرَتِهِ ، معروفاً بالفضل ؛ وقد رَوَى الحديث ورَوَى عنه .

ومن رجالنا موسى بن جعفر بن محمد - وهو العبد الصالح - جَمَعَ من الفقه والدين والنسك والحلم والصبر . وابنه علي بن موسى المرشح للخلافة ، والمخطوب له بالعهد ، كان أعلم الناس ، وأسخى الناس ، وأكرم الناس أخلاقاً .

\*\*\*

قالوا : وأما ما ذكرتم من أمر الشجرة الملعونة ، فإن المفسرين كلهم قالوا ذلك ورَوَوْا فيه أخباراً كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله ، ولستم قادرين على جَعْدِ ذلك ، وقد عَرَفْتُمْ تأخركم عن الإسلام وشدة عداوتكم للرسول الداعي إليه ، ومحاربتكم في بَدَرٍ وأُحُدٍ والخندق ، وصَدَّكم الهذلي عن البيت ، وليس ذلك مما يوجب أن يَمَكِّمَ اللّهُنَّ حتى

لا يغادر واحداً ، فإن زعم ذلك زاعمٌ فقد تعدّى . وأما اختصاصُ محمد بن عليٍّ بالوصية والخلافة دون إخوته ؛ فقد علمت أن وراثته السيادة والمرتبة ليس من جنس وراثته الأموال ؛ ألا ترى أن المرأة والصبي والمجنون يرثون الأموال ولا يرثون المراتب ؛ وسواء في الأموال ، كان الابن حارصاً<sup>(١)</sup> بائراً ، أو بارعاً جامعاً .

وقيل : وراثته للمقام سبيلُ وراثته اللواء ، دفع رسول الله صلى الله عليه وآله لواء بني عبد الدار إلى مُصعب بن عمير ، ودفع عمر بن الخطاب لواء بني تميم إلى وكيع بن بشر ، ثم دفعه إلى الأحنف حين لم يوجد في بني زُرارة من يستحق وراثته اللواء ؛ فإن كان الأمر بالنسبة فإنما كان بين محمد بن عليٍّ وأبيه عليٍّ بن عبد الله أربع عشرة سنة ، كان عليٌّ يخضب بالسَّواد ، ومحمد يخضب بالحمر ، فكان القادم يقدم عليهما ، والزائر يأتيهما ، فيظنُّ أكثرهم أنَّ محمداً هو عليٌّ ، وأن علياً هو محمد ، حتى ربما قيل لعلِّي : كيف أصبح الشيخ من عِلته ؟ ومتى رجع الشيخ إلى منزله ؟ وأخرى أنَّ أمه كانت العالية بنت عبد الله بن العباس ، فقد ولده العباس مرتين ، وولده جوادُ بني العباس ؛ كما ولده خيرهم وخبرهم ؛ ولم يكن لأحد من إخوته مثل ذلك . وكان بعض ولدِ محمد أسنَّ من عامة ولدِ عليٍّ ، وولدُ محمد المهدى بن عبد الله المنصور والعباس بن محمد بن عليٍّ في عام واحد ، وكذلك محمد بن سليمان بن عليٍّ ، ولم يكن لأحد من ولدِ عليٍّ بن عبد الله بن العباس - وإن كانوا فضلاءً نجباءً كرماءً نبلاءً - مثل عقله ولا كجماله ؛ كان إذا دخل المدينة ومكة جلس الناس على أبواب دُورهم والنساء على سطوحهنَّ للنظر إليه ، والتعجب من كماله وبهائه ، وقد قاتل إخوته أعداءه في دفع الملك إلى ولده غير مكرهين ولا مجبرين ؛ على أنَّ محمداً إنما أخذ الأمر عن أساس مؤسس ، وقاعدةٍ مقررة ، ووصيةٍ انتقلت إليه من أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وأخذها أبو هاشم عن أبيه محمد ، وأخذها محمد عن عليٍّ بن أبي طالب أبيه .

قالوا : لما سمعت بنو أمية أبا هاشم مريض فخرج من الشام وقبذا <sup>(١)</sup> يوم المدينة ، فمرّ بالحجيمة <sup>(٢)</sup> وقد أشفى ، فاستدعى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس فدفع الوصية إليه ، وعرفه ما يصنع ، وأخبره بما سيكون من الأمر ، وقال له : إني لم أدقمها إليك من تلقاء نفسي ، ولكن أبي أخبرني عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام بذلك ، وأمرني به ، وأعلمني بقاءك في هذا المكان ، ثم مات فتولى محمد بن علي تجهيزه ودفنه وبث الدعوة حينئذ في طلب الأمر ، وهو الذي قال لرجال الدعوة ، والقائمين بأمر الدولة ، حين اختارهم للتوجه ، وانتخبهم للدعاء ، وحين قال بعضهم : ندعو بالكوفة ، وقال بعضهم : بالبصرة . وقال بعضهم : بالجزيرة . وقال بعضهم بالشام . وقال بعضهم : بمكة وقال بعضهم : بالمدينة . واحتج كل إنسان لرأيه ، واعتل لقوله - فقال محمد : أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده ، وأما البصرة فعمانية تدين بالكف ، وقيل عبد الله المقتول بدر بنون جميع الفرق ، ولا يُعينون أحد ، وأما الجزيرة فحرورية مارقة ، والخارجية فيهم فاشية ، وأعراب كأعلاج <sup>(٣)</sup> ، ومسلمون في أخلاق النصارى ، وأما الشام فلا يعرفون إلا آل أبي سفيان ، وطاعة بني مروان ، عداوة راسخة ، وجهلاً متراكماً ؛ وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، وليس يتحرك معانق أمرنا هذا منهم أحد ، ولا يقوم بنصرنا إلا شيعتنا أهل البيت ، ولكن عليكم بخراسان ، فإن هناك العدد الكثير ، والجلد الظاهر ، وصدوراً سليمة ، وقلوباً مجتمعة ، لم تنقسمها الأهواء ، ولم تنوزعها النحل ، ولم تشغلها ديانة ، ولا هدم فيها فساد ، وليس لهم اليوم هم <sup>(٤)</sup> العرب ، ولا فيهم تجارب كتجارب الأتباع مع السادات ، ولا تحالف كتخالف القبائل ، ولا عصبة كعصبة العشائر ، وما زالوا ينالون ويمتهون ، ويظلمون فيكظمون ، ويبتغون الفرج ، ويؤملون

(١) الرقيذ : المريض المشرف على الهلاك .

(٢) الحجيمة ، كجهيئة بلده باللقاء . (٣) الأعلاج : جمع علاج ؛ الرجل من كفار العجم :

(٤) : ١ : د م .

دولة ، وهم جنود لهم أبدان وأجسام ، ومناكب وكواهل ، وهامات وكلى ، وشوارب وأصوات هائلة ، وألغات نفحة ، تخرج من أجواف منكرة .

وبعد ، فسكأنى أتقابل جانب المشرق فإن مطلع الشمس سراج الدنيا ، ومصباح هذا الخلق . فجاء الأمر كما دبر ، وكما قدر ، فإن كان رأى الذى رأى صواباً فقد وافق الرشاد ، وطبق الفصل ، وإن كان ذلك عن رواية متقدمة ، فلم يتلق تلك الرواية إلا عن نبوة .

قالوا : وأما قولكم : إن منا رجلاً مكث وأربعين سنة أميراً وخليفة ، فإن الإمارة لا تعدّ فخراً مع الخلافة ، ولا تُضم إليها ، ونحن نقول : إن منا رجلاً مكث سبعاً وأربعين سنة خليفة ، وهو أحمد الناصر بن الحسن المستضى ؛ ومنا رجلاً مكث خمساً وأربعين سنة خليفة ، وهو عبد الله القائم ومكث أبوه أحمد القادر ثلاثاً وأربعين سنة خليفة ، فذلكهما أكثر من ملك بنى أمية كلهم ، وهم أربع عشرة خليفة . ويقول الطالبيون : منا رجلاً مكث ستين سنة خليفة ، وهو معد بن الطاهر صاحب مصر ، وهذه مدة لم يبلغها خليفة ولا ملك من ملوك العرب في قديم الدهر ولا في حديثه .

وقلّم لنا : عائكة بنت يزيد يكتنفها خمسة من الخلفاء ، ونحن نقول : لنا زبيدة بنت جعفر يكتنفها ثمانية من الخلفاء ، جدها النصور خليفة ، وعم أبيها السفاح خليفة وعمها المهدي خليفة ، وابن عمها الهادي خليفة ، وبعلمها الرشيد خليفة ، وابنها الأمين خليفة ، وابننا بعلمها المأمون والمعتصم خليفتان .

قالوا : وأما ما ذكرتموه من الأعياص والعنابس فلستنا نصدقكم فيما زعمتموه أصلاً بهذه التسمية ، وإنما سُموا الأعياص لِمكان العيص وأبي العيص والعاص وأبي العاص ، وهذه أسماؤهم ، الأعلام ليست مشتقة من أفعال لهم كريمة ولا خسيّة . وأما العنابس ،



فَاتَمَّ سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّ حَرْبَ بْنَ أُمَيَّةٍ كَانَ اسْمُهُ عَنَبَسَةٌ ؛ وَأَمَّا حَرْبٌ فَلَقَّبَهُ ، ذَكَرَ ذَلِكَ  
النَّسَابُونَ ، وَلَمَّا كَانَ حَرْبٌ أَمْثَلَهُمْ سُمُّوا جَمَاعَتَهُمْ بِاسْمِهِ ، قَقِيلٌ : الْعَنَابِسُ ، كَمَا يُقَالُ :  
الْمَهَالِبَةُ وَالْمَنَازِيرَةُ ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى سُمِّيَ أَبُو سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ بْنُ عَنَبَسَةَ ، وَسُمِّيَ سَعِيدُ بْنُ الْغَاصِ  
ابْنُ عَنَبَسَةَ .

تم الجزء الخامس عشر من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وإليه  
الجزء السادس عشر



کتابخانه ملی و اسنادی  
جمهوری اسلامی ایران



مرکز تحقیقات کتب و پژوهش‌های اسلامی

### فهرس الخطب\*

- ١٠ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ٧٩ - ٨٠
- ١١ - من وصية له عليه السلام وصى بها جيشا بعثه إلى العدو ٨٩
- ١٢ - من وصية له عليه السلام أوصى بها معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف ٩٢
- ١٣ - من كتاب له عليه السلام إلى أميرين من أمراء جيشه ٩٨
- ١٤ - من وصية له عليه السلام لعسكره بصفين قبل لقاء العدو ١٠٤
- ١٥ - من كلام كان يقوله عليه السلام إذا لقي عدوًا محاربًا ١١٢
- ١٦ - من كلام كان يقوله لأصحابه عند الحرب ١١٤
- ١٧ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا عن كتاب منه إليه ١١٧
- ١٨ - من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة . ١٢٥
- ١٩ - من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله ١٣٧
- ٢٠ - من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه ١٣٨
- ٢١ - من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه أيضا ١٣٩
- ٢٢ - من كتاب له عليه السلام إلى ابن عباس ١٤٠
- ٢٣ - من كلام له عليه السلام قاله قبل موته على سبيل الوصية لما ضربه عبد الرحمن بن ملجم ١٤٣

٢٤ - من وصية له عليه السلام بما يعمل في أمواله ، كتبها بعد

منصرفه بن صفين . ١٤٦ - ١٤٨

٢٥ - من وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات ١٥١ - ١٥٢

٢٦ - من عهد له عليه السلام إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة ١٥٨

٢٧ - من عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر ١٦٣ - ١٧٠

٢٨ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا وهو من محاسن الكتب ١٨١ - ١٨٢



مركز تحقيقات کتب و اسناد اسلامی

## فهرس الموضوعات\*

صفحة	
٩-٣	القول في أسماء الذين تعاقدوا من قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
١١-١٠	القول في الملائكة نزلت بأحد وقاتلت أم لا
١٩-١١	القول في مقتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه
٢٥-١٩	القول فيمن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد
٤٣-٢٥	القول فيما جرى للمسلمين بعد إصعادهم في الجبل
٤٥-٤٤	القول فيما جرى للمشركين بعد انصرافهم إلى مكة
٤٨-٤٥	القول في مقتل أبي عزة الجمحي ومعاذ بن النخعي
٥١-٤٨	القول في مقتل المجذّر بن زياد البلوي الحارث بن يزيد بن الصامت
٥٢-٥١	القول فيمن مات من المسلمين بأحد جملة
٥٤-٥٢	القول فيمن قتل من المشركين بأحد
٦٠-٥٥	القول في خروج النبي صلى الله عليه وسلم بعد انصرافه من أحد إلى المشركين ليوقع بهم على ما هو به من الوهن
٧٢-٦١	الفصل الخامس في شرح غزاة مؤتة
٧٨-٧٢	فصل في ذكر بعض مناقب جعفر بن أبي طالب
٩٧-٩٥	نبذ من الأقوال الحكيمة في الحروب

صفحة	
١٠٢-٩٨	فصل في نسب الأشر و ذكر بعض فضائله
١٠٣-١٠٢	نبذ من الأقوال الحكيمة
١٠٦-١٠٥	نبذ من الأقوال الحكيمة
١١١-١٠٧	قصة فيروز بن يزدجرد حين غزا ملك الهياطلة
١١٦-١١٥	نبذ من الأقوال المتشابهة في الحرب
١٢٤-١٢٠	ذكر بعض ما كان بين علي ومعاوية يوم صفين
١٣٦-١٣٦	فصل في بني تميم و ذكر بعض فضائلهم
١٨٠-١٧١	كتاب المعتضد بالله
١٨٧-١٨٤	كتاب لمعاوية إلى علي
١٩٨-١٩٥	منا كحات بني هاشم و بني عبد شمس
٢٥٧-١٩٨	فضل بني هاشم على بني شمس
٢٨٤-٢٥٧	مفاخر بني أمية
٢٨٤-٢٧٠	ذكر الجواب عما فخرت به بنو أمية
٢٩٥-٢٨٥	افتخار بني هاشم